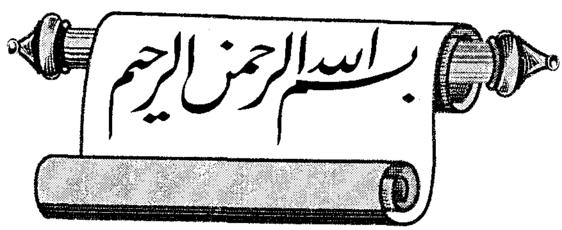
فقه أشراط الساعة

تأليف
محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدّم
عفا الله عنه

الدار العالمية للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

فقه

أشْراط السَّاعَة

فقه

أشراط الساعة

الدار العالمية للنشر والتوزيع

الطبعة السادسة

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

رقم الإيداع: ٢٠٠٦/٤٧٢١

الدار العالمية للنشر والتوزيع

٣١ ش الصالحي - محطة مصر - الإسكندرية

محمول: ٠١٠٥٤٠٦٤٠٣ ٢+ / ت: ٤٩٧٠٣٧٠ ٢٠٣+ / تلفاكس: ٣٩٠٧٣٠٥ ٢٠٣+

E-mail: alamia_misr@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

عن أبي قتادة -رضي الله عنه- قال: سمعت رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الحدِيثِ عَنِّي، مَنْ قَالَ عَلَيَّ فَلَا يَقُولَنَّ إِلَّا حَقًّا أَوْ صِدْقًا، فَمَنْ قَالَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»(*).

(*) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٢٩٧)، والدارمي (١/ ٧٧)، وابن ماجه (٣٥)، والحاكم (١/ ١١١)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٧٥٣).

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وليِّ المتقين

والحمد لله رب العالمين، لا يهدي كيد الخائنين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، قاصمُ ظهر الماكرين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، سيدُ ولدِ آدمَ أجمعين.

اللهم صَلِّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحابته، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

في عالم الأفكار -كما في عالم الأزياء- «صيحات»، و«تقاليع» تُفْرَضُ -بفعل فاعل- لتستلفت أنظار الناس بعيدًا عن خطر حقيقي، وتستقطب اهتمام الطليعة الفعالة في الأمة بعيدًا عما ينبغي أن يشتغلوا به من واجب الوقت، أو تَفْرِضُ نفسها على الساحة الفكرية، التي صارت في كثير من البلدان خاوية إلا من الصحف المسمومة، أو المطبوعات التي لا تخضع لرقابة «**فقهية شرعية**»؛ فتفجر قضايا يتابعها الناس بنهم، وتشغل الحاضر والبادي، ومع غياب العلماء، أو تغييبهم يُفتقد الانضباط، ويكثر اللغط، ويُدلي كلٌّ بدلوه، وتُبْتَذَل القضايا الكبرى حين ينطق فيها الرويبضة[١]، ويتصدر للخوض فيها من ليس للكلام أهلًا، ويُكْثِر اللغطَ من كان يحبس لسانه في فمه وَجَلًا.

---

(١) الرُّوَيْبِضَة: فسره النبي -صلى الله عليه وسلم- بأنه «الرجل التافه ينطق في أمر العامة»، =

نُبِّئْتُ أَنَّ النارَ بعدك أُوقِدتْ   واستبَّ بعدك يا كُلَيْبُ المجلسُ
وتحدثوا في أمرِ كلِّ عظيمةٍ   لو كنتَ -تاضِرَهُمْ بها لم ينبسوا

ولعل أحدث هذه «الصيحات»، وآخر «التقاليع» ما نسميه «ظاهرة العبث بأشراط الساعة»، فقد قذفت المطابع -ولا تزال- بعشرات الكتب والمقالات -بَلْهَ الخطب والمحاضرات- تُفيض في الحديث عن أشراط الساعة، بمنهج مبتدَع دخيل، وأسلوب عجيب غريب، وتهافَتَ الناس على اقتنائها، والتعويل على ما فيها، الأمر الذي يشي بمدى تفشي «الأمية الدينية» بين عامة المثقفين فضلًا عمن دونهم.

ولعل أبرز ما يميز «رءوس» هذه الظاهرة ومقلِّديهم فشو داء التعالم، والقول على الله بغير علم، والجرأة على الخوض بالظن في التوقعات المستقبلة، والاعتماد في الاستدلال على مرويات شاذة غريبة، وآثار مطمورة مهجورة، بَلْهَ الأحاديث الضعيفة والموضوعة، والإسرائيليات، وفيهم يصدق ما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «**يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، يَأْتُونَكُمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ لَا يُضِلُّونَكُمْ وَلَا يَفْتِنُونَكُمْ**»(١).

لقد صار الخوض في أشراط الساعة -وهي غيب- كلأً مباحًا يتناوله كل من هبَّ ودَبَّ، فأفرز مجازفات وشطحات تقشعر منها الجلود، وها

= والتافه: الخسيس الحقير، والرويبضة: تصغير الرابضة، وهو العاجز الذي ربض عن معالي الأمور، وقعد عن طلبها، وزيادة التاء للمبالغة كما في «النهاية» (٢/ ١٨٥).

(١) رواه مسلم في «المقدمة» رقم (٧)، والطحاوي في «المشكِل» (٤/ ٢٠٤).

هو ذا واقع الأحداث يأتي على بنيانها من القواعد، ويهدمها هدمًا، ويكشف زيفها للناظرين.

وفي هذه الدراسة نسلِّط الضوء على ظاهرة «العبث بأشراط الساعة» وصفًا وتحليلًا، ونحاول أن نستخلص منها ضوابط التعامل مع نصوص أشراط الساعة، مع ربط ذلك بواقع الأمة في هذا العصر، والله تعالى من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

محمد بن أحمد إسماعيل المقدَّم

الإسكندرية

في السبت ١٠ ذي القعدة ١٤٢٤هـ

الموافق ٣ يناير ٢٠٠٤م

الباب الأول

الفصل الأول

في التحذير من التعالم الكاذب، والولع بالغرائب

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

إن التعالم الكاذب هو عتبة الدخول على جريمة القول على الله بغير علم، المحرمة لذاتها تحريمًا أبديًا في جميع الشرائع، وهذا مما عُلِم من الدين بالضرورة، وهو مما حَذَّرناه رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- أشد التحذير.

عن عبد الله وأبي موسى -رضي الله عنهما- قالا: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إِنَّ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ لَأَيَّامًا يَنْزِلُ فِيهَا الجهْلُ، وَيُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ وَيَكْثُرُ فِيهَا الهرْجُ**»(١) الحديث.

وعن أنس -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الجهْلُ**»(٢).

---

(١) رواه البخاري: (١٣/ ١٣ -فتح).

(٢) رواه البخاري: (١/ ١٧٨ -فتح).

وعن مالك قال: أخبرني رجل أنه دخل على ربيعة، فوجده يبكي، فقال: «ما يُبكيك؟ أمصيبة دخلت عليك؟» وارتاع لبكائه، فقال: «لا، ولكن استُفتي من لا علم له، وظهر في الإسلام أمر عظيم»، فقال ربيعة: «ولَبعض من يُفتي هاهنا أحق بالحبس من السُّرَّاق»(١).

وقال القاسم بن محمد: «لَأن يعيش الرجل جاهلًا؛ خير من أن يقول على الله ما لا يعلم».

وأفضح ما يكون للمرء: دعواه بما لا يقوم به، وقد عاب العلماء ذلك قديمًا وحديثًا:

قال الإمام ابن حزم -رحمه الله تعالى-: «لا آفة على العلوم وأهلها أضر من الدخلاء فيها، وهم من غير أهلها، فإنهم يجهلون، ويظنون أنهم يعلمون، ويُفسِدون، ويُقَدِّرون أنهم يصلحون».

وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى-: «إذا تكلم المرء في غير فنه، أتى بهذه العجائب».

خلق الله للحروب رجالًا ورجالًا لقصعةٍ وثريدِ

قال بعض المصنفين: «والانفراد عن أهل العلم برأي في الشرع والقول بما لم يقل به أحد فيه، ينبئان عن خلل في العقل».

قال زُفَرُ بن الهذيل: «إني لا أناظر أحدًا حتى يسكت، بل أناظره حتى يُجَنَّ»، قالوا: كيف ذلك؟ قال: «يقول بما لم يقل به أحد».

---

(١) «جامع بيان العلم» رقم (٢٤١٠) ص(١٢٢٥).

وقال علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: «ليس ما لا يُعْرف من العلم، إنما العلم ما عُرِف، وتواطأت عليه الألسن».

وقال إبراهيم بن أبي عبلة -رحمه الله تعالى-: «من حمل شاذَّ العلم حمل شرًّا كثيرًا».

وقال الشاطبي -رحمه الله تعالى-: «قلما تقع المخالفة لعمل المتقدمين إلا ممن أدخل نفسه في أهل الاجتهاد غَلَطًا أو مغالطة».

وقال الأمير شكيب أرسلان: «ومن أعظم أسباب تأخر المسلمين: العلم الناقص، والذي هو أشد خطرًا من الجهل البسيط؛ لأن الجاهل إذا قيَّض الله له مرشدًا عالمًا أطاعه، ولم يتفلسف عليه، فأما صاحب العلم الناقص فهو لا يدري، ولا يقتنع بأنه لا يدري، وكما قيل: (ابتلاؤكم بمجنون خير من ابتلائكم بنصف مجنون)، وأقول: ابتلاؤكم بجاهل خير من ابتلائكم بشبه عالم»[١].

---

(١) «لماذا تأخر المسلمون؟» ص(٧٥).

الفصل الثاني

مَن المُجتهد الذي يؤجر على اجتهاده وإن أخطأ؟

عن عمرو بن العاص -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إِذَا حَكَمَ الحاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ واحدٌ**»(١).

ورد هذا الحديث في شأن القاضي، إلا أن المفتيَ ملحق به، بجامع أن كلًّا منهما مأمور بأن يَصْدُرَ عن حكم شرعي، ولذا يُعذر كلاهما في الخطأ.

والمفتي إن كان من أهل العلم، ممن اجتمعت فيه شرائط الفتيا، وبذل وُسْعَه للوصول إلى الحق، ثم أفتى بما غلب على ظنه أنه الحق بمقتضى الأدلة؛ فأخطأ، فلا إثم عليه في الخطأ؛ لدخوله في القاعدة الذهبية التي دل عليها قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥]، ولدخوله في هذا الحديث الشريف المشار إليه.

وأجر اجتهاده باقٍ محفوظٌ لا يبطل بخطئه؛ لأن الشرع يأمره بأن يفتيَ لوجوب الإفتاء، وقد فعل ما أُمِرَ به، فاستحق بذلك الأجر على العمل

---

(١) رواه من حديث عمرو بن العاص -رضي الله عنه- البخاري (١٣/٢٦٨)، ومسلم (١٧١٦).

الذي قام به، ولكن لا يكون أجره بقدر أجر المصيب، إذ إن المصيب دلَّ على الحق، وهذا -أي: المخطئ- لم يدل عليه.

أما إذا أفتى مَن ليس بأهلٍ للفُتيا فأخطأ، أو كان أهلًا ولم يبذل جهده لإحقاق الحق فأخطأ؛ فإنه لا يكون معذورًا بذلك، بل يكون آثمًا؛ لأنه أضلَّ عن سبيل الله، وقد قال الله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النحل: ٢٥][1].

وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«إِنَّ الله لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»**[2].

قال ابن المنذر -رحمه الله تعالى-: «وإنما يؤجر الحاكم إذا أخطأ إذا كان عالمًا بالاجتهاد فاجتهد، وأما إذا لم يكن عالمًا فلا».

واستدل بحديث: **«الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ»**، وفيه: **«وقَاضٍ قَضَى بِغَيرِ حَقٍّ، فَهوَ في النَّارِ، وقَاضٍ قَضَى وهو لا يَعْلَمُ؛ فَهو في النَّارِ»**.

وقال الخطابي -رحمه الله تعالى- في «معالم السنن»: «إنما يؤجر المجتهد إذا كان جامعًا لآلة الاجتهاد، فهو الذي نعذره بالخطأ، بخلاف المتكلِّفِ، فيُخاف عليه». اهـ.

---

(١) انظر: «الفتيا ومناهج الإفتاء» ص(١٣٤-١٣٦).

(٢) رواه البخاري: (١/ ١٧٣، ١٧٤)، ومسلم (٢٦٧٣).

وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى-: «لا يلزم من رد حكمه أو فتواه إذا اجتهد فأخطأ أن يأثم بذلك، بل إذا بذل وُسْعَه أُجِر، فإن أصاب ضُوعف أجرُه، لكن لو أقدم فحكم أو أفتى بغير علم لحقه الإثمُ»(١).

وقال محيي السنة البغوي -رحمه الله تعالى-:(٢) وقوله في الحديث: «**وَإِذَا اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**» لم يُرد به أنه يؤجر على الخطأ، بل يؤجر في اجتهاده في طلب الحق؛ لأن اجتهاده عبادة، والإثم في الخطأ عنه موضوع إذا لم يألُ جهدَه، وهذا فيمن كان جامعًا لآلة الاجتهاد، فأما من لم يكن محلًّا للاجتهاد، فهو متكلِّفٌ لا يُعْذَرُ بالخطأ في الحكم، بل يُخاف عليه أعظم الوزر، رُويَ عن بريدة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ: وَاحِدٌ فِي الجنَّةِ وَاثْنَانِ فِي النَّارِ، فَأَمَّا الَّذِي فِي الجنَّةِ فَرَجُلٌ عَرَفَ الحقَّ فَقَضَى بِهِ. وَرَجُلٌ عَرَفَ الحقَّ فَجَارَ فِي الحكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ**»(٣).

---

(١) «فتح الباري» (١٣/ ٣١٨، ٣١٩).

(٢) «شرح السنة» (١٠/ ١١٧، ١١٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٥٧٣)، و الترمذي (١٣٢٢)، وابن ماجه (٢٣١٥)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي (٤/ ٩٠).

الفصل الثالث

في معنى «أشراط الساعة»

الشَرَطُ -بفتحتين-: هو العلامة، جمعه: أشراط، وأشراط الشيء: أوائله، ومنه: شُرَط السلطان، وهم نُخْبَةُ أصحابه الذين يقدمهم على غيرهم من جنده، ومنه: الاشتراط الذي يشترطه الناس بعضهم على بعض، فالشرط علامة على المشروط[١].

الساعة لغةً

جزءٌ من أجزاء الليل والنهار، جمعها: ساعات، وساع، والليل والنهار معًا أربع وعشرون ساعة.

وأشراط الساعة: علاماتها[٢]، قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨].

قال الحافظ ابن حجر: «هي العلامات التي يعقبها قيام الساعة»[٣].

وقد أطلق بعض العلماء على «الأشراط» اسم «الآيات»؛ و«الآيات» هي الأمارات الدالة على الشيء، كالأمارات التي تُنصبُ في الصحراء؛ دالة على الطريق، أو توضع على الشاطئ؛ لتهديَ السفن، أو توضع في طريق المسافرين؛ لتدلهم على ما يقصدون من الأماكن.

---

(١) انظر: «لسان العرب» (٧/ ٣٢٩)، و«النهاية» لابن الأثير (٢/ ٤٦٠).

(٢) «مختار الصحاح» ص(٣٢٤).

(٣) «فتح الباري» (١٣/ ٧٩).

قال الطيبي: «الآيات: أماراتٌ للساعة، إما على قربها، وإما على حصولها؛ فمن الأول: الدجال، ونزول عيسى، ويأجوج ومأجوج، والخسف، ومن الثاني: الدخان، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، والنار التي تحشر الناس»(١).

معنى «الساعة» اصطلاحًا

الوقت الذي تقوم فيه القيامة، وسُمِّيَتْ بذلك لسرعة الحساب فيها، أو لأنها تفجأ الناس في ساعة، فيموت الخلق كلهم بصيحةٍ واحدة(٢).

وقال الراغب في «المفردات»: [الساعة: جزء من أجزاء الزمان، ويُعبَّر به عن القيامة، قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١]، وقال سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقال -عز وجل-: ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٨٥].

تشبيهًا بذلك لسرعة حسابه، كما قال -عز وجل-: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢]، أو لِما نبَّه عليه بقوله تبارك وتعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: ٤٦]، وقوله سبحانه: ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقوله -عز وجل-: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥]، فالأولى: هي القيامة، والثانية: الوقت القليل من الزمان.

وقيل: الساعات -التي هي القيامة- ثلاث:

---

(١) «المصدر نفسه» (١٣/ ٣٥٢).

(٢) انظر: «لسان العرب» (٨/ ١٦٩)، «النهاية» لابن الأثير (٢/ ٤٢٢).

الساعة الكبرى(١): هي بعث الناس للمحاسبة، وهي التي أشار إليها بقوله عليه السلام: «**لا تَقُوم السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهرَ الفُحْشُ والتَّفَحُّشُ**»(٢) إلى غير ذلك، وذكر أمورًا لم تحدث في زمانه ولا بعده.

والساعة الوسطى: وهي موت أهل القرن الواحد، وذلك نحو ما رُويَ أنه رأى عبد الله بن أُنَيْس(٣)، فقال: «**إن يَطُلْ عُمرُ هَذَا الغُلَامِ لم يمُتْ حتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**»(٤).

والساعة الصغري: وهي موت الإنسان، فساعةُ كلِّ إنسانٍ موتُه، وهي المشارُ إليها بقوله: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٣١]، ومعلوم أن هذه الحسرة تنال الإنسانَ عند موته، لقوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ

---

(١) وإذا أطلقت الساعة في القرآن الكريم، فالمراد بها القيامة الكبرى: قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الأحزاب: ٦٣]، أي: عن القيامة، وقال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١]، أي: اقتربت القيامة.

(٢) رواه الإمام أحمد (٢/ ١٦٢) رقم (٦٥١٤)، من رواية عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما-، بلفظ: «لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش، والتفاحش، وقطيعة الرحم، وسوء المجاورة» الحديث، وقال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده صحيح» (١٠/ ٢٠).

(٣) قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى-: «إن ما ذكره عن عبد الله بن أُنَيس لم نقف عليه، ولا هو آخر من مات من الصحابة هَرِمًا» اهـ. من «فتح الباري» (١١/ ٣٦٤).

(٤) وعن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: كان الأعراب إذا قدموا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سألوه عن الساعة: متى الساعة؟ فنظر إلى أحدث إنسان منهم، فقال: «إن يعش هذا لم يدركه الهرم؛ قامت عليكم ساعتكم»، رواه البخاري (١١/ ٣٦١-الفتح)، ومسلم (١٨/ ٩٠- النووي).

والمراد بساعتهم: موتهم، فهو ساعة المخاطبين، كما «في الفتح» (١١/ ٣٦٣)، وانظر: «تفسير المنار» (٩/ ٣٨٧).

ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ﴾ الآية [المنافقون: ١٠]، وعلى هذا قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَنكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [الأنعام: ٤٠].

وعن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا تخيَّلتِ السماء تغير لونه، وخرج ودخل، وأقبل وأدبر، فإذا مطرت سُرِّي عنه، فعرفت ذلك عائشة؛ فسألته، فقال: «**لَعَلَّهُ يا عَائِشَةُ كَمَا قَالَ قَومُ عَادٍ**: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [(١)] [(٢)]»اهـ

وقال القرطبي -رحمه الله تعالى-: «قال علماؤنا: واعلم أن كل ميت مات فقد قامت قيامته [(٣)]، ولكنها قيامة صغرى وكبرى، فالصغرى: هي ما يقوم كل [(٤)] إنسان في خاصته من خروج روحه، وفراق أهله، وانقطاع سعيه، وحصوله على عمله إن كان خيرًا فخير، وإن كان شرًّا فشر، والقيامة الكبرى هي التي تعم الناس وتأخذهم أخذة واحدة» [(٥)].

وقد ذكر الله تعالى القيامتين الصغرى والكبرى في القرآن الكريم، فتجده يذكر القيامتين في السورة الواحدة؛ كما في سورة الواقعة؛ فإنه ذكر في أولها القيامة الكبرى، فقال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧﴾ [الواقعة: ١-٧].

---

(١) رواه مسلم: (٨٩٩/١٤).
(٢) «المفردات» ص(٤٣٤، ٤٣٥) بتصرف.
(٣) أي: من مات فقد دخل في حكم الآخرة.
(٤) كذا، ولعلها: بكل.
(٥) «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة»، نقلًا عن «القيامة الصغرى»، للأشقر، ص(٢).

ثم في آخرها ذكر القيامة الصغرى، وهي الموت، فقال: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٥].

وذكر القيامتين -أيضًا- في سورة القيامة، فقال: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾﴾ [القيامة: ١]، وهذه القيامة الكبرى.

ثم ذكر الموت، فقال: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾﴾ [القيامة: ٢٦]، وهو القيامة الصغرى.

الْفَصْلُ الرَّابِعُ

ثَمَرَاتُ الإِيمَانِ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ

إن قيامَ الساعةِ الذي يعني نِهَايَةَ نِظَامِ هذا العالم، هو من أعظم الأحداث بعد خلق العالم، بل إن تغيير النظام الكوني وإيجاد نظام آخر حَدَثٌ يَعْدِلُ خلق العالم أول مرة؛ ولذلك تسبقه أحداثٌ كبرى خارقةٌ للعادة، تكون كالمقدمة له.

والإيمان بأشراط الساعة داخلٌ ضمن الإيمان باليوم الآخر؛ فهو من الإيمان بالغيب؛ ولهذا الإيمان ثمراتٌ وفوائِدُ نحاول أن نُجْمِلَهَا فيما يلي:

أولًا: تحقيق ركن من أركان الإيمان الستة، وهو الإيمان باليوم الآخر، باعتبار أن أشراط الساعة من مقدماته، كما أنه من الإيمان بالغيب الذي قال فيه -عز وجل-: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالهمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**»(١).

وفي الصحيح أن جبريل عليه السلام سأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الإسلام والإيمان والإحسان وأمارات الساعة، وأن

---

(١) رواه البخاري (٣/ ٢١١)، ومسلم (٢١)، والترمذي (٢٦١٠)، والنسائي (٥/ ١٤)، وأبو داود (٢٦٤٠).

النبي -صلى الله عليه وسلم- قال في آخره: «**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»[١] والشاهد أنه عدَّ ما يتعلق بأمارات الساعة من الدين.

ثانيًا: إشباع الرغبة الفطرية[٢] في الإنسان التي تتطلع لاستكشاف ما غاب عنه[٣]، واستطلاع ما يحدث في المستقبل من وقائع وكائنات، وإذا

---

(١) رواه مسلم، رقم (٨) كتاب الإيمان.

(٢) وهذا ما يعبر عنه «علم النفس» بحب الاستطلاع Curiosity، ويقولون في تعريفه: «ميل يدفع الفرد إلى المعرفة، وخاصة معرفة الجديد من الأمور والأشياء، وإلى استطلاع كل غريب، ومعرفة المزيد عنه بالبحث والتقصي، واكتشاف المجهول، وفض غموضه».
ويكمن حب الاستطلاع وراء ثراء المعرفة البشرية ونموها، وتقدم الاختراعات والصناعات، ويميل البعض إلى اعتبار حب الاستطلاع «غريزة» ودافعًا فطريًّا موروثًا تستثيره المواقف والأشياء الغامضة أو المجهولة، انظر: «موسوعة علم النفس» د/ فرج طه، ص(٢٩٧-٢٩٨).

(٣) ونحن نرى الجهود الهائلة التي يبذلها العلماء المعاصرون؛ للكشف عن الغيب المجهول في الماضي البعيد، والغيب المجهول في الحادثات المقبلة، والغيب المجهول في الفضاء المحيط بنا؛ فيصنعون المناظر المكبرة، والمراصد الهائلة، ويطلقون سفن الفضاء، والأقمار الصناعية؛ كي يعلموا ما لا يعلمون؛ فلا شك أن الاطلاع على حقائق هذا الغيب من الجهة المعصومة التي لا تخطئ، ولا تكذب أبدًا، وهي الوحي الصادق، أولى وأحرى، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤]، إن الإنسان يتشوف دومًا إلى رؤية ما سمع عنه؛ فإن عجز، فربما أبدع خياله التصورات، حتى لو كان تخيله سخيفًا، لكنه يظن أن تخيلاته تسد جَوْعَة عقله، وتشبع فضوله؛ فعندما جهل الإنسان كيفية حدوث الزلازل زعم أن الأرض محمولة على قرن ثور عظيم؛ فإذا تعب من حملها، نقلها إلى قرنه الثاني؛ فتهتز وهو ينقلها، أما الذي يتنزه عن الخيالات،=

كان الإسلام سَدَّ طُرُقَ الدجالين الذين يدَّعون الاطلاع عليها ؛ كالمنجمين، والعرَّافين، والكُهَّان، ونحوهم، إلا أنه -استجابة لأشواق الفطرة- أطلعنا -من خلال نافذة الوحي- على كثير من هذه الأحداث[(١)].

إن إخفاء وقت الساعة له أثر بليغ في إصلاح النفس البشرية، فالأمر العظيم الذي يستيقن المرء وقوعه، ولكنه لا يدري متى يفجؤه؛ يجعل المرء مترقبًا له، متشوفًا إليه؛ لأن المجهول عنصر أساسٌ في حياة البشر، وفي تكوينهم النفسي، فلا بد من مجهول في حياتهم يتطلعون إليه، ولو كان كل شيء مكشوفًا لهم -وهم بهذه الفطرة- لَوَقَفَ نشاطهم، وأسنت حياتهم.

ثَالِثًا: أن الإخبار عن الغيوب المستقبلة -باعتبار ما فيها من خرقٍ للعادة- من أهم دلائل النبوة؛ حيث إنها تتضمن تَحَدِّيًا لعقول البشر أجمعين، فهذه أمور غيبية لا تُدْرَكُ بالعقل، ولا يمكن معرفة كُنْهِها على الحقيقية إلا من خلال الوحي الصادق من الله تعالى إلى رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وقد صدرت منه لا على أنها توقعات تعتمد على مقدمات تؤدي إلى نتائجها، وإنما هي حديثٌ دقيقٌ قاطعٌ عن تفاصيل المستقبل المجهولِ، حديثٌ لا يَخْرِمُهُ المستقبل، ولا في جزء

= والظنون؛ فإنه لا يَبْتَدِعُ التخيلات؛ كي لا يهدر طاقته العقلية فيما لا طائل من ورائه، ولكنه يتحمل عبء الغموض، ويصبر حتى يجعل الله له مخرجًا، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ الآيات [البقرة: ٢٦٠].

(١) انظر: «المقدمة» لابن خلدون، ص(٥٨٧، ٥٨٨).

من أجزائه، وحينئذٍ فلا شَكَّ أنها النبوة، وأن صاحبها مُتَّصِلٌ بالله تعالى عالم الغيب والشهادة؛ كما قال -عز وجل-: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾﴾ الآيتان: [الجن: ٢٦-٢٧].

وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون: ٩٢].

ومن ثمرات وقوع تلك الْمغُيَّبَاتِ -على كثرتها- مُطَابِقَةً لخبر الصادق المصدوق -صلى الله عليه وسلم- أن يثبت إيمان المؤمن، ويطمئن قلبه، ويزداد يقينه، ويقول كما قص الله عن المؤمنين: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

ومن ثمرات ذلك أيضًا: إقامة الحجة على الكافرين، وإقناعهم بصدق نبوة ورسالة محمد -صلى الله عليه وسلم- إلى العالمين.

رَابِعًا: تَعَلُّمُ الكيفية الصحيحة التي دَلَّنَا عليها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ كي نتعامل بها مع بعض الأحداث المقبلة التي قد يلتبس علينا وجه الحق فيها.

قال تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨]، وعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: «كنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في سَفَرٍ، فَنَزَلْنَا منزلًا . . .» الحديث، وفيه: «إذ نادى منادي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: الصلاة جامعة، فاجتمعنا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال: «**إِنَّه لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لهم، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ**

لهمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِه جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ، فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِه مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِه، هَذِه، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ؛ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ . . .» الحديث[١].

لقد نصح رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- أصحابَه الذين عاصروه نصائحَ انتفعوا بها كثيرًا:

- فقد بَشَّرَ عثمان -رضي الله عنه- بالجنة، على بلوَى تصيبه.

- وأخبر عمَّارًا -رضي الله عنه- أنه تقتله الفئة الباغية.

- وأمر أبا ذرٍّ -رضي الله عنه- بأن يعتزلَ الفتنة، وأن لا يقاتل، ولو قُتِلَ.

- وكان حذيفَةُ -رضي الله عنه- يسأله عن الشر؛ مخافَةَ أن يدرِكَهُ، ودلَّه -صلى الله عليه وسلم- كيف يفعل في الفتن.

- ونهى المسلمين عن أخذ شيء من جبل الذهب الذي سوف ينحسر عنه الفرات.

- وبصَّر أمته بفتنة الدجال، وأفاض في وصفها، وبيَّنَ لهم ما يعصمهم منها؛ ومِن ثَمَّ قال عبد الرحمن المحاربي: «ينبغي أن يُدْفَعَ هذا الحديثُ[٢] إلى المؤدِّب حتى يُعَلِّمَه الصبيانَ في الكُتَّاب»[٣].

---

(١) رواه مسلم (١٨٤٤)، وأبو داود (٤٢٤٨)، والنسائي (٧/ ١٥٣).

(٢) يعني: حديث أبي أمامة -رضي الله عنه- في شأن الدجال.

(٣) رواه ابن ماجه (٢/ ٥١٦).

وقال السفاريني -رحمه الله تعالى-: «مما ينبغي لكل عالم: أن يبث أحاديث الدجَّال بين الأولاد، والنساء، والرجال، ولا سيما في زماننا هذا الذي اشرأبت فيه الفتن، وكثرت فيه المحن، واندرست فيه معالم السنن»(١). اهـ.

وامتدت شفقته -صلى الله عليه وسلم- لتشمل إخوانه الذين يأتون من بعده، ولم يروه؛ فبذل لهم النصحَ، ودلَّهم على ما فيه نجاتهم، وحسنُ عاقبتهم(٢).

فمن ذلك قوله -صلى الله عليه وسلم-: «**اتْرُكُوا الترْكَ مَا تَرَكُوكُم** ...»(٣) الحديث.

فمن ثم أمسك المسلمون عن استفزاز واستثارة الترك، فَسَلِمُوا من غائلتهم، إلى أن خالفوا التوجيه النبوي، قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى-: «وقد قَتَلَ جنكيز خان من الخلائق ما لا يَعْلَمُ عددَهم إلا الذي خلقهم، ولكن كان البُداءة من خوارزم شاه، فإنه لما أرسل جنكيز خان تُجَّارًا من جهته معهم بضائعُ كثيرةٌ من بلاده، فانتهوا إلى إيرانَ، فقتلهم نائبها من جهة خوارزم شاه، وأخذ جميعَ ما كان معهم، فأرسل جنكيز خان إلى خوارزم شاه يستعلمه: هل وقع هذا الأمر عن رضًى

---

(١) «لوامع الأنهار البهية» (٢/١٠٦، ١٠٧).

(٢) انظر شيئًا من ذلك بهامش ص(٣٧).

(٣) شَطْر حديثٍ رواه أبو داود، رقم (٤٣٠٢)، في كتاب الملاحم، باب في النهي عن تهييج الترك والحبشة، وحسَّنه الألباني في صحيح أبي داود (٣٦١٥)، وانظر «السلسلة الصحيحة» (٧٧٢).

منه، أو أنه لا يعلم به، فأنكره؟ وقال فيما أرسل إليه: من المعهود من الملوك أن التجار لا يُقتلون؛ لأنهم عمارةُ الأقاليم، وهم الذين يحملون إلى الملوك ما فيه التحف والأشياء النفيسة، ثم إن هؤلاء التُّجَّار كانوا على دينك، فقتلهم نائبك، فإن كان أمرًا أمرتَ به، طلبنا بدمائهم، وإلا فأنت تُنْكِرُهُ، وتقتصُّ من نائبك.

فلما سمع خوارزم شاه ذلك من رسول جنكيز خان، لم يكن له جوابٌ سوى أنه أمر بضرب عُنُقِهِ، فأساء التدبيرَ، وقد كان خَرَّفَ وكَبُرَتْ سِنُّه، وقد ورد الحديث: «**اتْرُكُوا التركَ مَا تَرَكُوكُمْ ...**»، فلما بلغ ذلك جنكيز خان، تجهز لقتاله، وأَخْذِ بِلادِهِ، فكان بِقَدَرِ الله تعالى ما كان من الأمور التي لم يُسْمَعْ بأغربَ منها، ولا أبشعَ»[١].

فهنا نرى أن المسلمين لما خالفوا أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- بترك التُّرك؛ جاءت العاقبةُ عنيفةً مريرةً، حيث اجتاح التتار ديار الإسلام في كارثة لم يسبق لها مثيل في التاريخ[٢].

وفي أكثر من موضع ذكر الحافظ ابن كثير وقائع القتال بين المسلمين والتتار، وبيَّن أن المسلمين لم يكونوا يتعقبون التتار إذا فروا هاربين أمامهم، ولو كانت الرماحُ تنالهم؛ ومثال ذلك ما ذكره في حوادث سنة ثلاث وأربعين وستمائة: «وفي هذه السنة كانت وقعةٌ عظيمةٌ بين جيش الخليفة وبين التتار -لعنهم الله-؛ فكسرهم المسلمون كسرةً عظيمةً،

(١) «البداية والنهاية» (١٣/ ١١٩).

(٢) انظر تفصيل ذلك في «المصدر نفسه» (١٣/ ٨٦-٩١)، وصدق عمرو بن العاص الذي قال لابنه عبد الله -رضي الله عنهما-: «الخَرَقُ: معاداةُ إمامك، ومناوأة من يقدر على ضررك»، كما في «الإحياء» (٣/ ١٨٨).

وفَرَّقُوا شملهم، وهُزِمُوا من بين أيديهم، فلم يلحقوهم؛ ولم يتبعوهم، خوفًا من غائلة مكرهم، وعملًا بقوله -صلى الله عليه وسلم-: «**اتْرُكُوا التُرْكَ مَا تَرَكُوكُم** ....»[١].

خامسًا: فتح باب الأمل، والاستبشار بحسن العاقبة لأهل الإيمان، إذا ادْلَهَمَّتِ الخطوب، وضاقت الصدور، مما يعطي المسلمين طاقة يصارعون بها ما يسميه المتخاذلون «الأمر الواقع»؛ ليصبح عزمهم ومجدهم هو الأمر الواقع؛ وذلك بناءً على البشارات النبوية بالتمكين للدين، وظهوره على الدين كله، ولو كره الكافرون.

سادسًا: قد تمرُّ بالمسلمين وقائع في مقبل الأيام تحتاج إلى بيان الحكم الشرعي فيها، ولو تُرِكَ المسلمون إلى اجتهادهم؛ فإنهم قد يختلفون، وربما يكون بيان الحكم الشرعي في تلك الأحداث واجبًا لا بد منه، وعدم البيان يكون نقصًا تُنَزَّهُ الشريعة عنه.

فمن ذلك: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أخبر أن الدجَّال يمكث في الأرض أربعين يومًا؛ يومٌ من أيامه كسَنَة، ويومٌ كشهر، ويومٌ كأسبوع، وبقية أيامه كأيامنا، وقد سأل الصحابة -رضي الله عنهم- رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن تلك الأيام الطويلة: أتكفي في الواحد منها صلاةُ يوم؟ فقال -صلى الله عليه وسلم-: «**لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ**»، ولو وُكِّل العباد إلى اجتهادهم؛ لاقتصروا على الصلوات الخمس عند الأوقات المعروفة في غير هذه الأيام.

---

(١) «نفسه» (١٣/ ١٦٨).

وأخبر الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن عيسى عليه السلام بعد نزوله لا يقبل الجزية من اليهود والنصارى، ولا يقبل منهم إلا الإيمان، وهذا البيان من الرسول -صلى الله عليه وسلم- ضروري؛ لأن عيسى يحكم بهذا الشرع، وهذا الشرع فيه قبولُ الجزية ممن بَذَلَها إلى حين نزول عيسى ابن مريم، وحين ذاك تُوضَعُ الجزية، ويُقتل كل من رفض الإيمان، ولو بَذَلَ الجزيةَ (١).

كما أن نص رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على صفاتٍ معينةٍ لأشخاصٍ معينين، كالمهدي مثلًا، يمدنا بالمعيار اللازم للحكم على الدجَّالين المدعين المهديةَ؛ حتى لا نتورَّط في فِتَنِهِمْ.

لاَ يَعْلَمُ مَتَى السَّاعَةُ إِلَّا الله وَحْدَهُ

قال الله -عز وجل-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤].

وقال سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّىۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةًۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف: ١٨٧].

فقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾، وقوله -عز وجل-: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾، (فيه إيذان بأن ما هو من شأن الرب لا يكون للعبد؛ فهو تعالى قد رباه ليكون منذرًا ومبشرًا، لا للإخبار عن الغيوب بأعيانها

---

(١) انظر: «القيامة الصغرى» للدكتور عمر الأشقر -حفظه الله- ص(١٣٢).

وأوقاتها، والإنذارُ إنما يُنَاطُ بالإعلام بالساعة وأهوالها، والنار وسلاسلها وأغلالها، ولا تتم الفائدة منه إلا بإبهام وقتها؛ ليخشى أهل كل زمن إتيانَها فيه، والإعلامُ بوقت إتيانها، وتحديدُ تاريخها ينافي هذه الفائدة، بل فيه مفاسدُ أخرى؛ فلو قال الرسول -صلى الله عليه وسلم- للناس: «إن الساعة تأتي بعد ألفي سنة من يومنا هذا» مثلًا -وألفا سنة في تاريخ العالم، وآلاف السنين تُعَدُّ أجلًا قريبًا- لرَأَينا المكذبين يستهزئون بهذا الخبر، ويلحون في تكذيبه، والمرتابين يزدادون ارتيابًا، حتى إذا ما قَرُبَ الأجل وقع المؤمنون في رعب عظيم يُنَغِّصُ عليهم حياتهم، ويوقع الشلل في أعضائهم، والتشنجَ في أعصابهم؛ حتى لا يستطيعون عملًا، ولا يسيغون طعامًا ولا شرابًا، ومنهم من يخْرجُ من ماله وما يملكه، في حين يكون الكافرون آمنين، ويسخرون من المؤمنين.

فالحكمة البالغة -إذن- في إبهام أمر الساعة للعالم، وكذا الساعة الخاصة بأفراد الناس، أو بالأمم والأجيال، أو جعلها من الغيب الذي استأثر الله تعالى به)[(١)] اهـ.

وقوله تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ معناه: لا يكشف حجابَ الخفاء عنها، ولا يظهرها في وقتها المحدد عند الرب تعالى إلا هو، فلا وساطة بينه وبين عباده في إظهارها ولا في الإعلام بميقاتها وإنما وساطة الرسل عليهم السلام في الإنذار بها[(٢)]؛ فمِن ثَمَّ قال تعالى:

---

(١) «تفسير المنار» (٩/ ٣٨٩، ٣٩٠).

(٢) «نفسه» (٩/ ٣٩٠).

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾ [النازعات: ٤٢-٤٥].

ونقل الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله تعالى- عن الألوسي -رحمه الله تعالى- قوله: «وإنما أخفى سبحانه أمر الساعة لاقتضاء الحكمة التشريعية ذلك؛ فإنه أدعى إلى الطاعة، وأزجر عن المعصية، كما أن إخفاء الأجل الخاص للإنسان كذلك، ولو قيل بأن الحكمة التكوينية تقتضي ذلك -أيضًا- لم يبعد، وتدلُّ الآيات على أنه -صلى الله عليه وسلم- لم يَعْلَمْ وقت قيامها، نَعَم علم -صلى الله عليه وسلم- قربها على الإجمال، وأخبر -صلى الله عليه وسلم- به»[١].

وقال صاحب المنار -رحمه الله تعالى- أيضًا:

«فيجب على المؤمنين أن يخافوا ذلك اليومَ، وأن يحملهم الخوف على مراقبة الله تعالى في أعمالهم؛ فيلتزموا فيها الحقَّ، ويتحروا الخيرَ، ويتقوا الشرور والمعاصي، ولا يجعلوا حظهم من أمر الساعة الجدالَ، والقيل والقالَ، وإننا نرى بعض المتأخرين قد شغلوا المسلمين عن ذلك ببحث افتجره بعض الغلاة، وهو أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يَبْقَ طولَ عمره لا يعلم متى تقوم الساعة؟ كما تدلُّ عليه آيات القرآن الكثيرة؛ بل أعلمه الله تعالى به، بل زعم أنه أطلعه على كل ما في علمه، فصار علمه كعلم ربِّه[٢]، أي صار نِدًّا وشريكًا لله تعالى في صفة

---

(١) «نفسه» (٩/ ٣٩٣) بتصرف.

(٢) راجع: «المهدي» للمؤلف ص(٢٨٢، ٢٨٣).

العلم المحيط بالغيوب التي لا نهاية لها، ومن أصول التوحيد أنه تعالى لا شريكَ له في ذاته ولا في صفة من صفاته، والرسول -صلى الله عليه وسلم- عبدُ الله، لا يعلم من الغيب إلا ما أوحاه الله تعالى إليه، لأداء وظيفة التبليغ.

ولكن الغلاةَ يرون من التقصير في مدح النبي -صلى الله عليه وسلم- وتعظيمه أن تكون صفاته دون صفات ربه وإلهه، وخالق الخلق أجمعين، فكذَّبوا كلام الله تعالى، وشبَّهوا به بعض عبيده؛ إرضاءً لغلوهم، ومثل هذا الغلو لم يُعْرَفْ عن أحد من سلف هذه الأمة، ولو أراد الله تعالى أن يُعْلِمَ رسوله -صلى الله عليه وسلم- بوقت قيام الساعة، بعد كل ما أنزله عليه في إخفائها، واستئثاره بعلمه، لما أكَّده كلَّ هذا التأكيد في هذه السورة وغيرها؛ كقوله -عز وجل-: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾[1]». اهـ.

الْحِكْمَةُ في تَقْدِيمِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَدِلاَلَةِ النَّاسِ عَلَيْهَا

ثبت في حديث جبريلَ المشهورِ أنه قال لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ»، فقال -صلى الله عليه وسلم-: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**»، قال: «فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا»[2]، وفي رواية قال: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا...**» الحديث[3].

---

(١) «تفسير المنار» (٩/ ٣٩١، ٣٩٢).

(٢) روى هذا اللفظ مسلم في «صحيحه» (٨).

(٣) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨).

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى-: «والحكمة في تقدم الأشراط إيقاظُ الغافلين، وحثُّهم على التوبةِ والاستعداد»(١).

ونقل القرطبي -رحمه الله تعالى- عن العلماء قولهم: «والحكمة في تقديم الأشراط ودلالة الناس عليها: تنبيهُ الناس عن رقدتهم، وحثُّهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة؛ كي لا يُبَاغَتُوا بالْحَوْلِ بينهم وبين تدارك العوارض منهم، فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة قد نظروا لأنفسهم، وانقطعوا عن الدنيا، واستعدوا للساعة الموعود بها، والله أعلم، وتلك الأشراط علامةٌ لانتهاء الدنيا وانقضائها»(٢).

---

(١) «فتح الباري» (١١/ ٣٥٠).

(٢) «التذكرة» ص(٦٢٤).

الفَصْل الخَامِسُ

سُوءُ فَهْمِ الْعَوَامِّ لاَ يُسَوِّغُ إِنْكَارَ النصوصِ وتَأْوِيلَهَا

ذلك أن بعض الناس يجعلون تصديقهم بأمر المهدي مُسَوِّغًا لإعراضهم عن الدعوة إلى الإسلام، وإنكارِ المنكرات، ومنهم من يُسْقِطُ التكاليفَ ويهدرها مُدَّعين أنهم ينتظرون خروجَ المهدي؛ ليغير وجه العالم، نقول لهؤلاء: إن الأمور الكونية القدرية التي أخبر بها الوحي واقعةٌ لا محالة، وغاية ما كلَّفنا الله به إزاءها التصديقُ بها قبل وقوعها(١)، والالتزام بما نصحنا به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعد وقوعها، ولم يأمرنا قطُّ بتكلُّف إيجادها، وهناك الكثير من العقائد الثابتة قد يسيء العوام فهمها؛ فيترتب على ذلك الانحرافُ عن الصراط المستقيم، وما مَثَلُ الاعتقاد في ظهور المهدي، ونزول عيسى عليه السلام، إلا كَمَثَلِ الاعتقاد في القضاء والقدر؛ فقد يسيء الكثيرون فَهم هذه العقيدةِ، وبدلًا من أن تكون حافزًا على الجد والاجتهاد، والتسابق إلى الطاعات، اتخذوها مَطِيَّةً إلى التواكل، وإهدار التكاليف، بل منهم من استحلَّ بها المحرماتِ، فهل يُعالَج هذا بإنكار الاعتقاد في القضاء والقدر؛ كما زعمت القدرية؟ كيف وهو من أصول الإيمان الستة؟!

---

(١) وذلك مثل أمره صلى الله عليه وآله وسلم مَن سمع بالدجال أن ينأى عنه، ومن أدركه أن يقرأ عليه فواتح سورة الكهف، وكذا أمره المؤمنين -من حضر منهم انحسار الفرات عن كنز من ذهب- ألَّا يأخذ منه شيئًا.

بل الصواب أن نؤمن بالقدر ونثبته؛ فلا يصح بحال أن نحتجَّ بالقدر في مخالفة الشرع الحنيف، وإبطال تكاليفه كما هو شأن المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ الآية [الأنعام: ١٤٨]، والذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ الآية [يس: ٤٧] وقد رد الله ذلك عليهم وأبطله، ولم يقبلْهُ منهم.

والحاصلُ أن العدل هو الوسط؛ فنصدِّقُ بما أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم على وجهه؛ فلا ننفي ما أثبته، ولا نثبت ما نفاه، ولا نفتري عليه الكذبَ بالأحاديث الموضوعة والأقوال المتهافتة، ولا نَعْرِض لسنته صلى الله عليه وآله وسلم بالشبهات المُغْرِضَةِ، ولا نحتج بأخباره على إبطال شرعه، ونقض أحكامه؛ فإن الله -عز وجل- لم يجعل لعمل المؤمن منذ كُلِّف أجلًا دون الموت: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩].

يتضح مما تقدم أن الإيمان بأشراط الساعة يُحَفِّزُ على الاجتهاد في الأخذ بأسباب النجاة، واستفراغ الوُسْعِ في الاستعداد للقاء الله تعالى بالأعمال الصالحة، والسعي لتمكين دين الله في الأرض، وذلك بخلاف ما يحصل من بعض الناس الذين يتكئون على أشراط الساعة، ويتوقفون عن العمل والسعي؛ بحجة انتظار المهدي، ونزول عيسى مثلًا؛ تمامًا كما يحصل من الكسالى الذين يسيئون فهم قضية «القضاء والقدر»، ويتخذون منها وسيلة لتسويغ تواكلهم وتوانيهم وتقصيرهم.

ومن الأدلة الواضحة على أن التصديق بأشراط الساعة ينبغي أن يكون حافزًا للعمل والاجتهاد:

ما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَو الدُّخَانَ، أَو الدَّجَّالَ، أَو الدَّابَّةَ، أَو خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ، أَو أَمْرَ الْعَامَّةِ**»[(١)]، وفي رواية: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: الدَّجَّالَ، وَالدُّخَانَ، وَدَابَّةَ الْأَرْضِ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَأَمْرَ الْعَامَّةِ، وَخُوَيْصةَ أَحَدِكُمْ**».

وقوله -صلى الله عليه وسلم-: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا**» أي: سابقوا ستَّ آيات دالة على وجود القيامة، وسارعوا بالأعمال الصالحة قبل وقوعها وحلولها؛ فإن العمل بعد وقوعها وحلولها لا يُقبل، ولا يُعتبر.

وقوله -صلى الله عليه وسلم-: «**أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ**»، وفي رواية: «**خُوَيْصَةَ**» تصغير خاصة الإنسان؛ وهي ما يَخُصُّهُ دون غيره، وأراد به الموتَ الذي يخصُّه، ويمنعه من العمل، إن لم يبادر به قبله[(٢)].

وصُغِّرت لاستصغارها في جنب سائر العظائم، من بعث وحساب، وغيرهما.

قال القاضي: «أمرهم أن يبادروا بالأعمال قبل نزول هذه الآيات؛ فإنها إذا نزلت أدهشت، وأشغلت عن الأعمال، أو سُدَّ عليهم باب التوبة، وقبول العمل»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم (٢٩٤٧)، (٤/ ٢٢٦٧).

(٢) «جامع الأصول» (١٠/ ٤١٢).

(٣) «فيض القدير» (٣/ ١٩٤).

وقال العلائي: «مقصود هذه الأخبار الحث على البُداءة بالأعمال قبل حلول الآجال، واغتنام الأوقات قبل هجوم الآفات»[١].

وعن البراء بن عازب -رضي الله عنه- قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ الله -صلى الله عليه وسلم-، إِذْ بَصُرَ بِجَمَاعَةٍ فَقَالَ: **عَلَامَ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ هَؤُلَاءِ؟** قِيلَ: عَلَى قَبْرٍ يَحْفِرُونَهُ، قَالَ: فَفَزِعَ رَسُولُ الله -صلى الله عليه وسلم-، فَبَدَرَ بَيْنَ يَدَيْ أَصْحَابِهِ مُسْرِعًا، حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْقَبْرِ، فَجَثَا عَلَيْهِ، قَالَ: فَاسْتَقْبَلْتُهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ؛ لِأَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ، فَبَكَى حَتَّى بَلَّ الثَّرَى مِنْ دُمُوعِهِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، ثم قَالَ: **أَيْ إِخْوَانِي لِمِثْلِ الْيَوْمِ فَأَعِدُّوا**»[٢].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**»[٣].

وعن أم سلمة -رضي الله عنها- «أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- اسْتَيْقَظَ لَيْلَةً فَقَالَ: **سُبْحَانَ الله، مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْفِتْنَةِ؟ مَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الخزَائِنِ؟ مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الحجُرَاتِ؟ يَا رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٌ فِي الْآخِرَةِ**»[٤].

---

(١) «نفسه» (٣/ ١٩٥).

(٢) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٢٢٩)، وابن ماجه (٤١٩٥)، وأحمد (٤/ ٢٩٤)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٧٥١).

(٣) رواه مسلم (١١٨)، في الإيمان.

(٤) رواه البخاري (١١٢٦)، (٣/ ١٠-الفتح).

فقوله -صلى الله عليه وسلم-: «**مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الحجُرَاتِ؟...**» إلخ، يفهم منه إيقاظهن للصلاة والتهجد؛ لمدافعة الفتن، كما قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ الآية [البقرة: ٤٥].

وبلغ حرصُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على حث المسلمين على العمل المثمر ما أمكن العمل إلى حد قوله -صلى الله عليه وسلم-: «**إنْ قَامَتِ السَّاعَة وَفي يَدِ أَحَدِكُم فَسِيلَةٌ**[١] **فَإن اسْتَطَاعَ أَنْ لا يَقُومَ**[٢] **حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا**»[٣]، فإذا كان هذا والحياةُ تَلْفِظُ أنفاسها الأخيرة، فكيف إذا كان بيننا وبين الساعة آمادٌ مجهولةٌ لا يعلمها إلا الله تعالى؟

فالمسلمُ يَغْتَنِمُ لحظته الحاضرةَ بقطع النظر عن ماضٍ تولَّى، ومستقبلٍ هو غيبٌ، قال الشاعر:

إِنَّمَا هَذِهِ الحَيَاةُ مَتَاعٌ فَالجَهُولُ المَغْرُورُ مَنْ يَصْطَفِيهَا
مَا مَضَى فَاتَ وَالمُؤَمَّلُ غَيْبٌ وَلَكَ السَّاعَةُ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا

وعن داود قال: قال لي عبد الله بن سلام: «إن سمعت بالدجَّال قد خرج وأنت على وَدِيَّةٍ[٤] تغرسها، فلا تعجل أن تصلحه؛ فإن للناس بعد ذلك عيشًا»[٥].

---

(١) الفسيلة: النخلة الصغيرة.

(٢) أي: من محله الذي هو جالس فيه.

(٣) رواه الإمام أحمد (٣/ ١٨٣)، والطيالسي (٢٠٦٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٧٩)، وصححه الألباني على شرط مسلم في «الصحيحة» رقم (٩).

(٤) الوَدِيَّة: الفسيلة الصغيرة.

(٥) قال الألباني: «سنده صحيح» اهـ، من «الصحيحة» (١/ ١٢).

وروى ابن جرير عن عُمارة بن خزيمة بن ثابت -رضي الله عنه- قال: سمعت عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يقول لأبي: «ما يمنعك أن تغرس أرضك؟» فقال له أبي: «أنا شيخ كبير أموت غدًا»، فقال له عمر: «أَعزِمُ عَلَيْكَ لَتَغْرِسَنَّهَا»، فلقد رأيت عمرَ بن الخطاب -رضي الله عنه- يغرسها بيده مع أبي[1].

وعن الحارث قال: كان الرجل منا تُنْتَجُ[2] فرسُه فينحرها، فيقول: أنا أعيش حتى أركب هذا؟! فجاءنا كتاب عمر -رضي الله عنه-: «أن أصلحوا ما رزقكم الله، فإن في الأمر تنفسًا»[3].

(١) عزاه الألباني إلى «الجامع الكبير» للسيوطي (٣/ ٣٣٧/ ٢).
(٢) أي: تَلِد.
(٣) «صحيح الأدب المفرد» (٣٧٠)، ص(١٨٠).

تَنْبِيْهٌ

لا شك أنه كلما تقدم الزمن فإنا نصير أقربَ إلى الأشراط التي لَمَّا تقع، وهذا يستوجب مزيدًا من الحذر والاستعداد، ولعل أخطرَ هذه الأشراط طلوعُ الشمس من مغربها، وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا**»(١).

وقال -صلى الله عليه وسلم-: «**لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ مَا تُقُبِّلَتِ التَّوْبَةُ، وَلَا تَزَالُ التَّوْبَةُ مَقْبُولَةً حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن المغْرِبِ، فَإِذَا طَلَعَتْ طُبِعَ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ بِمَا فِيهِ، وَكُفِيَ النَّاسُ الْعَمَلَ**»(٢).

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى-: «إذا أنشأ الكافر إيمانًا يومئذٍ لا يُقْبَلُ منه، فأما من كان مؤمنًا قبل ذلك، فإن كان مصلحًا في عمله، فهو بخير عظيم، وإن كان مُخَلِّطًا فأحدث توبةً حينئذٍ، لم تُقبل منه توبة»(٣).

---

(١) رواه من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- البخاري (١١/ ٣٥٢- الفتح)، ومسلم (٢/ ١٩٤- نووي).

(٢) رواه الإمام أحمد (٣/ ١٣٣، ١٣٤)، رقم (١٦٧١)، وقال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده صحيح».

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٣٧١).

فهذا غاية أجل التوبة في حق عمر الدنيا، أما غايته في حق كل إنسان فَبَيَّنَهُ قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**إِنَّ الله يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**»(١)، أي: ما لم تبلغ رُوْحُهُ حُلْقُومَهُ.

وعليه فإن الواجب على المؤمن أن يميز بين ما يَعْنِيْه، وما لا يَعْنِيْه، وقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إِنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المرْءِ تَرْكَهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**»(٢).

ومن صور اشتغال المرء بما لا يعنيه أن يديمَ البحث: متى الساعة؟ مع أنه غيبٌ استأثر الله بعلمه، وإنما اشتغالُهُ بما يعنيه في هذا الباب أن يجتهدَ في الإعداد للساعة والتهيؤ لها، وبخاصة الساعة الخاصة به(٣)؛ وهي لحظة موته؛ ولذلك لما سأل رجل النبي -صلى الله عليه وسلم-: «يا نبي الله متى الساعة؟» لم يلتفت إلى سؤاله، وأرشده إلى الاشتغال بما يعنيه، وهو قوله -صلى الله عليه وسلم-: «**مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟...**»(٤) الحديث.

---

(١) رواه الإمام أحمد (٩/ ١٧-١٨)، (٦١٦٠)، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر.

(٢) أخرجه من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- الترمذي (٢٣١٨)، وابن ماجه (٣٩٧٦)، وحسَّنه النووي -رحمه الله تعالى-.

(٣) وهي التي قال فيها -صلى الله عليه وسلم-: «بادروا بالأعمال ستًّا» ذكر منها: «وَخُوَيْصَةَ أَحَدِكُمْ» أي: ساعة موته الخاصة به، وعن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-، قالت: «كان الأعراب إذا قدموا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سألوه عن الساعة: متى الساعة؟ فنظر إلى أحدث إنسان منهم، فقال: إن يعش هذا، لم يدركه الهرم، قامت عليكم ساعتكم»، رواه مسلم (٢٩٥٢)، يعني يموت ذلك القرن، أو أولئك المخاطبون، وانظر: «فتح الباري» (١٠/ ٥٥٦)، وراجع: بيان «الراغب» لمعاني الساعة، ص(١٨-٢٠).

(٤) رواه البخاري (٦١٦٧)، (١٠/ ٥٥٣)، ومسلم (٢٦٣٩)، (١٦٣).

لقد قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ [الحجر: ٩٩]، فلم يجعل الله تعالى لعمل المؤمن أجلًا دون الموت، فما دام في المؤمن عرقٌ ينبض بالحياة فهو مكلف بالعمل الصالح، بغض النظر عما يتوقعه من أشراط الساعة، والله تعالى أعلم.

الْفَصْلُ السَّادِسُ

أَسْبَابُ ظَاهِرَةِ الْعَبَثِ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ

لقد شاع في السنوات الأخيرة ظاهرة الإلحاح في محاولة المطابقة بين النصوص الواردة في أحداث آخر الزمان وبين الوقائع المعاصرة والمتوقعة، وقذفت المطابع بعشرات الكتب، وعشرات النشرات، والمقالات، والأشرطة، فيها خَوضٌ في «أشراط الساعة»، مرة بحق ومرات بالظن، والقول على الله بغير علم، واختلط الحق بالباطل، والتبست الأمور على الجمهور حتى صار المناخ مهيًا لتفريخ مهديٍّ موهوم، أو مسيحٍ كذَّاب، أو منقذٍ دجَّال، وفيما يلي نحاول رصد بعض أسباب تلك الظاهرة:

السَّبَبُ الْأَوَّلُ

شيوعُ الفتن، وظهورُ المنكرات، وَتَحَقُّقُ كثير من أشراط الساعة الصغرى.

السبب الثاني

ذَهاب العلماء، وقعود المتأهلين عن التحمل والبلاغ، وبالتالي غياب أو ضعف المرجعية الشرعية التي يفزع الناس إليها -لا إلى غيرها- في النوازل بحثًا عمن يضبط لهم الأمور، إعمالًا لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [النساء: ٨٣]، وقوله تعالى: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

في الوقت الذي نبغت فيه طوائف «متطفلة» من «أنصاف، وأرباع» المتعلمين، فضلًا عن المبتدعة، والغوغاء الجاهلين الذين فرضوا أنفسهم فرضًا على الساحة الفكرية، وشكلوا «مراكز قوى» تبادر من تلقاء نفسها إلى أن تدلي بدلوها في كل نازلة عبر وسائل الإعلام، وتفتئت على المرجعية الشرعية؛ إن لم تسفه أقوالها، وتَفْرِ أعراضها، وتضغط عليها.

عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: **ضَافَ ضَيْفٌ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَفِي دَارِهِ كَلْبَةٌ مُجِحٌّ**[١]، فَقَالَتِ الْكَلْبَةُ: «وَاللهِ لَا أَنْبَحُ ضَيْفَ أَهْلِي»، قَالَ: فَعَوَى جِرَاؤُهَا[٢] فِي بَطْنِهَا، قَالَ: قِيلَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: فَأَوْحَى اللهُ -عز وجل- إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ: «هَذَا مَثَلُ أُمَّةٍ تكُونُ مِنْ بَعْدِكُمْ يَقْهَرُ سُفَهَاؤُهَا أَحْلَامَهَا»[٣][٤].

وقال -صلى الله عليه وسلم- للأعرابي الذي سأله: متى الساعة؟: «**إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ؛ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**»، قال: كيف إضاعتها؟ قال: «**إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إلى غَيرِ أَهْلِهِ؛ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**»[٥].

---

(١) مُجِحٌّ: حامل قَرُبَ وقت ولادتها.
(٢) الجرو: الصغير من ولد الكلب والأسد والسباع، وجمعه: جِراء، وأَجْراء.
(٣) أحلامها: عقلاءها.
(٤) رواه الإمام أحمد (٢/ ١٧٠)، رقم (٦٥٨٨)، وقال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده صحيح»، وقال في «مجمع الزوائد»: (رواه أحمد والبزار والطبراني) اهـ. (٧/ ٢٨٠).
(٥) رواه البخاري (١/ ١٤٢-فتح).

السبب الثَّالثُ

الاضطهاد العالمي للإسلام وأهله، في مقابلة ضعف الأمة، وهذا واضح لكل ذي عينين، فقد دقَّ الغرب بقيادة أمريكا طبول الحرب ضد الإسلام حتى قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر بسنوات، وبدأ المفكرون والساسة -الغربيون- بمجرد انهيار وتفكك «الاتحاد السوفييتي» في البحث عن «عدو»، ورُشِّحَ الإسلام لذلك، وتعالت صيحاتُ مفكريهم؛ مثل «هنتنجتون» وغيره بحتمية الصراع بين الحضارات، وكتب منظروهم مثل: «نيكسون»، وغيره، مُحَذِّرِينَ من الخطر الإسلامي، وجزم بعضهم بأن «القرن القادم هو قرن الحروب الدينية»، وشاع في الغرب ما سمي بـ «رُهاب الإسلام» Islamophobia، وكان لأحداث البلقان والمذابح الوحشية المتتالية للمسلمين هناك، وكذا انفجار الانتفاضة في فلسطين المباركة، وأحداث الجزائر، والشيشان، والخليج الإسلامي، وإندونيسيا، والسودان، ثم أفغانستان، والعراق، والصومال، وغيرها أثر عميق في نفوس المسلمين؛ إذ رأوا الانحياز الظالم للغرب ضدهم، وعاينوا نفاق الغرب المدعي حماية حقوق الإنسان، وكيف أن الغرب كان يأكل -تحت وطأة الشَّرَهِ الصليبي- «صنم العجوة»[(١)] الذي يعبده باسم الحرية، والديمقراطية، وحقوق الإنسان، كل هذا وغيره ولَّد شعورًا بالمرارة، والظلم، والقهر، ضاعفه الحملاتُ القمعية الشرسة داخل بعض بلاد المسلمين ضد الدعاة إلى الله، ورموز الإسلام،

---

(١) الإشارة إلى ما رُوي من أن بعض الناس في الجاهلية كان يصنع صنمًا من العجوة؛ ليعبده، فإذا جاع أكله.

وأطلقت يد وسائل الإعلام العالمانية التي عاثت في الأرض فسادًا، وصدَّت الناس عن سبيل الله بدعوى محاربة ما أسموه «التطرف، والإرهاب، والأصولية» . . . إلخ.

لقد تراكم الشعور بالظلم في النفوس المكبوتة، واقترن ذلك بتدهور حال الأمة، وتداعي الكفارِ عليها تداعِيَ الأكلة إلى القصعة، ففزع البعض إلى مواجهة هذه الأوضاع «بالفِرَار» إلى التطلع إلى ظهور المهدي، ونزول المسيح عليه السلام، وهذا -في الجملة- لا يُنكر، كما سنبين إن شاء الله تعالى[١].

لكن المنكر أن بعضهم حاد عن الضوابط العلمية، وقفز فوق السنن الكونية، وتقوَّل على الله بغير علم، حين حدَّد بعض الشخصيات المعاصرة على أنها المقصودة في بعض الأحاديث، أو زعم أن المهدي موجود الآن في مكان كذا، أو رسم صورة تفصيلية لأحداث المستقبل -وهو غيب لا يعلمه إلا الله- بمجرد الظن والتخمين.

ومن هنا نشأت ظاهرة «العبث بأشراط الساعة»، التي راجت في السنوات الأخيرة.

السَّبَبُ الرَّابِعُ

انفتاح المسلمين على «الإسرائيليات» القديمة والمعاصرة[٢]، وتأثر البعض بـ«هَوَسِ»، أو «حُمَّى» الألفية الجديدة الرائجة في العالم الغربي،

---

(١) انظر: ص(٢٥٤).

(٢) انظر: فصل «ظاهرة التطبيع مع الإسرائيليات» ص (١٩٦).

والمسيطرة على صُنَّاع القرار هناك، وهذا ما نبينه في الباب التالي إن شاء الله.

تنبيه

ينبغي التفريق بين «تقبل» و«تصديق» هذه الإسرائيليات بنوعيها، وبين «رصد» أفكار الخصم من باب «اعرف عدوك»، ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥]، وليفهم أولو الرأي من المسلمين مقاصد الأعداء بهم، وكيف يفكرون؟ وماذا يخططون؟

على أن ينحصر الاشتغال بها في المختصين بذلك ما أمكن؛ حماية للعوام من الوقوع في حبائل تلك الإسرائيليات وتقبلها، والتسليم لها، والبناء عليها؛ كأنها وحي منزل.

الباب الثَّاني

مَجالاتُ الْعَبَثِ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ

الباب الثّاني

مَجَالَاتُ الْعَبَثِ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ

نعرض في هذا الباب بعض المجالات التي كانت مَسْرَحًا لخوض الخائضين -بغير علم- في بعض أشراط الساعة، وإن مطالعة هذا الباب لتحتاج من القارئ أن يستجمع صبره على ما سوف نورده من مزاعم فجَّة، وأكاذيب مفضوحة.

لقد أذاع ممثل سينمائي عالمي يدعى «أورسون ويلز» يوم أول أبريل قبل نحو خمسة وأربعين عامًا من محطة إذاعة «لندن» خبر تعرض الأرض لهجوم ساحق من سكان المريخ، وراح يصف الهجوم وأحداثه لحظة بلحظة، وكأنها تقع فعلًا، حتى أشاع الذعر والرعب والهلع بين الناس لمدة ساعتين قبل أن يعترف بأنها مجرد «كذبة أبريل»[1].

وإن العابثين بأشراط الساعة مِن بني جلدتنا ليريدون أن يجعلوا كل أيامنا أول أبريل، ويجعلوا منا -إذا صدقناهم- حمقى ومغفلين[2].

---

(١) انظر: «الأطباق الطائرة ومثلث برمودا بين الحقيقة والخرافة» ص(٦٢).

(٢) يطلق الإنكليز على أول أبريل يوم «جميع الحمقى» (All Fools Day)، ولعل من أشهر ما وقع في أوربا في أول أبريل: (أن جريدة «Evening Star» أعلنت في ٣١ مارس ١٨٤٦م أن غدًا -أول أبريل- سيقام معرض للحمير عام في غرفة =

وقد يتعجب القارئ المكرَّم لهذه المقدمة، ولكن سرعان ما سيزول العجب إذا عُرفَ السبب!!

= الزراعة لمدينة «اسلنجتون» من البلاد الإنكليزية، فهُرع الناس لمشاهدة تلك الحيوانات، واحتشدوا احتشادًا عظيمًا، وظلوا ينتظرون، فلما أعياهم الانتظار سألوا عن وقت عرض الحمير، فلم يجدوا شيئًا، فعلموا أنهم المقصودون) اهـ. بتصرف من «كذبة أبريل: أصلها التاريخي، وحكمها الشرعي» للدكتور عاصم القريوتي ص(١٥).

الفَصلُ الأَوَّلُ

عَبثُهُمْ بِعَلاَمَةِ خُرُوجِ المَهْدِيِّ

وهذه من أكثر الظواهر تكْرَارًا كما بيَّنتُه مفصلًا في كتاب «المهدي»، حتى اشتكى ابن خلدون -رحمه الله تعالى- من كثرة مُدَّعي المهدية، وتوقعاتِ الذين يَرْجُمُونَ بالغيب فقال: «إلى كلام من أمثال هذا، يُعَيِّنون فيه الوقتَ، والرجلَ، والمكانَ، بأدلة واهية، وتحكمات مختلفة، فينقضي الزمانُ، ولا أثرَ لشيء من ذلك، فيرجعون إلى تجديد رأي آخرَ مُنْتَحَلٍ كما تراه من مفهومات لغوية، وأشياء تخيلية، وأحكام نجومية، في هذا انقضت أعمار الأول منهم والآخِر»[١] . اهـ.

ومن ذلك قول «محمد عيسى داود»[٢] : إن المهدي «إسرائيلي الجسم»، ويشرحها بأن المقصود أنه ليس من البدو، ثم يضيف: «فهي لمسة لطيفة تعني: لا تلتفتوا لمن يدعي المهدية لنفسه، خاصة من البلاد التي ترتدي الجلباب والعقال»[٣] !!

بل تراه يحدد -بدقة- زي المهدي، فيقول:

«المهدي يلبس الزيَّ الرومي؛ يعني لبسه الأساسي هو الزي المدني الحالي بجميع أشكاله الحضارية المدنية الحالية، فهو ليس غريبًا في

(١) «تاريخ ابن خلدون» (١/ ٥٨٢).

(٢) رائد العابثين بأشراط الساعة الملقب -لكثرة أسفاره- بـ«السندباد المصري».

(٣) «المفاجأة» ص(٨٨، ٨٩).

هيئته عن الحضارة الغربية، وأحيانًا يرتدي العباءة والجلباب كما يرتديها أحدنا، وفي البرودة له «بالطو» مثل بالطو الإسكيندناف الروس، ولكن زيَّه الرسمي البدلة والكرافت»[١].

ويقول «محمد عيسى داود» وهو يفتري ملابسات خروج المهدي، وما يعقبه: «يعلن تلفاز المهدي وإذاعاته على العالم كلِّه أن سلطات الأمن قبضت على جواسيس ومخربين من روما والفاتيكان، واعترفوا بأن «البابا» الجالس على عرش الفاتيكان يومئذٍ بدأ يجهز خطة سرية للقضاء على المهدي اغتيالًا، وأن الحكومة الإيطالية اشتركت معه بشبكات من المافيا[٢]، ثم يعترف الجواسيس بالصوت والصورة على الهواء مباشرة، ثم تتحرك جيوش المهدي قاصدة روما والفاتيكان . . .» وهكذا -على نفس المنوال- يسبح في بحر من الكذب والافتراء، وفي غيبوبة هذا الدجل لا يجد غضاضة من أن يتبجح بقوله: «هذه الأحداث نبوءات ليست من تأليفي، إنها واردة في المخطوطات العربية والإسلامية لدى شرق وغرب»[٣].

وفي موضع آخر يصف لحظة وقوف المهدي أمام الركن اليماني: «فإذا برجل يهجم عليه، ويصيح: «أنت المهدي المنتظر»، وصرخ في الملأ بالحرم المكي الشريف: «إن خير البشر (؟) قد ظهر، إنه المهدي المنتظر»، وهنا يتقدم جمع من علماء المسلمين الذين يحجون البيت في

(١) «نفسه» ص(٩٠).

(٢) «المهدي المنتظر على الأبواب» ص(٢٣٨) وما بعدها.

(٣) «نفسه» ص(٧١) وما بعدها.

هذا العام المبارك، ومنهم من كان يرقب توقيته، أشجعهم عالم من مصر يواجهه بقوله: أنت بإذن الله هو المهدي»[١]!

ومن غرائب الصفات المزعومة للمهدي قول بعضهم: «في لسانه ثِقَلٌ، إذا أبطأ عليه الكلام ضرب فخذه اليسرى بيده اليمنى فينطلق، هذا ما وردت به الآثار، وفي كثير من الأسفار، ولا داعي للإطالة بإيراد نصوصها، فإن الاختصار من صفات البيانات العاجلة.

أما عن سبب تلقيبه بالمهدي؛ فلأنه يهدي لأمر خفي، ويستخرج التوارة والإنجيل»[٢].

ولقد قرأت مقالًا في إحدى الساحات الحوارية[٣] لكاتب أفاض في الأحداث التي خَمَّنَ وقوعها بين أمريكا والصين عمَّا قريب، والتي ستنتهي في زعمه بخروج المهدي من تايوان، إي والله ... حتى المهدي «تايواني» في نظر أولئك العابثين!!

---

(١) «نفسه» ص(٦٥) وما بعدها.

(٢) «هرمجدون» ص(٧٨).

(٣) «موقع القلعة العربي» بتاريخ (١٥/ ١١/ ١٤٢١هـ)، مقالة بقلم «نور الدين» بعنوان: «المهدي يخرج من تايوان».

الفَصْلُ الثَّانِي

عَبَثُهم بِعَلَامةِ المَسِيح الدَّجَّالِ

وإذ أتينا إلى ذكر الدجال فإنه يتحتم أن نقول مقدمًا: إن وجود العابثين اللاعبين بأشراط الساعة، وبالهيئة التي سنراها، هو في حد ذاته من أشراط الساعة التي أخبر بها الصادق المصدوق فيما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، يَأْتُونَكُمْ مِن الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ، لَا يُضِلُّونَكُمْ وَلَا يَفْتِنُونَكُمْ**»(١).

وأخص بالذكر منهم: الصحافي المتلبس بجريمة القول على الله بغير علم.

وسأقتصر على ذكر كلام بعضهم دون تعليق؛ لأن مجرد سرده وثيقة إدانة تُوجبُ الحَجْرَ عليهم استصلاحًا للديانة؛ ولأن فساد كلامهم يُغني عن إفساده، وبطلانه يغني عن إبطاله.

ينقل «محمد عيسى داود» عن «دان شمرون» في خطبته أمام الخريجين الجدد اليهود لإحدى الكليات الحربية بتل أبيب قولَه: «إن سنة ٢٠٠٠ سوف تشهد نشوء قيادة جديدة»، ثم يقول -أي: محمد عيسى- «يقصد

(١) رواه مسلم في «المقدمة» رقم (٧)، والطحاوي في «المشكل» (٤/ ٢٠٤).

المسيخ الدجَّال» ثم يقول: «والحقيقة أن ما صرح به (دان شمرون) معتمدًا على معلومات أكيدة من رجال المسيخ بالكنيست الإسرائيلي، أو مستنبطًا من وثائق سرية لنبوءات حقيقية بالتوراة «المخبوءة»، وهو مطابق أو قريب جدًّا لحساباتي، وحَدْسي، واستبصاري الذي استلهمت فيه إيماني بالله، واستقرأت ما بين السطور في أحاديثَ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- نبي البشرية الأمين، ولو كره ذلك الأغبياء والضالون»(١).

ويدعي أن كتابه المسمى «احذروا: المسيخ الدجَّال يغزو العالم من مثلث برمودا»(٢) سيصدم المسيخ الدجَّال؛ فيقول: «والصدمة هنا

---

(١) «احذروا: المسيخ الدجال يغزو العالم من مثلث برمودا»، ص(١٤١، ١٤٢).

(٢) وإنما اختار «السندباد المصري» جزيرة «برمودا» استثمارًا لما يشيع من حوادث اختفاء الطائرات والسفن في مثلث «برمودا» الشهير، وما أُلِّف حولها من عشرات الكتب، في حين [توضح الإحصائيات أن ما يحدث في مثلث برمودا من حوادث الموت والتدمير أقل مما يحدث في أماكن كثيرة مماثلة في العالم، مما ينفي تلك اللعنة التي أُلصقت بذلك المثلث البريء، والذي تشير الإحصائيات إلى أنه أكثر أمانًا من أية مساحة مماثلة فوق أرض الولايات المتحدة ذاتها.
(وتظهر عدم دقة هؤلاء المؤلفين وتقديم معلومات خاطئة، أو ذكر عبارات مثيرة مضللة، أو أقوال ليس لها من أساس، يظهر هذا وغيره من التحقيقات الجادة التي تثار عادة بعد نشر هذه المعلومات الغريبة . .).
وربما غرقت بعض السفن في أماكن بعيدة، ثم إذا بالمؤلفين الدجالين يدعون أنها كانت تبحر في مثلث برمودا، فالسفينة البريطانية (British York) غرقت قريبًا من (New Found Land) المقابلة لسواحل أيرلندا، والسفينة الألمانية «فريبا» غرقت في المحيط الهادي، لكن خيال المؤلفين ادعى غرقهما في مثلث برمودا].
اهـ. من (الأطباق الطائرة ومثلث برمودا بين الحقيقة والخرافة)، ص(٥٦، ٥٧).

للمسيخ[1]؛ لأن هذا الكتاب بلا شك -وإن شاء الله- هو أول كتاب يعرض المسيخ عاريًا في كل شيء؛ في فكره، في تصوراته، في تحركاته، في أماكنه الخفية وعلاقاته»[2].

ويقول «سعيد أيوب» بعد ما ذكر بعض صفات والدَيْ الدجال: «وفي هذا إشارة إلى ضرورة رصد الدجَّال بالبحث وراءه في شهادة ميلاده، وشهادة توثيق زواج أمه من أبيه؛ لتحديد متى ولد بعد زواج أمه من أبيه»[3]!

أما «السندباد المصري» محمد عيسى داود فقد جعل من سيرة الدجال المطولة بالأكاذيب سيرة شعبية مثل سيرة عنترة بن شداد، وسيرة تغريبة بني هلال، فهو يزعم أن ميلاد المسيح الدجَّال «تم منذ أربعة قرون تقريبًا، وهو ميلاد عجيب؛ لأن النطفة التي تخلَّق منها شارك فيها

---

(١) وهو يصر على ترجيح تسميته بالمسيخ، كما في كتابه المذكور ص(١٢، ١٤)، مع كون هذا تصحيفًا، انظر: «فتح الباري» (١٣/ ٩٤)، حتى قال القاضي ابن العربي -رحمه الله تعالى-: «ضَلَّ قومٌ فرووه (المسيخ) بالخاء المعجمة، وشَدَّدَ بَعْضُهُم السين ليفرقوا بينه، وبين المسيح عيسى ابن مريم بزعمهم، وقد فرق النبي -صلى الله عليه وسلم- بينهما بقوله في الدجال: «مسيح الضلالة»؛ فدل على أن عيسى مسيح الهدى؛ فأراد هؤلاء تعظيم عيسى، فحرَّفوا الحديث». اهـ. «فتح الباري» (١٣/ ٩٤)، وانظره أيضًا: (٢/ ٣١٨).

(٢) «احذروا»، ص(١١).

(٣) وذلك بناء على رواية الترمذي، عن أبي بكرة مرفوعًا: «يَمْكُثُ أَبُو الدَّجَّالِ، وَأُمُّهُ ثَلاثِينَ عَامًا لَا يُولَدُ لَهُمَا وَلَدٌ، ثُمَّ يُولَدُ لَهُمَا غُلَامٌ أَعْوَرُ، أَضَرُّ شَيْءٍ، وَأَقَلُّهُ مَنْفَعَةً»، والحديث في (ضعيف الترمذي)، (٣٩٢) ص(٢٥٣).

الشيطان، فهو مُهَجَّنٌ، أو خليط بين الإنس والشيطان، فهو من مواليد الحيض، أبوه أتى أمه في الحيض، وحدث الحمل الشيطاني، ويحتمل جدًّا أن يكون أباه (كذا!) ابن أمه، فهو في النهاية مولَّد عن زنًا خطير»[1]. اهـ.

ويقول أيضًا: «والمسيخ صديق شخصي لإبليس، والعكس صحيح، وهما الآن ملكان يجلسان على عرش واحد أحدهما مرئي، والآخر لا مرئي إلا لجنسه من الأبالسة والجن»[2].

وتأمل تخبطه في العبارة التالية:

«وربما -والله أعلم- يكون عمره يزيد على ١٥٠٠ سنة، فهو الشبيه البشري بإبليس، أو هو النسخة البشرية من إبليس، ولو شبهنا إبليس بمادة، فالمسيخ الدجَّال هو القنينة، فما هو إلا جسد يؤدي مهمة المسيخ، وإن كنت أرجِّح أنه من مواليد القرن السابع عشر الميلادي، وعلى أقصى تقدير السادس عشر، والله تعالى أعلم»[3]. اهـ.

نقول: ﴿هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ الآية، [الأنعام: ١٤٨].

وهو يجزم بأن المسيح الدجَّال «من مواليد اليمن، فهم أذكى أجناس اليهود»[4]، ثم يضيف: «وربما -والله أعلم- يكون من مواليد سوريا،

---

(١) «احذروا» ص(١٦).

(٢) «ما قبل الدمار» ص(٢٠٥، ٢٠٦).

(٣) «احذروا» ص(٢١).

(٤) «نفسه».

لكنني أرجِّحُ أنه يمني المولد»[١]، غير أنه عاد في موضع آخر ليقول: «كذلك هداني الله -عز وجل- إلى أنه من مواليد الشام . . . وبالذات من السامرة بفلسطين، وكنت أحسبه -مجتهدًا في هذا الحسبان- من مواليد اليمن، لظني أنهم أذكى اليهود»[٢]، وقال: إنه أورد في كتابه «الخيوط الخفية» معلومات عن بداية نشأة الدجال من مخطوطات شديدة الندرة، ثم قال: «وعليه: فإن صح ما أتيت به من معلومات عن نشأة المسيخ الدجَّال؛ فهذا يُلغي ما ذكرته في كتابي «احذروا المسيخ» من أنه من مواليد اليمن -وإن كان عاش في اليمن، ونهل من معين بعض علمائها- وقد حدست من قبل أنه من مواليد سوريا، لكنه من مواليد السامرة، وعلى أي حال كلتاهما بالشام»[٣]. اهـ.

ويستمر مسلسل الدجل والكذب، فيفتري قصة طويلة مملة عن نشأة الدجال وأسرته والقوم الذين نشأ فيهم، وكيف أن الله تعالى أمر جبريل الأمين أن يخسف بهم الأرض إلا طفلًا صغيرًا في قصر الحاكم -وهو الدجال- عليه أن يحمله إلى جزيرة في بحر كبير يسمى «بحر اليمن»[٤].

ويحلق بنا «السندباد المصري» في آفاق الدجل والدجالين، فيدعي أن الدجال رحل إلى مصر بعد سنوات من حياته في «السامرة»، حيث الفراعنة يحكمون، وبدأ يتقرب إلى أحد كهنة مصر الكبار، ويُغريه

(١) «نفسه» ص(٢٣) وحذار أن تسأل عن دليل أو توثيق؛ فإنما هو الحَدْسُ، والتخمين!
(٢) «ما قبل الدمار» ص(١٩٤).
(٣) «الخيوط الخفية» ص(١١).
(٤) «نفسه» ص(٣٢).

بمعسول الكلام المهذب أنه سيكون الخادم الأمين له، والابن المطيع على أن يعلمه الحكمة والعلم، ويقربه إلى الفرعون الحاكم[١].

ويدعي «السندباد المصري» أن الدجال هو السامري ذلك الرجل الكافر في عهد الرسول موسى -عليه السلام-، وطرده موسى -عليه السلام- من مصر فهو يخرج في آخر الزمن؛ لينتقم من شعب مصر لأنهم طردوه . . .[٢]

ويدافع عن خيالاته في شأن السامري قائلًا: «إنني لم أجتهد في أصل تام من أصول الشريعة أو العقيدة، أو في معلوم من الدين بالضرورة، فهذه ثوابت لا نقاش فيها، إنما اجتهدت في مجال مفتوح، لا أؤاخذ به إن أخطأت، بل لي أجر، فما البال إن أصبت، وأجرى الله على يدي ما لم يسبقني فيه أحد؟»[٣].

«والمسيخ الدجال رجل تعلم في «مصر الفراعنة»، وبرع في علوم الكهانة، والنجوم، والسحر، والهندسة بكل فروعها، والطب بكل فروعه، وحتى علوم النبات، والحيوان، والمعادن، والفيزياء، والكيمياء، والرسم .. وإن كان لم يظفر ببغيته من علوم الكهنة، فقد ضنُّوا عليه بها، وأعطوه القشور والفتات الذي نماه مع الزمن !!»[٤].

---

(١) «نفسه» ص(٤٥، ٤٦).

(٢) «ما قبل الدمار» ص(٦٦).

(٣) «نفسه» ص(١٣٤) وانظره: ص(١٣٠).

(٤) «نفسه» ص(١٩٩).

بيد أنه يقول في موضع آخر: «والمسيخ الدجال رجل تعلم في إنجلترا، وبرع في علوم الهندسة بكل فروعها، والطب بكل فروعه، وحتى علوم النبات، والحيوان، والمعادن، .والفيزياء، والكيمياء، والرسم»(١).

ويدعي أنه مضى في رحلته إلى بلاد العرب، فنزل اليمن والشام والعراق، ثم أفريقيا الجنوبية، ثم إلى بلاد المغرب، ثم توجه إلى الأمريكتين(٢).

ويدعي أن الريح أخذته إلى بلاد الإنجليز والأيرلنديين والأسكتلنديين، ثم بلاد الفرنسيين، ولم يطب له المقام فيها، فعاد إلى أمريكا الجنوبية، ورسا هذه المرة على شاطئ «بورتريكو»(٣).

ويدعي أن المسيح الدجال طاف بلاد «الغال» (؟!)، ثم البلغار، ثم الأورال، ثم الغز، ثم جورجان، ثم عاد إلى جزيرته الخضراء ببحر اليمن، وادعى أنه: أحاط علمًا بعدة لغات من الهيروغليفية إلى لغات شعوب ما وراء النهرين(٤)، ويدعي في موضع آخر أن الدجال رحل إلى بلاد الهند والبوذا، واليابان والصين(٥).

ويزعم أيضًا أن المسيح الدجال قد «تولاه أكثر من شخص بالتبني من اليهود ... إلى أن تبنته شخصية يهودية في إنجلترا، ونقلته من أرض

---

(١) «احذروا» ص(٢٩).
(٢) «الخيوط الخفية» ص(٧٢).
(٣) «نفسه» ص(٧٧).
(٤) «الخيوط الخفية» ص(٥٩).
(٥) «نفسه» ص(٦٣).

العرب إلى بلاد الغرب؛ لينشأ هناك، ويدرس كل العلوم الحديثة، ويحتل عقولًا بالهيمنة، ويتفق معهم على بناء قلعة خارج العالم»[(١)].

ويقول في موضع آخر: «وهيمن المسيخ على شخصيات يهودية في إنجلترا، وأقام شبكات على شتى الأنواع في بلاد الغرب، وبث فكره العلماني في كل العلوم الحديثة، ويحتل عقولًا بالهيمنة، واتفق معهم على بناء قلعة خارج العالم»[(٢)].

- ويذكر أن به الآن «بعض الصلع في مقدم رأسه»[(٣)].

- أما عيناه فهو أعور العين اليسرى، وهي بشعة المنظر؛ لذا يداريها بدائرة سوداء، كما كان يفعل «موشي ديان»[(٤)].

- ويدعي أنه أحاط بأسرار ومفاتيح علوم عديدة؛ منها: الطب، وأنه استعان حتى بخبراء في طب أعصاب العيون من الجن والشياطين فعجزوا عن معالجته[(٥)].

-ويصفه بأنه حاكم «ديمقراطي»، بدليل أنه يمشي في الأسواق[(٦)].

- وهو رجل شاء الله له اشتعال غدته الصنوبرية[(٧)].

---

(١) «احذروا» ص(٢٣، ٢٤).

(٢) «ما قبل الدمار» ص(١٩٦).

(٣) «احذروا» ص(٢٥).

(٤) «نفسه» ص(٢٦).

(٥) «نفسه» ص(٢٧).

(٦) «احذروا» ص(٢٧).

(٧) «نفسه» ص(٢٩).

ويدعي أن المسيح الدجال «رجل سيظهر في ثوب حاكم، أو رئيس دولة، وغالبًا ستكون الولايات المتحدة الأمريكية»(١)، ثم يقول:

«ولا أستبعد أن يكون آدم وايزهاوبت(٢) يهودي الأصل، بل لا أستبعد أن يكون هو نفسه المسيخ الدجال، لو كان أعور العينين، ولو كان معي صورة له لحددت ذلك الأمر(٣)، وإن كنت أغلِّب أنه حلقة الوصل، أو الصديق المخلص جدًّا للمسيخ الدجَّال، أو ممثله الشخصي أمام الروتشيلديين الأثرياء اليهود، ثم من يختارهم لتكوين المنظمة السرية»(٤). اهـ.

ويدعي أنه « تحالف مع إبليس ووقَّعَا عقدًا كتابيًّا بينهما، واتفقا على إنشاء قصر مركزي لإبليس قرب برمودة، على أن يكون مقرًّا مؤقتًا للدجال، يدير منه شئون الكرة الأرضية . . .»(٥).

ويقول: «كان المسيخ الدجَّال يحلم بتأسيس قلعة رهيبة؛ لتكون قاعدة لمدينة تعتبر في هذه الأرض، ولكنها خارجها أيضًا، وانتقى إبليس له

---

(١) «نفسه» ص(٣٣).

(٢) (أستاذ قانون يسوعي في جامعة إنجولدشتات، ترك النصرانية، وتحالف مع المرابين الذين قاموا بتنظيم مؤسسة روتشيلد؛ لأجل تدمير الحكومات والأديان الموجودة، ثم نظم جماعة النورانيين؛ لوضع المؤامرة موضع التنفيذ)، باختصار من «احذروا» ص(٤٣-٤٦).

(٣) وبلغت قناعته بهذه الخيالات إلى حد أنه حاول الحصول على صورة له من مكتبات ألمانيا، أو مما سجل بأجهزة الكمبيوتر، ‌فما وجد . «احذروا» هامش ص(٤٦).

(٤) «نفسه» ص(٤٦).

(٥) «الخيوط الخفية» ص(٨٩، ٩٠).

المكان بالمحيط الأطلسي، حيث عرش إبليس، وذهب بمن اتفق معهم، وفعلوا ما فعلوا، وأسسوا ما أسسوا، قاعدة رهيبة، عبارة عن قلعة هائلة منيعة في مثلث برمودا، واستوحى التصميم المعماري لها من الهرم الأكبر، والنجمة السداسية الإسرائيلية.

وهذه القلعة الرهيبة يتواصل اتساعها وتمددها وبناء جدرانها؛ أجزاء من الفولاذ؛ وأخرى من الزجاج غير قابل للكسر ولا للتحطيم» (١).

«ومنظر القلعة المسيخية الخاصة بأسراره هو الشخصية فريد للغاية، وبها قطاعات على هيئة أهرامات متداخلة، بعضها يمكن تنقله في أي لحظة من اللحظات كأنها غواصة هائلة.

وجزء من قلعته ظاهر للعيون فوق الماء، ولكن حوله مجال مغناطيسي قوي «شافطة» «خاطفة» يمكنها اقتناص أي شيء مهما كان حجمه، فهو يخشى دخول مركبة أو طائرة إلى مجال الرؤية فترى شيئًا ما بسهولة، ومن ثم كانت خطوطه الدفاعية الرهيبة، والقاعدة عنده: «من رأى لا يخرج».

.. وفي هذه القلعة غرفة تحكم خاصة يمكنه من خلالها تدمير الأجزاء الأخرى من القلعة في حالة الاستيلاء عليها من قوى مجهولة ...» (٢).

«وقد نظم الدجال مع مجموعة علماء صوتيات لغة خاصة بشعبه بوحي اللغة السنسكريتية، كما أنها لغة شفرة، لو التقى رجلان لا يعرف

---

(١) انظر: «احذروا» ص(٤٨، ٤٩).
(٢) «ما قبل الدمار» ص(٤٧٥).

كلاهما الآخر من رجاله أو شعبه، فهي علامة امتياز خاصة ... وهنالك تُفتح الأبواب»[١].

«وقد استغل الدجَّال وأعوانه وشعبه الذي يعيش في قلاعه ثروات ومعادن «أطلانطس»، القارة الغارقة تحت المحيط الأطلنطي»[٢].

ويدعي أن المسيح الدجَّال يربي جيشًا ضخمًا تحت الأرض، تحت المسجد الأقصى، وقريبًا منه، ثم يتمادى بمحاولة تعليل اختياره هذا الموقع الفريد ..

ويصل به خياله الواسع إلى حد زعم أن مهندسي المسيح الدجَّال راحوا يصنعون مع الحفريات أنفاقًا مكيفة، ومجهزة للحياة تحت الأرض؛ لتجميع الأطفال بها، وعمل كتائب من الأطفال اليهود؛ كرؤساء وقوَّاد ... إلخ[٣].

ثم يدعي أن المسيح الدجَّال قد «تحكم في سرعة الرياح بأجهزة إشعاعية، وتحكم في الذبذبات، واخترع أجهزة إشعاعية تلون الهواء باللون الذي يريد، بل أجهزة أخرى تصنع حوائط هلامية في الهواء؛ كألواح من زجاج.

واخترع طواحين هوائية ذات أجهزة شافطة وجاذبة، لدرجة إمكانية جذب عدة طائرات، أو سفن ضخمة للاستيلاء عليها[٤].

---

(١) «الخيوط الخفية» ص(١٧٧).

(٢) «احذروا» ص(٤٩، ٥٠).

(٣) «نفسه» ص(١٢٦).

(٤) وهو هنا يعلل الظواهر المزعومة حول مثلث «برمودا» بأن وراءها «المسيح الدجال»

وللرجل بقلعته الهائلة إدارات، ومعامل، ومصالح، حتى الجوازات، وعنده أجهزة إرسال، وتشويش، وبث، وشل، فلو أراد أن يوقف الإرسال في تلفزيونات الأرض كلها لأوقفها»[١].

وقلاعه أو مدنه أماكن مترفة جدًّا، لدرجة أن من يعيش هناك قد لا يتمنى مغادرة المكان»[٢].

ثم يفشي «السندباد المصري» سِرًّا خطيرًا فيقول: «وقد تكون مفاجأة لقرائي الأحباء أن أقول: إن الدجال كتب بعض مذكراته، وكتب بعض القصص التي تُحوَّل إلى أفلام هوليوودية، أما مذكراته السرية وقصص مغامراته وخططه الظلامية فهو يحفظها بقلعته الهائلة في مكتبة سرية، ويسجلها على جهاز كمبيوتر بعدما يكتبها بيده.

وقد كتب هذا المتجبر المتألِّه المزوِّر حوالي (١٠ مجلدات) كل مجلد يقع في (٢٠٠٠ صفحة) من القطع الكبير، ووضع على كل مجلد (خاتمة) وعنونه بعنوان:

- الخمس مجلدات الأولى عنوانها: «عندما أملك الدنيا»!!

- والخمس الأخرى: «يوم يكون الكون في قبضتي والكرة الأرضية مكتبي» .. إن الرجل أسرف في أمانيه التي ناوشت الكون كله»[٣]. اهـ.

---

(١) «نفسه» هامش ص(٥١).

(٢) «نفسه» ص(٥٣).

(٣) «الخيوط الخفية» ص(٩٤).

خرافة الأطباق الطائرة

ثم انتقل بعقليته «السندبادية» الطوّافة إلى الحديث عن «الأطباق الطائرة» قائلًا: «وأقسم لكم بالله غير حانث أنهم من هذه الأرض، ومن أبنائها، ولكنهم رجال المسيخ الدجَّال، وتلك الأطباق من اختراعه الذي سبق به زماننا بقرون»(١). اهـ.

أقول لهذا الظالم لنفسه: «حنثت يمينك يا سندبادُ فَكَفِّرِ!».

إن ما سُمِّي بظاهرة الأطباق الطائرة، وشغل الناس رَدَحًا من الزمان؛ قد بان لنا الآن أنه لا يخرج عن كونه «سرابًا» أو «تكلفًا» أو «دجلًا سياسيًّا».

أما كونه «سرابًا»:

فما حكاه بعض الطيارين من أنهم رأوا تلك الأطباق الطائرة؛ لا يعدو أن يكون سرابًا خادعًا يظهر نتيجة لما يسمى «الانعكاس الحراري» Temperature Inversion حيث تؤثر حرارة الشمس في الكتل الهوائية الساكنة، فتجعل منها طبقات فوق طبقات، لكل منها حرارتها وكثافتها، فيحدث انكسار ضوئي أو انعكاس ضوئي خلال تلك الطبقات بصورة أشياء في الهواء أو على الأرض(٢).

ولما أطلقت روسيا سِرًّا صاروخ «سويوز» حاملًا قمر التجسس «كوزموس ٩٥٥» من قاعدة سرية، ساعدت الأحوال الجوية السائدة في

---

(١) «احذروا» ص(٥٩).

(٢) «الأطباق الطائرة ومثلث برمودا بين الحقيقة والخرافة» ص(١٥، ١٦).

فجر ٢٠ سبتمبر ١٩٧٧م على تشكيل صورة جسم غريب من عوادم الاحتراق الناشئة من النفاثات الخمس الضخمة للصاروخ، فبقيت معلقة ومنتشرة على هيئة قنديل البحر الهلامي الضخم، فحسبه الناس طبقًا طائرًا، وأطلقوا لخيالهم العِنان في تفسير ما رأوه[(١)].

وأما كونه «تكلفًا وتلفيقًا»:

ففي عام ١٩٦٨م شهد ثلاثون أمريكيًّا في جنوب «دنفر» بأنهم رصدوا طبقًا طائرًا، وبعدما أثار هذا ضجَّة أوضحت «مسز ديتريش» أن هذا الشيء هو من صنع وَلَدَيْها «توم» (١٤ سنة)، و «جاك» (١٦ سنة) اللذين أحضرا كيسًا كبيرًا من البلاستيك الرقيق الشفاف، وعددًا قليلًا من الشموع الصغيرة، ووضعاها داخل الكيس بطريقة خاصة، فارتفع إلى أعلى بفعل الحرارة المنبعثة من الشموع.

وهذا صبي يعلق جسمًا مستديرًا على أغصان شجرة، ثم يلتقط لها صورًا ويذيعها على أنه رأى هذا «الطبق» يطير متنقلًا بين الأشجار، بسرعة ٢٠ ميلًا في الساعة.

وهذا آخر يعلق عَصَّارة ليمون، وآخر يلتقط صورة لمصباح نيون مستدير، وآخر يلصق رأس ماكينة كهربائية على زجاج نافذة ثم يصورها، وينشر صورها على أنها «طبق طائر»[(٢)].

---

(١) انظر: «نفسه» ص(٢٥).
(٢) انظر: «نفس المصدر» ص(٣٢-٣٩).

وأما كونه «دجلًا» سياسيًّا:

فلأن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) اعترفت بعد انتهاء ما سُمِّي بالحرب الباردة أنها كانت وراء إشغال الناس بهذا الموضوع(١) لتحقيق مآرب سياسية.

والذي يلفت النظر أن الموضوع الآن خمد، وهمد، ولا يكاد يذكره أحد، فهل انقرض أهل الفضاء الخارجي الذين كانوا -في زعمهم- يأتون لغزو الأرض واستكشافها، أم أنه حقًّا الدجل السياسي؟!

أما «هشام كمال» صاحب كتاب «اقترب خروج المسيح الدجال» فيدلي بدلوه في هذا الحديث تحت عنوان: «الأطباق الطائرة هي السلاح الجوي للمسيح الدجال».

ثم يذهب إلى أن «الحمار الذي سيمتطيه الدجال ما هو إلا طبق طائر صنعته له الشياطين»(٢).

ولم يكتفِ بهذا حتى قال في موضع آخر: «تفاصيل ما كشفت عنه الشياطين في جلسات تحضير الأرواح عن مجيء المسيح الدجال على طبق طائر»(٣)، فهل صارت جلسات «تحضير الأرواح» وما تلقيه فيها الشياطين بزعمكم مصدرًا معتمدًا لديكم للإطلاع على الغيب؟!

---

(١) ولقد كُتب حتى سنة (١٩٧٨م) أكثر من مائة ألف تقرير عما أسموه «الأطباق الطائرة» UFO، وروَّجت المطابع والصحافة لها، كعادتها في مثل هذه الغرائب.

(٢) «اقترب خروج المسيح الدجال» ص(١٥٦) و«الحرب العالمية القادمة في الشرق الأوسط» ص(١٢٧).

(٣) «نفسه» ص(١٥٩).

عودٌ إلى السندباد المصري

لقد أقسم «السندباد» بالله غير حانث على ما زعم بشأن علاقة المسيح الدجال بخرافة «الأطباق الطائرة»، وهو يفتخر بأنه رائد الفكرة التي أحدثها، حتى لتقول مؤسسة سويسرية مزعومة:

(إننا نتحدى العالم كله في قضية أن أول إنسان على وجه الأرض يكشف هذا السر الكبير عن الأطباق الطائرة، وعن مثلث برمودة، وملكية المسيخ الدجال لهما[١]، هو مفكرنا المصري الكبير «أ/ محمد عيسى داود»)[٢].

وتأمل حجم البلية وأنت تقرأ قولَه:

«وسبحان الله .. بعدما نُشر كتابي «احذروا المسيخ الدجال»، وتحدثت فيه عن علاقته بالأطباق الطائرة؛ قال لي أمير عربي كبير صديق: لا يُنكر ما أتيت به إلا شخصان: إما «جاهل جدًّا» وإما «عميلٌ جدًّا» يعلم جيِّدًا الحقيقة التي أتيت بها، لكن رأسه غالية عليه!!»[٣].

وبعد تأليفه تلك القصص الطريفة من «الخيال العلمي» يتهدد من يكذِّبه قائلًا: «ومن لم يصدقني فسيكون حاله ومآله كشعب «زرقاء اليمامة»، حينما أبصرت ما لا يبصرون، فأنذرت وحذَّرت، وكُذِّبت، فكان ما كان مما يمكن أن يتكرر مع مطلع شمس يوم قادم، نسأل الله منه السلامة»[٤].

---

(١) انظر (٦١) وما بعدها.

(٢) «ما قبل الدمار» ص(٤٠).

(٣) «الخيوط الخفية» ص(١٥٩).

(٤) «احذروا» ص(٩٨).

ويدَّعي أن أغلب أتباع الدَّجَّال يعيشون في أمريكا، «وله قصر رهيب مهيب لا أدري موضعه بالتحديد، ولكنني بالحدس الإسلامي أقول: إنه في فلوريدا».

ثم يعيِّن ممثلين من «هولي وود» يرى أنهم من رجال المسيح الدَّجال: «ولي حدسي في أن «برت لانكستر»، و«كلينت إيستوود» من رجاله»، ثم يشير إلى أن الأخير رشَّحَ نفسه لمنصب الرئاسة، ثم تراجع، ويتساءل: «تُرى ممن صدرت الأوامر؟»(١).

ثم يقول: «كذلك السيد (!) الماسوني «آلان ديلون» فكَّر في رئاسة فرنسا، لكن دوره كممثل أكثر إفادة وتأثيرًا، فكان التراجع، تُرى ممن تصدر الأوامر بالتراجع؟»(٢).

ويذهب إلى أن «جورج بوش» الأب أحد عملاء الدجال يتلقى منه التعليمات(٣).

---

(١) «نفسه» ص(١١٧).

(٢) «السابق» ص(١١٧).

(٣) «ما قبل الدمار» ص(٢٤١).

خيوط المؤامرة

يحرص «السندباد المصري» على إضفاء نوع من الغموض على «قصصه» الخيالية، فهو يدعي أنه تتبع خيوط المؤامرة من خلال رحلاته المكوكية في أقطار الأرض:

١- فيدعي أنه التقى في السويد بنبيل من الأسرة الحاكمة للمملكة السويدية، وأنه اعترف له فيه صراحة بأن الذي قتل الأمير «شيريب» هو «الملك المنتظر لليهود»، ثم أضاف: «فقط كل المطلوب مني أمام هذا الاعتراف الصريح والثمين جدًّا أن يكون هذا هو اللقاء الأخير معه شخصيًّا في السويد، وألا يذكر اسمه في كتاب ولا حتى في حديث لي، أما لقاؤنا فيما بعد ففي أماكن أخرى!!»[١].

٢- ومن السويد أمسكت بخيط غير هذا الخيط، وفي ألمانيا تواصلت الخيوط، وفي فرنسا تأكدت الخيوط، وكلها مشدودة في النهاية إلى القلعة الرهيبة التي يقترب رأسها أو يشير -بالمعنى الأدق- إلى الولايات المتحدة الأمريكية، لتؤكد الإشارة أن «المخ» «والعقل المدبر» من ها هنا!!![٢].

٣- .. وصارحتني أسرة ألمانية أن دورًا معينة حكومية، وغير حكومية، وسراديب ودفائن في «السويد»، و«ألمانيا»، و«الأمريكتين»، و«مصر»، و«اليمن»، و«فلسطين»، و«المغرب»، و«الفاتيكان» تشير صراحة إلى كل ما يحدث في هذه الأيام، وما سيحدث بعدها، ومن بين

---

(١) «الخيوط الخفية» ص(١٣).

(٢) «نفسه» ص(١٦).

ثنايا بعض الوثائق التي اطلع عليها رب هذه الأسرة، قال لي: إنكم أيها المسلمون مناط (!) بأعناقكم مسئولية كبرى وهي إنقاذ العالم من أكبر دجال عالمي[١]. . .».

ويَفترض أن بعض الناس ادَّعوا أن الذي أمده بهذه المعلومات عن الدجال هو ذلك الجني الذي قابله وأجرى معه حوارًا، وسجَّله في كتابه «حوار مع الجني المسلم مصطفى كنجور»، غير أنه يرفض بشدة هذا الادعاء، ويقول: «إن حادث الحوار كان عرضًا، وعندما أخبرت الجني ببعض ما وصلت إليه عن الدجال، فزع وتظاهر بالنوم، ثم طلب تغيير الموضوع؛ وغيرته لأنني كنت قد بدأت أمسك بأغلب الخيوط في قضية الدجال، ولا حاجة لي أن أسأل جنيًّا ولا إنسيًّا»[٢].

* * *

أما «فهد سالم» فيجزم بأن الدجَّال يزعم أنه مسلم، وأنه يُعطَى الرئاسة في إيران قبل ظهور المهدي، بل يُلَمِّح ثم يصرح بأنه «محمد خاتمي»، ويسميه: «آية الله جورباتشوف»[٣]، ثم يحدد بدقة موعد خروج المسيح الدجال فيقول: «في **١٥** شعبان، **١٤٢٠**، الموافق **٢٣** نوفمبر **١٩٩٩** يخرج المسيح الدجَّال بفتنته الكبرى؛ حيث يدعي الألوهية، ويظهر المعجزات لفتنة الناس»[٤].

---

(١) «نفسه» ص(١٩).
(٢) «ما قبل الدمار» ص(٣٩).
(٣) «أسرار الساعة» ص(٣٩).
(٤) «نفسه» ص(١٤٦).

وهذا مؤلف «العالم ينتظر ثلاثًا»، يرتضي الغرابَ له دليلًا، فيقول:

«وأنقل بعض كلام العلماء الذي ورد في هذا الموضوع مع أدلة موضوعية تثبت هذا الحديث، أن المسيح الدجَّال موجود بيننا الآن، وأنه موجود ماديًّا في مثلث برمودا، أو مثلث الرعب والشيطان كما يقول الغرب»، ثم يسرد أدلته على دعواه؛ وهي:

- أنه لا تستطيع غواصة أن تسير في هذا المكان، ولا طائرة.
- وجود صورة المسيح الدجَّال على ظهر فئة الواحد دولار.
- وجود الجن في بيوت المسلمينَ وإيذاؤهم.

وهذه أدلة مادية تثبت اتحاد المسيح الدجَّال مع الشيطان وجنوده لإيذاء المسلمين، ثم يضيف إلى أدلته:

- ما يحدث من مذابحَ للمسلمين في دول أوربية في البوسنة وغيرها، وكذلك معظم (!) الدول العربية[1] اهـ.

(١) «العالم ينتظر ثلاثًا» ص(٦٩، ٧٠).

الْفَصْلُ الثَّالِثُ

اضْطِرَابُهُمْ بِشَأْنِ «صَدَّام حُسَين»

ومن الكتب التي أثارت ضجة كتاب «المسيح الدجَّال، قراءة سياسية في أصول الديانات الكبرى»، لمؤلفه «سعيد أيوب»، ضمَّنه خليطًا من النصوص الإسلامية، والأحاديث الضعيفة والموضوعة، وَجفر الرافضة، والإسرائيليات، ثم مزجها بتخيلاته وأوهامه الشخصية التي وصفها بأنها تصوراته للأحداث «المنظورة والمقروءة»، و«المرآة التي ينعكس عليها الحدث الذي يتطابق مع دائرة الزمن، أو عالم المشاهدة المنظور الذي ينطبق مع مخزون دائرة الذهن»، أو «عالم المشاهدة المنظور الذي ينطبق مع أحاديث عالم الغيب المخبوء الذي أخبر به النبي -صلى الله عليه وسلم-»[(١)].

والغريب -أيضًا- أنه لم يقتصر على استدلاله بالإسرائيليات، حتى أضاف إليها تفسيرات إسرائيلية حديثة؛ كتفسير دانيال لإيرنسايد، وتفسير أشعيا لناشد حنا، وتفسير حزقيال لرشاد فكري.

ويدعي «سعيد أيوب» أن المهدي المنتظر هو: الرئيس العراقي «صدام حسين»، وبنى ذلك على تفسيراتٍ لكُتَّابٍ من النصارى المعاصرين

---

(١) «المسيح الدجال: قراءة سياسية في أصول الديانات الكبرى» ص(١٢).

قالوا: «ستكون هناك قوتان متضاربتان متنافستان على مركز السيادة في العالم: دول غرب أوربا والآشوري»، وقالوا: «الفرات هو الحد الطبيعي بين اليهود والآشوري»، وقالوا: «يد الله هي التي ستضرب بواسطة الآشوري»[(١)]، أما الحِلْف الذي سيكونه فقد قالوا: «ستكون القوة داخل حلفه مكونة من إيران، وسوريا، وليبيا، والسودان، وصُور، وشعوب منطقة الشرق الأدنى، وقبائل دول بحر قزوين، والبحر الأسود، والإسماعيليين، والهاجريين».

لقد حُقَّ لصدام حسين أن يقع في حَيرة، فتارة يقولون هو الآشوري، وتارة المهدي المنتظر، وتارة السفياني، وأحسب أن صَدَّامًا لو مات لانهارت كل هذه التخرصات[(٢)]، ولقال المتشبثون بها يومئذ:

أُمْنِيَّةٌ ظَفِرَتْ نَفْسِي بِهَا زَمَنًا وَاليَوْمَ أَحْسَبُهَا أَضْغَاثَ أَحْلَامِ

---

(١) ومن المحتمل أن يكون «الآشوري المزعوم»، أو «صدام حسين» قد اطَّلع على هذه النصوص، وحسب أنه المهدي المنتظر؛ وقد يشير إلى هذا الاحتمال إعلانه قبل غزو الكويت أنه من أهل البيت، وإلحاحه على استعمال عبارة: «سأحرق نصف إسرائيل»، فقد قال رشاد فكري في تفسير حزقيال: «وسيحتل الآشوري نصف إسرائيل في أول أيامه»، وقال ناشد حنا في تفسير دانيال: «وسيستخدم العصا على إسرائيل»، وقال فكري: «وسيغزو أورشليم في حرب النهاية».

(٢) وقد انتهى الآن أمر صدَّام باحتلال العراق، وإقصائه عن السلطة، واعتقاله، ثم إعدامه وموته على خاتمة يظهر أنها حسنة -والله تعالى أعلم- فهل يثوب العابثون إلى رشدهم، أم يبقون سادرين في ظلمات الأماني والأوهام؟، وراجع محاضرة المؤلف: «شيعة أهل البيت الأبيض».

وهذا مؤلف «هرمجدون» يقطع بأن صَدَّام حسين هو «السفياني»(١)، وأن غزوه للكويت وما تلاه هو «فتنة السرَّاء»، وهو الجولة الأولى من الحرب العالمية الثالثة التي يسميها -موافقةً لأهل الكتاب- بحرب «هرمجدون»(٢).

ثم يتابع صاحبُ «هرمجدون» «محمد عيسى داود» في ما ادعاه من نص في «مخطوطات نادرة» -عديمة الأصل والصورة- يقول: «وفي عراق الشأم رجل متجبر . . . و . . . سفياني، في إحدى عينيه كسل

---

(١) في حين زعم «فهد سالم» في كتابه «أسرار الساعة وهجوم الغرب»، «أن السفياني زعيم عربي معاصر يصنعه الغرب الآن؛ ليكون ملكًا للعرب في آخر هذا القرن؛ كما فعلوا مع جده في بداية القرن» ص(٧٨)، ثم صرح بما ورَّى به -هنا- في ص(١١٣)، ص(١٣٠) فقال: «إنه ملك الأردن» وإنه «الملك حسين» ص(١٣٧). ثم يخترع تفاصيل عجيبة عن أن الملك حسينًا يَبُثُّ جيوشه -بعد موت صدام- إلى العراق، وإلى المدينة، ويتحول الشعب الأردني إلى عدوٍّ لَدود، يطالب بمسح العراق من خارطة الوجود». اهـ. ص(١٣٧، ١٣٨) وقد توفي «الملك حسين» منذ سنوات، وبقي صدام بعده سنوات حيًّا يُرزَق.

(٢) «هرمجدون» ص(١٩).

وقد سلك صاحب «هرمجدون» مسلكًا انتقائيًّا في التوصل إلى أن «صدام حسين» هو «السفياني»: فمع ضعف الآثار التي استند إليها؛ إلا أنه أثبت منها ما يوافق هواه، وغض الطرف عما يهدم مزاعمه، مثل وصف السفياني بأنه «يخرج من مدينة دمشق» وأن «أصبعه الوسطى شلاء» وأن اسمه «عبد الله أو عبد الإله»، وأنه يملك حمل امرأة «أي تسعة أشهر»، وأن «راياته حُمْر»، وأنه «أعور العين أو أخوصُها»، وأنه «مشوه»، وأنه «يهزم الجماعة مرتين». . . إلخ تلك الصفات التي لا تنطبق على «صدام حسين»، كما أن صدامًا لا يلقب بالسفياني، ولا يُعْرَف أنه من بني أمية، وانظر: ص(٨٦).

قليل، واسمه من الصدام، وهو صدام لمن يعارضه»، ثم يقول أمين جمال الدين: «والسفياني صدَّام هو السفياني الأول، وسيليه السفياني الثاني المشوَّه، وهو ابنه الذي يعمل برصيد أبيه»، «والسفياني صدَّام فيه خير وشر، فإذا ظهر المهدي ذهب عنه كل خير، وكان شرًّا كلَّه، وحارب المهدي؛ مما يجعل المهدي يأمر بقتله، وتخليص الناس من شره»[(١)].

وممن تولى كِبْرَ هذه الدعوى الدكتور «فاروق الدسوقي» -عفا الله عنه- إذ يقول: «السفياني سينتصر على كلِّ من يحاربه، ويملك بعد دخول فلسطين وتحرير القدس مثل مُلك بختنصر ملك بابل القديم، الذي حكم المنطقة كلَّها».

ثم يقول: «فهل هذا هو مُلك الرئيس العراقي صدَّام حسين، جابر قلوب الأمة الإسلامية المنكسرة، الأزهر، سليل الفاتحين، محرر القدس في زمان الإفسادة الأخيرة؟ المبعوث من شاطئ دجلة (تكريت) ليطهر بمائه القُدْسَ من رجاسات اليهود؟»[(٢)].

ويقول أيضًا: «فهو -أي السفياني- من أعظم شخصيات التاريخ الإسلامي؛ إذ يأتي في زمن ضعف الأمة وذلها، فيعزها الله -تعالى- على يديه بتحرير الأقصى، وتطهيره من رجس اليهود، ومن ثم جاء وصفه بأنه «الجابر» الذي يجبر الله -تعالى- على يديه قلوب أمة الإسلام

---

(١) «نفسه» ص(٢٢).
(٢) «البيان النبوي بانتصار العراقيين على الروم والترك، وتدمير إسرائيل» ص(٨٤).

المنكسرة، كما جاء وصفه بأنه «الأزهر» لعلو نجمه... وهذا كله ينطبق على الرئيس العراقي صدَّام حسين»[١]، ومن ثم فهو يُهْدِي إليه كتابه مخاطبًا إياه:

«إلى فخامة الرئيس العراقي صدَّام حسين، أيها الجابر، أيها الأزهر، قائد أولي البأس الشديد»[٢].

ويذكر في موضع آخر أنه «اكتشف» أن السفياني هو الآشوري، ويقول: «ولما شعرت بخطر شخصية السفياني، وعِظَم الأحداث والفتن التي تعاصره، رجعت للكتاب المقدس (؟!!)؛ لكي أجمع كل النصوص التي تتحدث عنه أو جُلَّها، وتفسيرها في ضوء القرآن الكريم»، إلى أن يقول: «وإذا بجميع هذه النصوص والأخبار عن هذه الشخصية في الوحيين القديم (!!!) والخاتَم، تتطابق مع واقع الرئيس العراقي المعاصر من حيث الصفات والأحداث»[٣].

---

(١) «البيان النبوي» ص(٢٠).

(٢) «نفسه» ص(٥).

(٣) «القيامة الصغرى على الأبواب» ص(١٦).

تنبيهان

الأول: اعلم -رحمك الله تعالى- أنه لم يصح شيء في أحاديث السفياني سواء منها ما كان مرفوعًا أو موقوفًا[١]

قال ابن قدامة -رحمه الله تعالى- تحت عنوان السفياني والمهدي: قال محمد بن جعفر: «وهي هذه الأحاديث التي نهى أحمدُ إسحاقَ بن داود عن التحديث بها»، وساق الأحاديث[٢].

وقد ذكر صاحب «البيان النبوي» أن الحافظ نعيم بن حماد «خصَّص في كتابه «الفتن» اثني عشر بابًا للسفياني، وعشرة أبواب للمهدي»، ثم علَّق قائلًا: أي أن الأحاديث عن السفياني كثيرة جدًّا، ومتواترة المعنى (!!) تواترًا يقوي ضعفها (؟!) اهـ[٣].

وهذه مجازفة شنيعة منه -عفا الله عنه- حيث تضم الأبواب التي أشار إليها آثارًا، والمرفوع فيها إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- سبعة أحاديث ليس فيها التصريح باسم السفياني إلَّا في حديثين فقط برقم (٧٩٥) ورقم (٨٤٢) وهما شديدا الضعف.

نعم ورد في الكتاب أحاديث أخر في غير الأبواب الاثني عشر المشار إليها فيها النص على اسم السفياني لكنها كلها ضعيفة واهية.

---

(١) «إتحاف الجماعة» للتويجري (١/ ٤٩).

(٢) انظر «المنتخب من العلل للخلال» ص(٣٠٣).

(٣) «البيان النبوي» ص(٢١)، وسيأتي بيان كلام العلماء في «نعيم بن حماد»، وكتابه، فانظره ص(١٥٨)، وما بعدها.

والعجيب أن مؤلف «البيان النبوي» يكتفي بالعزو إلى كتاب «الفتن» لأبي نعيم، ويتجاهل تحقيقها، ثم يوردها على أنها صحيحة.

وقد بيَّن الإمام الحافظ المزي أسباب وضع أحاديث السفياني وما وافقها من آثار، ونقل عن الزبير بن بكار أنه قال: كان خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سيفان يوصف بالعلم، ويقول الشعر، قال عمي مصعب بن عبد الله: «زعموا أنه هو الذي وضع ذِكْرَ السفياني وكثَّره، وأراد أن يكون للناس فيهم مطمع حين غلبه مروان بن الحكم على الملك، وتزوج أمه أم هاشم، وقد كانت أمه تكنى به»(١).

الثاني: حول شخصية «القحطاني»

اعلم -أصلحك الله- أنه لم يثبت في «القحطاني» المذكور سوى حديثٍ واحدٍ، وهو قوله -صلى الله عليه وسلم-: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ، يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ**»(٢).

ومع ذلك قام أحد هؤلاء العابثين بالنفخ في شخصية القحطاني، تارة بالاختراع والافتراء، وتارة بالتقاط مجموعة من الآثار الباطلة من هنا وهناك، حتى الإسرائيليات؛ ليضخم شخصية القحطاني، ويرسم له دورًا كبيرًا في أحداث آخر الزمان(٣).

---

(١) «تهذيب الكمال» (٥/ ٤٣٠/ ١٦٤٧).

(٢) رواه البخاري (٣٥١٧) ومسلم (٢٩١٠) وغيرهما.

(٣) وكتابه المذكور: «الثمر الداني في ذكر المهدي والقحطاني».

الْفَصْلُ الرَّابِعُ

الرَّاجِمُونَ بِالْغَيْبِ الْقَائِلُونَ مَا لَيسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨] نورد فيما يلي نماذج من تنبؤات بعض العابثين بأشراط الساعة، وبدون تعليق غالبًا؛ لأنها في قسم كبير منها تَهَاوَتْ، وانهارت حين خَيَّبت الأيامُ ظنونَهم، وأخلفت وعودهم، وصدق الشاعر:

كلُّ مَنْ يَدَّعِي بما ليسَ فيه فَضَحَتْهُ شَواهِدُ الامتحان

فهذا مؤلف كتاب «الحرب العالمية الثالثة بين الإسلام والغرب»(١) يزعم أن المهدي المنتظر سيخرج في صيف ١٩٩١م (١٤١١- ١٤١٢هـ) وأن بداية الحرب القادمة بين اليهود والعالم الإسلامي ستقوم في نهاية ١٩٩٣م، وفيها سيُباد ثلثا اليهود، وأن المسلمين سيحررون فلسطين قبل نهاية القرن القادم (٢٠٠٠م)، وأن الدجال سيخرج سنة (٢٠٠٠م)، وأن موعد قيام الساعة لن يتجاوز سنة ٢٠٣٠م بحال من الأحوال.

ولا يتحرج هذا المؤلف من أن يختم كتابه بقوله: «أرجو أخي القارئ ألا يقسو في الحكم عليَّ إذا حدثت في المستقبل أحداث مختلفة بعض الشيء زمانيًّا أو مكانيًّا مع ما رويت في هذا الكتاب، فكل ما رُوي من

---

(١) وهو كتاب مجهول السند والنسب، طبع سنة (١٩٩٠م) منسوبًا إلى د. عبد الناصر مدبولي الخضري، وبدون اسم مطبعة ولا ناشر.

أحداث في هذا الكتاب قمت باستخراجها بأدلة وأسانيد من بطون الكتب، وليست من الخيال أو الوهم الشخصي»[١] اهـ. كلامه.

وصدق الشاعر إذ يقول:

وعلى المُريبِ شواهدُ لا تُدْفَعُ

وهذا صاحب كتاب «أسرار الساعة» يقول تحت عنوان: السيناريو المحتمل لتسلسل حوادث الفتن، والله أعلم:

- في عام ١٩٩٨ يُشغَل الناس باللعب واللهو في أولمبياد باريس، ثم تفاجئهم علامات الساعة الكبرى، وهم في غفلتهم يلعبون...

- في ١/ ١/ ١٩٩٩ وفي الساعات الأولى من صباح يوم الجمعة ١٥ رمضان ١٤١٩هـ يتم ارتكاب العمل الكوني المفزع، وهو تفجير المسجد الأقصى، وفي نفس اليوم تصل طلائع القوات الغربية، وتنزل في الأردن، وتحاصر بيت المقدس[٢].

- بعد تفجير الأقصى مباشرة يتم دخول الجيوش الغربية الأردن وفلسطين، وتطوق القدس حماية لليهود، حتى يكملوا بناء الهيكل مكان المسجد[٣].

- ويزعم أن المهدي يظهر في يوم الثلاثاء الموافق ٢٥ محرم ١٤٢٠هـ، ويحدد المدة بين ظهور المهدي ونزول عيسى عليه السلام بأنها ثمانية أشهر[٤].

---

(١) «الحرب العالمية الثالثة بين الإسلام والغرب» ص(٥٩).
(٢) «أسرار الساعة» ص(١٤١)، وما بعدها.
(٣) «نفسه» ص(١٣٦). (٤) «نفسه» ص(٨٤).

- في أول ربيع الثاني ١٤٢٠هـ، الموافق ١٤/ ٧/ ١٩٩٩م ينطلق صاروخ نووي من الخليج إلى أوربا مستهدفًا الفاتيكان حسب الخطة المرسومة[١].

- في أول أغسطس ١٩٩٩م الموافق ١٩ ربيع الثاني ١٤٢٠هـ تبسط إيران سيطرتها على معظم دول الخليج، وبعد ذلك يتم إلقاء قنبلة نووية أمريكية تدمر إيران بعد أن دمرت الخليج[٢].

- في جمادى ورجب وشعبان (أي ١٤٢٠هـ) الموافق من شهر سبتمبر ١٩٩٩م حتى نوفمبر تبدأ الملحمة الكبرى من مقر قيادة المسلمين في دمشق تحت قيادة المهدي عليه السلام[٣].

- في ١٥ شعبان ١٤٢٠هـ الموافق ٢٣ نوفمبر ١٩٩٩م يخرج المسيح الدَّجال بفتنته الكبرى؛ حيث يدعي الألوهية، ويظهر المعجزات لفتنة الناس[٤].

- في يوم الجمعة ١/ ١/ ٢٠٠٠م الموافق ٢٥ رمضان ١٤٢٠هـ تشرق الأرض بنور النبي والرسول العظيم عيسى عليه السلام، ينزل في القدس والمسلمون بقيادة المهدي، يحاصرهم الدَّجال هناك[٥].

- يدعي أن عيسى عليه السلام ينزل إلى الأرض سنة ٢٠٠٠م، ثم يقول: «وهذه النتيجة تكاد تتفق تمامًا مع ما يعلنه ويبشر به أهل الكتاب

---

(١) «نفسه» ص(١٤٦).
(٢) «نفسه» ص(١٤٦).
(٣) «أسرار الساعة» ص(١٤٦).
(٤) «نفسه».
(٥) «نفسه» ص(١٤٧).

عن طريق الحساب الموجود في كتبهم، وهو ما يعتقده كثير من الرهبان والقادة الكبار في العالم الغربي، وقد توصلنا إلى ذلك -ولله الحمد- عن طريق الاعتماد على أحاديث رسولنا العظيم[(١)] -صلى الله عليه وسلم-»[(٢)].

- وعندما يراه الدَّجال يهرب من القدس متوجهًا إلى أكبر مطارات إسرائيل، وهو مطار اللد الدولي، ولكن عيسى يلحق به قبل أن يقلع بطائرته، ويقتله قرب باب اللد الشرقي[(٣)].

- ويدعي أن وفاة عيسى عليه السلام ستكون عام ٢٠٠٧م، وأن نهاية عمر الدنيا ستكون -بإذن الله- عند طلوع الشمس من مغربها في عام ٢٠١٠م[(٤)].

وأما جرأته على تعيين شخصيات هذه الأحداث فأمر عجيب:

فهو يرى أن «الأبقع» هو ياسر عرفات، وأن الرجل «المشوه» هو الشيخ أحمد ياسين -رحمه الله تعالى-، وأن «الأصهب» حافظ الأسد، وأن «السفياني» هو حسين ملك الأردن، الذي سيبعث جيوشه إلى العراق والمدينة، وأن «صدام حسين» سيقتل في الكوفة[(٥)]، وأن «عمر

---

(١) وهذا افتراءٌ على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذي هو بريءٌ من هذه الأكاذيب؛ وأقوى دليل على ذَلِكَ أَنَّهَا لم تقع في المواعيد التي حددها هذا الظالم لنفسه.

(٢) «نفسه» ص(٧٠) وما بعدها.

(٣) «السابق» ص(١٤٧).

(٤) «السابق» ص(٧٠).

(٥) انظر: «أسرار الساعة» ص(١٣١، ١٣٧، ١٤٠، ١٤١).

البشير» حاكم السودان هو الحاكم العادل المقصود بقول أبي قبيل: «يكون بأفريقية أميرًا اثنتي عشرة سنة، ثم تكون بعده فتنة، ثم يملك رجل أسمر يملؤها عدلًا، ثم يسير إلى المهدي، فيؤدي إليه الطاعة، ويقاتل عنه»، رواه نعيم بن حماد في كتاب الفتن[١].

أما مؤلف «هرمجدون»:

- فهو يرى أن «قنطرة مصر» هي قناة السويس، وهي المذكورة في رواية نعيم بن حماد عن الزهري قال: «إذا اختلفت الرايات السود فيما بينهم أتاهم الرايات الصفر، فيجتمعون في قنطرة أهل مصر، فيقتتل أهل المشرق وأهل المغرب سبعًا، ثم تكون الدَّبَرة على أهل المشرق»[٢]، وهو يدعي أن الرايات السود المشار إليها في هذا الحديث (؟!) قوات طالبان، وقوات التحالف الشمالي، وأما الرايات الصفر فهي القوات الغربية[٣].

ويقول: (وقد ظهر «الطالبان» حوالي سنة ١٩٩٦م، وتخبرنا الآثار التي جاءت بشأنهم أنه بين بدء ظهورهم وبين ظهور المهدي اثنان وسبعون شهرًا؛ أي ست سنوات)[٤]. اهـ.

---

(١) «الفتن» (١/ ٣١٢) رقم (٩٠٣)، وإسناده ضعيف جدًّا.

(٢) رواه نُعيم في «الفتن» (١/ ٢٧٠) رقم (٧٧٢) بسند ضعيف عن الزهري.

(٣) «هرمجدون» ص(٣٤، ٣٥).

(٤) «نفسه» ص(٣١) ونحن الآن -وقت خروج هذه الطبعة- في شهر أبريل ٢٠٠٧م، فالمفترض -وفقًا لمزاعمه- أن يكون المهدي قد ظهر منذ خمس سنوات.

ثم هو يستروح لما روى نُعَيْمُ بن حماد بسنده قال: حدثنا أبو يوسف، عن محمد بن عبيد الله بن يزيد السندي عن كعب قال: «علامة خروج المهدي ألوية تقبل من المغرب، عليها رجل أعرج من كِندة»[(١)].

ويجزم بأن المقصود بهذا «الأعرج» الجنرال الأمريكي «ريتشارد مايرز» رئيس هيئة أركان القوات المشتركة في أفغانستان؛ بدليل أنه رآه «مقبلًا على عكازين؛ ليعلن للشعب الأمريكي بدء عمليات القوات المشتركة الجوية والبرية والبحرية ضد أفغانستان، فقلت: الله أكبر!! صدقتَ يا رسول الله»[(٢)] اهـ.

وما أدراك أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نطق بهذا الخبر أصلًا؟[(٣)]

وأين رجل مقبل على عكازين من رجل «أعرج»؟ وأين «كِندة»[(٤)] بكسر الكاف من أمريكا أو حتى كَنَدا؟

---

(١) رواه أبو نُعيم في «الفتن» (١/ ٣٣٢)، رقم (٩٥٢)، وهو من مفاريده التي لا يحتج بها.

(٢) «هرمجدون» ص(٣٦).

(٣) فها أنت ترى أن وَلَعَه بمطابقة الآثار الواردة في أشراط الساعة -ولو كانت ضعيفة أو باطلة- على الأحداث المعاصرة؛ قد استولى على عقله، وسيطر على وجدانه، واستحوذ على حواسه، وأخذ منه كلَّ مأخذ، حتى ليصدق فيه قول أبي نواس:

مضى بها ما مضى من عقل شاربها ... وفي الزجاجة باقٍ يطلب الباقي
فكلُّ شيء رآه ظنه قَدَحًا ... وكلُّ شخصٍ رآه ظنه الساقي

(٤) وهي قبيلة يمانية معروفة ينسب إليها الصحابي الجليل المقداد بن عمرو الكندي -رضي الله عنه-، والشاعر الجاهلي: امرؤ القيس، والفيلسوف الكندي.

ثم يرجح أن سنة (٢٠١٢م) هي النهاية، وليست بداية النهاية، ثم ادعى أن ظهور المهدي سيكون بعد سنتين أو ثلاث على الأكثر من اليوم[١].

ويحكي «مبارك البرَّاك» عن علماء الكومبيوتر «أنه في ١/ ١/ ٢٠٠٠ سيقف الكومبيوتر، وهذا يصادف العشر الأواخر من رمضان، فلا طائرات، ولا أموال تستخرج من البنوك، ولا اتصالات حتى الثكنات العسكرية تشكل خطورة، والكهرباء والصرف الصحي يتعطل. . . وعلى كل حال، وقع هذا، أم وجدوا له حلًّا، فإننا على يقين أن الحضارة ستنتهي»[٢].

ثم يدعي أن أنسب تفسير لحديث «فتنة الدهيماء» اضطراب أحوال العالم كله بسبب مشكلة «الصفر» في الكومبيوتر[٣].

---

(١) «نفسه» ص(٧٠).

(٢) «العقلانيون ومشكلتهم مع أحاديث الفتن» ص(٧).

(٣) انظر: «السابق» وقد مر عام (٢٠٠٠) بدون ما توقعوه، واتضح أن «مشكلة الصفر» ضُخِّمت بدون مسوغ حقيقي لها.

الفصلُ الخامسُ

التَّطْبِيعُ مَعَ التَّنْجِيمِ وَالمُنَجِّمِينَ وَزَلْزَلَةُ ثَوَابِتِ الْعَقِيدَةِ

لم يكتفِ العابثون بأشراط الساعة بالرجم بالغيب، وقَفْوِ ما ليس لهم به علم، حتى أضافوا إلى ذلك قاصمة أخرى، وهي «تطبيع العلاقات مع المنجِّمين»، والاحتجاج بقول بعضهم -بعد حكاية مدحه والثناء عليه- بأنه «أعظم فلكي في التاريخ»[١]!

---

(١) بل منهم من تقبل حتى «حكايات عجائز اليهود»؛ فقد جاء في محاضرة لداعية فاضل بعنوان«النظام العالمي الجديد»:

«عندما أعلن عن قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨؛ دخلت عجوز يهودية على أم ذلك الداعية، وهي تبكي، فلما سألتها عن سبب بكائها، وقد فرح اليهود، قالت: «إن قيام هذه الدولة سيكون سببًا في ذبح اليهود»، ثم يقول الداعية: إنه سمعها تقول: إن هذه الدولة ستدوم ٧٦ سنة، وعندما كبر رأى أن الأمر قد يتعلق بدورة المُذَنَّب «هالي»؛ إذ إن مُذَنَّب «هالي» -كما يقول الداعية- مرتبط بعقائد اليهود». اهـ من «زوال إسرائيل» ص(٥٦) وانظره ص(٧٨) وهذا المذنَّب «هالي» هو الذي قال فيه أبو تمام في بائيته المشهورة:

وَخَوَّفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءَ مُظْلِمَةٍ ... إِذَا بَدَا الْكَوْكَبُ الْغَرْبِيُّ ذُو الذَّنَبِ

وهل التنجيم إلا الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية؟!

وهذا المذنَّب يقترب من الأرض كل ستة وسبعين عامًا، وكان آخر ظهور له عام ١٩٨٦م (١٤٠٦هـ)، ويسميه بعض الغربيين «عميل الشيطان» تشاؤمًا به، وزيادة في الكفر؛ لأنه ظهر في عام ١٤٥٦م، وهو عام فتح القسطنطينية وإشراقها بنور الإسلام.

يقول صاحب «أسرار الساعة»:

«في نهاية السابع من عام ١٩٩٩م سيهبط مَلَك الفزع العظيم من السماء، وسيحكم المريخ -كوكب الحرب- لصاحب الحق، وسيكون دمارًا مروعًا وخرابًا هائلًا، تلك هي واحدة من أكثر نبوءات «نُوسْترادادموس» فزعًا ورعبًا كما يقول المحللون، وهي -طبقًا لمعظم التفسيرات- تعني أن كارثة ضخمة ستحيق بالكرة الأرضية في شهر يولية ١٩٩٩م، وقد حدد «نُوسْترادادموس»، والذي يعتبرونه **أعظم فلكي في التاريخ**، بأن شرارة الكارثة الأولى ستنطلق من الشرق الأوسط»[1]، إلى أن يقول:

«وما بين نبوءات «نسْترادادموس» في عام (١٥٥٥م)، ومخططات واينبرغر عام ١٩٩٧م، تمت جميع المؤامرات الساعية لتدمير العالم الإسلامي وغزوه في عام ١٩٩٩م ومثقفو هذا العالم لا يزالون يرددون ببلاهة عجيبة: «نحن ضد فكر المؤامرة»، أما قادة العالم الإسلامي فيكفيهم خدعة أن يرأسهم في طهران الدجَّال نفسه[2]، والمعروف أن الرقم (٩) هو نهاية الأرقام التي تبدأ بالرقم (١) وهو حسب الفلسفة الفيثاغورثية يعني النهاية، وهو الرقم المقدس عند الطائفة البهائية التي خرجت في إيران، واستقرت في فلسطين.

وحسب علوم الجيومترا المشتقة من الكابالاة اليهودية، فإن الرقم (٩) هو رقم الملوك الغزاة.

---

(١) «أسرار الساعة» ص(٣٤).

(٢) يقصد رئيس إيران آنذاك «محمد خاتمي»، كما صرح بذلك ص(١١٣، ١١٤).

وفي اليهودية -أيضًا- فإن الرقم (٩) هو رقم الخراب»[(١)]

ويقول في موضع آخر: السفياني أو الهاشمي[(٢)] هو المقصود بـ «ملك الجنوب»، الذي يتعاون مع ملك الروم، كما في تنبؤات اليهودي الفلكي «نسْترادامو س»[(٣)].

يقول صاحب «هرمجدون» فيما يشبه الدعاية لهذا المنجِّم: «**إن المنجِّم الفلكي اليهودي الشهير**«ميشيل نوسْترادامو س» الذي عاش في القرن السادس عشر الميلادي، وتوفي سنة ١٥٥٩م، والذي كتب رباعيات تنبؤية لأمور مستقبلية **وقعت وفق ما أخبر به تمامًا**[(٤)].

---

(١) «نفسه» ص(٣٥).

(٢) وهو يقصد هنا «الحسين» ملك الأردن الراحل.

(٣) «أسرار الساعة» ص(١٣٢) وتأمل كيف طوعت له نفسه أن يستدل بتنبؤات ذلك اليهودي المنجم بلا أدنى تحرج؟!!

(٤) حذار أن تسلم بهذا التهويش وهذا الهراء، واعتصم بدلالة النصوص القطعية المعصومة على أن الغيب لا يعلمه إلا الله -عز وجل-، فما ذكره «محامي نوسْترادامو س» لا يعدو أن يكون دعاية رخيصة يمهِّد بها لتمرير مجازفاته وتخرصاته، وهو هنا يسلك مسلك الطَّغام من العوام الذين يولعون بحكاية الغرائب دون إخضاعها لتمحيص وتفتيش، وما هو إلا صدى لأصوات الغربيين الذين يتشدقون بهذه المزاعم، بدليل أنه لم يقرأ رباعيات «نوسْترادامو س» في لغتها الأصلية بنفسه، تلك الرباعيات التي كتبت بلغة مراوغة تحتمل الشيء ونقيضه، كما هي عادة المنجمين والكهان والعرافين، ثم تأتي أهواء الشراح والمفسرين والمترجمين لتخضعها لرغباتهم، ثم يأتي دور العوام الذين يتداولونها بشغف ويزيدون عليها ما شاءوا حتى يصير الشبر ذراعًا ثم أميالًا، وفراسخ، ومع أن الواقع يكذب المنجمين، ويخلف وعودهم غالبًا؛ إلا أن العوام لا يتناقلون ذلك، وإنما يعلق بذاكرتهم القليل النادر مما يقع وفق تنبؤاتهم إما اتفاقًا، وإما لأنه مما اختطفته الشياطين من أخبار السماء، والله تعالى أعلم، وانظر ص(١٠٥-١١١).

فقد أخبر في رباعياته عن الحرب العالمية الأولى والثانية، ووقعتا فعلًا في التاريخ الذي حدده، كما أخبر عن الثورة الفرنسية، وعن ظهور جبابرة سماهم بأسمائهم؛ منهم «هتلر»، و«نابليون»، وتنبأ بنشوب الحرب العالمية الثالثة، وأنها مدمرة، وستكون في أوائل هذا القرن، وأنها نوويَّة، وسيكون فيها حرب بيولوجية»[١].

---

(١) «هرمجدون» ص(١٣) وانظر: ص(١٠٣).

تلك أمانيهم!

ولا يغني عن قائل هذا الكلام قوله: «هذا العرَّاف -وهو طبيب في الأصل- لم يأتِ بما أتى به من باب الكهانة أو العرافة، وإنما هو قد اطلع على مخطوطات إسلامية[(١)] حصل عليها وورثها من أجداده اليهود، كما ذكر في مقدمة «رباعياته»؛ لأن هذه دعوى لا دليل عليها أولًا، ثم إن صح أنها مخطوطات إسلامية فأي نوع من المخطوطات هي؟ أهي أحاديث مرفوعة صحت عن المعصوم -صلى الله عليه وسلم-، وهي لا تُتَلقَّى عن عرَّاف يهودي، أم هي مصنفات أدبية أو تاريخية أو حتى كتب بدع وتنجيم وكهانة وسحر صنفها أجداد «نوسْتراداموس» تحت تصنيف «مخطوطات إسلامية» لمجرد أنها كُتبت باللغة العربية؟!!

ولقد زاد صاحب «هرمجدون» الطين بِلَّة حين زعم أن أجداد «نوسْتراداموس» «كانوا أمناء لمكتبة المسجد الأقصى، فأخذوا هذه الموروثات الإسلامية، فكانت مصدرًا رئيسيًّا له في تنبؤاته بجانب موروثات اليهود والنصارى، والتي فيها بعض العلم الذي لم يُغير ولم يُبدَّل»[(٢)]. اهـ.

---

(١) ويقول أيضًا: «إن ما جاء به «نوستراداموس» هو من تراثنا المنهوب، وميراثنا المسلوب، الذي سقط منا فالتقطوه، وجهلناه وعلموه». اهـ. من «هرمجدون» ص(١٤) وهو هنا يمارس -بمهارة- هوايته المفضلة في «خداع النفس»، والاستخفاف بعقول الآخرين، ومكابرة الحقائق، على طريقة: «عنزة ولو طارت»؟ فانظر: كيف كذبوا على أنفسهم!

(٢) «هرمجدون» ص(١٤).

فيا لَلهول!! ويا لَلعار!! أتنسب إلى المسلمين في ذروة عزهم ومجدهم أنهم استأمنوا اليهود قتلة الأنبياء، ومحرفي الكلم من بعد مواضعه، وأشد الناس عداوة للذين آمنوا على تراثهم الذي هو لباب دينهم، ونتاج عقولهم، ونسل قلوبهم، وكنز علومهم، وعِرض أمتهم؟!

وهل يجرؤ مسلم يعرف قدر هذه الأمة وقدر علمائها الربانيين، وولاتها الصادقين؛ على أن يجوِّز أن يفوت شيء من سنة الصادق المصدوق -صلى الله عليه وسلم- جميع علماء الأمة المحمدية، في حين يحتكره يهودي كاهن عراف منجم حتى إن الأمة لتحتاج إليه، وتتسول منه، وتتطفل عليه؟!!

لقد تكفل الله -سبحانه وتعالى- بحفظ الذكر، فقال -عز وجل-: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩] وحفظ الذكر يشمل حفظ السُّنَّة كما بيَّن العلماء، فلا يمكن أن يفوت جميعَ الأمة شيء من سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، حتى المخطوطات التي فقدت لا يترتب على فقدها ضياع ما فيها من سُنَّة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كجامع سفيان الثوري، وموطأ ابن أبي ذئب، ومسند بقي بن مخلد؛ لأن أحاديث هؤلاء الأئمة مدونة في كتب السُّنَّة التي بأيدينا.

إن علماءنا العاملين الربانيين هم فقط الذين يحتكرون حق القِوامة على تراثنا بحمله وتبليغه مَن بعدهم مصداقَ قولِ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يَحمِلُ هَذَا العِلْمَ مِنْ كلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الغَالِينَ، وانْتِحَالَ المُبْطِلِينَ، وتَأوِيلَ الجَاهِلِينَ**»(١).

---

(١) رواه بنحوه البيهقي في «السنن» (١٠/ ٢٠٩) مرسلًا، لكنَّه رُوي موصولًا عن جماعة من الصحابة، وصحَّحَ بعضَ طرقه الحافظ العلائي، وانظر: «تحقيق المشكاة» (١/ ٨٢) رقم (٢٤٨).

نوسْتراداموس وأحداث سبتمبر ٢٠٠١م

نشرت مجلة «أون لاين» في العدد (١٤) نصف أكتوبر ٢٠٠١م مقالًا أنحت فيه باللائمة على وكالة «رويتر» للأنباء؛ لأنها التي نشرت شائعة تنبؤ «نوسْتراداموس» بأحداث ١١ سبتمبر، ونسبت إلى «جون هوج» أحد المتخصصين في دراسة نبوءات «نوسْتراداموس» قوله: «يبدو أن صحافيي وكالة رويتر نسوا أبسط قواعد الصحافة المحترمة، ألا وهي التأكد من الحقائق قبل نشرها، الأمر الذي لم يفعله أحد»، وقد دعا الوكالة الشهيرة إلى الاعتذار عن خطئها، وتكذيب ذلك الخبر فورًا.

وذكرت المجلة أن طالبًا يُدعى «نيل مارشال» كان قد صمم موقعًا له على شبكة الإنترنت باسم «التحليل النقدي لنوسْتراداموس»، وقد نشر فيه عددًا من الرباعيات ونسبه إلى الفلكي الشهير، وحرص على أن يجعلها ذات لغة مراوغة ليسْخر من فكرة التنبؤ بالمستقبل، ووصل إلى استنتاج أن نصوص «نوسْتراداموس» يمكنها أن تعني كل شيء، وقد لا تعني شيئًا على الإطلاق.

ويقول محرر موقع «الأساطير الحضارية» Urban Legends:

«إن لغة نوسْتراداموس تجعل نصوصه قابلة للتفسير على أي وجه، يمكنك أن ترى فيها الحروب أو المآسي، أو الانتصارات، أو أي شيء تريد أنت رؤيته»[١].

---

(١) ومن أجل ذلك تكرر استغلالها دعائيًّا في الحرب النفسية:

(ففي أوائل عام ١٦٤٩م قام خصوم الكاردينال «مازاران» بنشر طبعة من «قرون»؛ =

ثم تسخر مجلة online من «نوسْترادادموس» وأشباهه، وتتساءل: لماذا يستخدم المنجمون دومًا تلك اللغة المراوغة؟ إذا كانوا بحق قادرين على كسر حاجز الزمن والإبحار عبر المستقبل؛ فلماذا لا يقولون لنا ما سيحدث بوضوح وصراحة دون أن «يوجعوا دماغنا»؟!

= وهو اسم كتاب «نوسترادادموس» الذي ضمَّنه نبوءاته؛ بعد أن أضافوا إليها رباعيتين ضده، من أجل الحد من نفوذه في البلاط الفرنسي.

- وفي عصر «نابليون» تم إضافة رباعيات زائفة أُطلق عليها «نبوءات أوليفارس»، تبعتها: «تنبؤات أورفال»، ونُسِب كلاهما إلى «نوسترادادموس».

- وخلال الحرب العالمية الثانية ظهر أكثر من خمس طبعات من كتاب «قرون»، وكان كل طرف يقتصر على ذكر ما يفيده، ويتجاهل سائر الرباعيات.

- بل استغل وزير الإعلام النازي «جوبلز» نبوءات «نوسترادادموس» في الحرب الدعائية أثناء الحرب العالمية الثانية، إذ انتقى منها بعض الرباعيات التي يمكن أن توحي بعظمة ألمانيا وحتمية انتصاراتها، وأثبتها في نشرة دعائية خاصة، ترجمت إلى الفرنسية، والإنكليزية، والهولندية، وكانت تلقيها الطائرات النازية على المدن الأوروبية التي كانت فزعة تترقب: ماذا سيفعل النازي بجيوشه الجرارة التي اجتاحت النمسا، وبدأت تتأهب لغزو سائر أوربا؟

قابلت المخابرات البريطانية الموقف بسخرية، سرعان ما تحولت إلى عكس ذلك حينما لاحظت التأثير السلبي لتلك المنشورات على الأوربيين، مصداق قول بعضهم: «إذا ما ضعفت النفس؛ استسلمت للخرافة»، وهنا حشدت المخابرات البريطانية كل ما يمكن جمعه من نبوءات «نوسترادادموس» مما يمكن أن يفسر على أنه هزيمة لألمانيا في منشورات ترجمت إلى الألمانية لإحباط الشعب الألماني، ثم إلى الفرنسية والهولندية لرفع معنويات سائر الشعوب الأوروبية). اهـ. بتصرف من «روايات مصرية للجيب كوكتيل ٢٠٠٠» ص(٧٣- ١١٤).

كشف حقيقة التنجيم والمنجمين

لقد انبهر صاحب «هرمجدون» بتنبؤات اليهودي اللئيم، وراح يلتمس المعاذير والمسوِّغات؛ ليضفي عليها المصداقية كما رأيت، مع أن الغالب كذب المنجمين، والصدق فيهم نادر، ولا أدري كيف خاض هذا الإنسان في مستنقع «المنجم اليهودي»، وأهمل تفسير من لا ينطق عن الهوى -صلى الله عليه وسلم- لظاهرة صدقِ بعض أقوال الكُهَّان أحيانًا، وهو ما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- قال: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «**إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ؛ ضَرَبَتِ الملَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا** ﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ ﴿ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ، هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ -وَوَصَفَ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ فَحَرَفَهَا، وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ- **فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الْآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوْ الْكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذِبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا؟ فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَ مِنَ السَّمَاءِ**»(١).

وعن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: «سَأَلَ أُنَاسٌ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- عَنْ الْكُهَّانِ؟ فَقَالَ: **إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِشَيْءٍ**، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقًّا، قَالَ: فَقَالَ

(١) رواه البخاري (٤٨٠٠)، (٨/ ٥٣٧).

النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: **تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الحقِّ يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ فَيُقَرْقِرُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ كَقَرْقَرَةِ الدَّجَاجَةِ فَيَتَخَلَّطُونَ فِيهِ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذِبَةٍ**»(١).

وعن معاوية بن الحكم -رضي الله عنه- أنه قال للنبي -صلى الله عليه وسلم-: «وَإِنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الْكُهَّانَ؟ قَالَ: **فَلَا تَأْتِهِمْ**»(٢).

قال النووي -رحمه الله تعالى-: «قال العلماء: إنما نهى عن إتيان الكُهَّان؛ لأنهم يتكلمون في مُغَيَّبَات قد يصادف بعضها الإصابة، فيخاف الفتنة على الإنسان بسبب ذلك؛ لأنهم يُلَبِّسُونَ على الناس كثيرًا من أمر الشرائع، وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة بالنهي عن إتيان الكهان وتصديقهم»(٣) اهـ.

وعن بعض أمهات المؤمنين -رضي الله عنهن- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**»(٤).

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ** -صلى الله عليه وسلم-»(٥).

وعن عمران بن حصين -رضي الله عنهما-: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّر أَو تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَو تُكُهِّنَ لَهُ**،

---

(١) رواه البخاري (٧٥٦١)، (١٣/ ٥٣٥).

(٢) رواه مسلم (٥/ ٢٠- نووي).

(٣) «شرح النووي» (٥/ ٢٢).

(٤) رواه مسلم (٢٢٣٠)، (٤/ ١٧٥١).

(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٢٩).

أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ عَقَدَ عُقْدَةً، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا، فَصَدَّقَه بِمَا قَالَ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ -صلى الله عليه وسلم-»[١].

قال الإمام الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى: «إنما يدخل الشبه على الناس في أمر المنجمين من قبيل أنهم يرون المنجمَ يُصيب في مسألة تقع بين أمرين؛ كالجنين الذي لا يخلو من أن يكون ذكرًا أو أنثى، أو المريض الذي لا يخلو من أن يصح أو يموت، والغائب الذي لا يخلو من أن يقيم بمكانٍ أو يئوب.

ومن شأن الناس أن يحفظوا الصوابَ؛ للعُجْبِ به والشَّغَف، ويتناسوا الخطأ؛ لأنه الأصل الذي يعرفونه، والأمرُ الذي لا يُنكرونه، ومن ذا الذي يتحدث بأنه سأل المنجمَ فأخطأ؟! وإنما التحدث بأنه سأله فأصاب[٢].

والصواب في المسألة إذا كانت بين أمرين قد يقع أحيانًا للمعتوه والطفل، فضلًا عن المتلطف الرفيق، والقولُ في إصابة المنجِّم كقول الشاعر في الطيرة:

تَـعَـلَّـمْ أَنَّـهُ لَا طَـيْـرَ إِلَّا عَلَى مُتَطَيِّرٍ وَهِيَ الثُّبُورُ
وَشَيْءٌ قَدْ يُوَافِقُ بَعْضَ شَيْءٍ أَحَايِينًا وَبَاطِلُهُ كَثِيرُ

---

(١) أخرجه البزَّار؛ كما في «كشف الأستار عن زوائد البزار» (٣٠٤٤)، وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح، خلاف إسحاق بن الربيع، وهو ثقة» اهـ من «مجمع الزوائد» (٥/ ١١٧)، وصححه في «صحيح الجامع» رقم (٥٣١١).

(٢) وهذا ما فعله بعض العابثين بأشراط الساعة؛ فإنهم أهملوا ذكر ما خابت فيه ظنون «نوستراداموس» وما أكثره! واقتصروا على ذكر القسم الآخر، وراجع: ص(١٠٣-١٠٤).

وإن وُجِد لمن يَدَّعي الأحكامَ إصابةٌ في شيء، فخطؤه أضعافُه، ولا تبلغُ إصابتهُ عُشْرَ مِعْشاره، وتكون الإصابة اتفاقًا كما يظن الظانُّ المنافي للعلم المقارن للجهل الشيءَ، فيكونُ على ظنه، ويخطئ فيما هو معلومٌ أكثرَ عُمُره، ولا يُقَالُ: إن هذه إصابة يُعَوَّل عليها، ويُرْجَع إليها، بل إذا تكررت منه الإصابة في قوله، وكثر الصدقُ في لفظه، والصحة في حكمه، ولم يُخْرَمْ منه إلا الأقلُّ، حينئذ سلمت له هذه الفضيلة، وشُهِدَ له بهذه المعجزة، ولا فرق بين المنجم والكاهن؛ إذ كلٌّ واحدٍ منهما يدَّعي الإخبارَ بالغيوب، وكيف يُسَلَّمُ للمنجمين ما يَدَّعونه، وأحدهم على التحقيق ما يعرف ما حدث في منزله، ولا ما يُصلح أهلَه وَوَلَدَهُ؟ بل لا يعرف ما يُصلحهُ في نفسه، ويؤثر عنه أن يخبر بالغيب الذي لم يُؤْتِهِ الله أحدًا، ولم يستودعه بشرًا، إلا لرسول يرتضيه، أو نبيٍّ يصطفيه»[(١)]. اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-:

«ولما أراد علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أن يسافر لقتال الخوارج عرض له منجم، فقال: يا أمير المؤمنين! لا تسافر؛ فإن القمر في العقرب؛ فإنك إن سافرت والقمر في العقرب هُزِمَ أصحَابُك -أو كما قال- فقال عليٌّ: بل أسافر ثقة بالله، وتوكلًا على الله، وتكذيبًا لك؛ فسافر، فبورك له في ذلك السفر، حتى قتل عامَّة الخوارج، وكان ذلك من أعظم ما سُرَّ به؛ حيث كان قتاله لهم بأمر النبي -صلى الله عليه وسلم-»[(٢)]

---

(١) «القول في علم النجوم» ص(١٩٢-١٩٤).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ١٧٨-١٧٩).

إلى أن قال -رحمه الله تعالى-: «وكذلك أيضًا الاستدلال على الحوادث بما يستدلون به من الحركات العلوية، والاختيارات للأعمال: هذا كله يُعلم قطعًا أن نبيًّا من الأنبياء لم يؤمر قطُّ بهذا؛ إذ فيه من الكذب والباطل ما ينزه عنه العقلاء الذين هم دون الأنبياء بكثير» اهـ[١].

وقال الإمام محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي -رحمه الله تعالى- عند تفسيره قوله تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ۝٢٧﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧]: (قال العلماء رحمة الله عليهم: لما تمدَّح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه، كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيبَ أحدٌ سواه، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزةً لهم ودلالةً صادقةً على نبوتهم. وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى، وينظر في الكتب، ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه؛ بل هو كافر بالله، مفترٍ عليه بحَدْسِه وتخمينه وكذبه. قال بعض العلماء: وليت شعري ما يقول المنجم في سفينة ركب فيها ألف إنسان على اختلاف أحوالهم، وتباين رتبهم، فيهم الملك والسُّوقة، والعالم والجاهل، والغنيُّ والفقير، والكبير والصغير، مع اختلاف طوالعهم، وتباين مواليدهم، ودرجات نجومهم؛ فعمهم حكم الغرق في ساعة واحدة؟ فإن قال المنجم قبحه الله: إنما أغرقهم الطالع الذي ركبوا فيه، فيكون على مقتضى ذلك أن هذا الطالع أبطل أحكام تلك الطوالع كلها على اختلافها عند ولادة كل واحد منهم، وما يقتضيه طالعه

---

(١) «السابق» (٣٥/ ١٨٢)، وانظره: (٣٥/ ١٩١-١٩٧).

المخصوص به، فلا فائدة أبدًا في عمل المواليد، ولا دلالة فيها على شقيٍّ ولا سعيد، ولم يبقَ إلَّا معاندة القرآن العظيم. وفيه استحلال دمه على هذا التنجيم، ولقد أحسن الشاعر حيث قال:

حَكَمَ المنَجِّمُ أن طالعَ مولِدِي ... يقضِي عليَّ بميتةِ الغَرقِ
قُلْ لِلْمُنَجِّمِ صَبْحَةَ الطُّوفانِ هَلْ ... وُلِدَ الجميعُ بكوكَبِ الغَرَقِ

وقيل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- لما أراد لقاء الخوارج: «أتلقاهم والقمر في العقرب؟»، فقال -رضي الله عنه-: «فأين قمرهم؟»، وكان ذلك في آخر الشهر. فانظر إلى هذه الكلمة التي أجاب بها، وما فيها من المبالغة في الرد على مَن يقول بالتنجيم، والإفحام لكل جاهل يحقق أحكام النجوم. وقال له مسافر بن عوف: «يا أمير المؤمنين! لا تَسِرْ في هذه الساعة، وسِرْ في ثلاث ساعات يمضين من النهار»، فقال له علي -رضي الله عنه-: «ولِمَ؟»، قال: «إنك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصاب أصحابك بلاء وضر شديد، وإن سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرت وظهرت وأصبت ما طلبت». فقال علي -رضي الله عنه-: «ما كان لمحمد -صلى الله عليه وسلم- مُنَجِّم، ولا لنا من بعده» -في كلام طويل يَحتجُّ فيه بآيات من التنزيل- «فمن صَدَّقَكَ في هذا القول لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله نِدًّا أو ضدًّا، اللهم لا طير إلَّا طيرك، ولا خير إلَّا خيرك». ثم قال للمتكلم: «نكذِّبك، ونخالفك، ونسير في الساعة التي تنهانا عنها». ثم أقبل على الناس، فقال: «يأيها الناس، إياكم وتعلمَ النجوم إلَّا ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر؛ وإنما المنجم كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار، والله لئن بلغني أنك تنظر في النجوم،

وتعمل بها لأخلدنك في الحبس ما بقيتَ وبقيتُ، ولأحرمنك العطاء ما كان لي سلطان». ثم سافر في الساعة التي نهاه عنها، ولقي القوم فقتلهم، وهي وقعة النَّهْرَوَان الثابتة في الصحيح لمسلم، ثم قال: «لو سِرْنا في الساعة التي أمرنا بها، وظفرنا، وظهرنا، لقال قائل: سار في الساعة التي أمر بها المنجم، ما كان لمحمد -صلى الله عليه وسلم- منجم ولا لنا مِن بعده، فتح الله علينا بلاد كِسرى وقيصر وسائر البُلدان»، ثم قال: «يأيها الناسُّ! توكلوا على الله وثِقوا به؛ فإنه يكفي ممن سواه»[١] اهـ.

قال الخليل بن أحمد -رحمه الله تعالى-:

خَبِّرا عني المنجمَ أني ... كافرٌ بالذي قضته الكواكبْ
عالمٌ أن ما يكون وما كا ... ن قضاءٌ من المهيمنِ واجبْ[٢]

وقال القاسم بن محمد الأنباري -رحمه الله تعالى-:

إني بأحكام النجوم مُكذِّبٌ ... وَلِمُدَّعيها لائمٌ ومؤنِّبُ
الغيبُ يعلمُه المهيمنُ وحدَه ... وعن الخلائق أجمعين مُغَيَّبُ
الله يُعطي وهْوَ يمنع قادرًا ... فمن المنجم وَيْحَهُ والكوكبُ[٣]

وقال المتنبي:

فتبًّا لدينِ عبيدِ النجومِ ... ومن يدَّعي أنها تعقلُ[٤]

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٢٨، ٢٩).
(٢) «بهجة المجالس» لابن عبد البر (٣/ ١١٥).
(٣) «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٤/ ٦٣٤).
(٤) «ديوان المتنبي» ص (٢٥٦).

الباب الثالث

مَظَاهِرُ العَبَثِ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ

الفصل الأول

سرد مجمل لبعض مظاهر الْعَبَثِ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ

- يتخذ العبث بأشراط الساعة مظاهرَ عدةً، ويتجلى في عدة مجالات:

- أما أقبح مظاهر العبث بأشراط الساعة: فاختلاق الكذب، وافتراء القصص، وإطلاق العِنان للخيال الجامح كما فعل كبيرهم ودجالهم «محمد عيسى داود».

- ومن ذلك: تكذيب النصوص الصحيحة، وزعم أنها كلها موضوعة.
- ومنه: إبطال معاني الأحاديث الصحيحة بالتأويل الفاسد(١).
- ومنه: الخوض بغير علم في قضية «تحديد عمر الأمة».
- ومنه: الغلو في محاولة مطابقة ما ورد في النصوص على وقائع وأحداث معينة، أو على أشخاص معينين رجمًا بالغيب.
- ومنه: محاولة توظيف النصوص لخدمة مآربهم، والتعسف في تفسيرها بما يتوافق مع أغراضهم.

---

(١) وممن جمع رذيلتي التأويل الفاسد، والتكذيب: أتباعُ المهدي الجونبوري؛ فقد كانوا يحاولون جهدهم أن يطبقوا جميع الأحاديث الواردة في المهدي على مهديهم المزعوم؛ فإن تعذر ذلك: فإما أن يؤوِّلوا الحديث بما يوافق توجهاتهم تأويلًا سخيفًا باردًا، وإما أن يردوه بالكلية؛ فقد قال لهم «الجونبوري»: «كثر الخلاف في الحديث، ويصعب تمييز الصحيح من السقيم؛ فالذي يوافق كتاب الله تعالى، ويوافق أحوالي؛ فاقبلوه»، انظرْ: «فرق الهند» ص(٢٤٨).

- ومنه: الاستدلال بما لا يصلح دليلًا؛ كالإسرائيليات القديمة والحديثة، والأحاديث الضعيفة والموضوعة، ومرويات الرافضة، وحساب الجُمَّل، وما يُسَمَّى علمَ الحروف(١).

وبالجملة فكل من حادَ عن «الوسطية» في هذه القضية إلى جفاء المنكرين، أو إلى غلو المثبتين؛ فقد تورط في جريمة القول على الله بغير علم، والعبث بأشراط الساعة.

- ومن العبث بأشراط الساعة:

تكلف بعضهم اصطناع هذه الأشراط، وإيجادها في الواقع عَنْوة، حتى إن من مُدَّعِي المهدية مَن يغير اسمه واسم أبيه، أو يدعي الانتساب إلى آل البيت الشريف، متناسين أن «الْمُنْتَظَرَ» تصنعه المهدية؛ لكنه لا يصنعها، ولا يصطنعها.

- ومن العبث بأشراط الساعة:

الابتهاج بانتشار الفساد والظلم في الأرض، وتمني ذلك؛ بحجة أن هذا يعجل بخروج المهدي الموعود(٢)، مع أنه تعالى قال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

---

(١) بل من العابثين من ضم إلى مصادره في التلقي: «ما تقوله الشياطين في جلسات تحضير الأرواح» كما زعم صاحب كتاب «اقترب خروج المسيخ الدجال» ص(١٥٩).

(٢) كما يفعل الروافض -قبحهم الله-، بل علَّل البعض ما يجري على أيدي الرافضة من المذابح الوحشية لأهل السنة في العراق بأن هذا وسيلة لتعجيل خروج المهدي بناءً على هذا المفهوم الشيطاني، وانظر: «تبديد الظلام» للجبهان ص (٣٦٥).

أَيُّهَا الْعَابِثُونَ: بَشِّرُوا، وَلَا تُنَفِّرُوا!

فإن تَوَقُّعَاتِكم تبعث أحيانًا على الإحباط، وتسوء المسلمين، وتؤذي مشاعرهم الإيمانية، وتُدخل الْحَزَنَ في قلوبهم، خاصة وأنها توقعات مبنية على شفا جرف هار من الظنون والخيالات، فأحرى بها أن تُنْبَذَ نَبْذَ النواة، ولا شك أن هذه الكتابات تُصَادِمُ سُنَّةَ النبي -صلى الله عليه وسلم- في بعث الأمل في النفوس، فأين قوله -صلى الله عليه وسلم-: «بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا»، من ذلك الذي يدعي أن «الجفر» المزعوم؛ الذي يستمد منه كثيرًا من دعاواه، يخبر بأن «الهيكل سَيُعَادُ بناؤه»[(١)].

وذاك الذي يحدد بالسنة والشهر واليوم موعد تفجير اليهود للمسجد الأقصى -صانه الله من كل سوء-، وأن الهيكلَ يُبْنَى على أنقاضه[(٢)]، وثالث يزعم أن الغربَ سيحتلُّ تركيا، ويسترجع القسطنطينية عام ١٩٩٩م لمدة أشهر، ورابع يخالفه، ويقول: «بل يحتمل أن يرتد جميع الأتراك عن الإسلام، ويتنصَّرون، مما سيتطلب فتح القسطنطينية مرة أخرى»[(٣)]، وخامس يستدل بحديث منكر فيه: «أن الروم سيثبون على من بقي في بلادهم من العرب فيقتلونهم، حتى لا يبقى بأرض الروم عربي ولا عربية، ولا ولد عربي؛ إلا قُتل»[(٤)]، وسادس يقول: «فحصار العراق قد أعقبه حصار الشام (فلسطين)، وقد يمتد الحصار قريبًا إلى سوريا ولبنان، والله أعلم»[(٥)].

---

(١) «المفاجأة» ص(٣١٦).

(٢) «أسرار الساعة» ص(١٣٤-١٣٦)، وانظر: «خُدعة هرمجدون» ص(٥٧-٦١).

(٣) انظر: «الحرب العالمية القادمة» ص(١٢٢).

(٤) «هرمجدون» ص(٧١).

(٥) «نفسه» ص(٢٥)، وراجع ص (٩٠).

- ومن العبث بأشراط الساعة:

محاولة توظيف النصوص لخدمة مآربهم، والتعسف في تفسيرها بما يتوافق مع أغراضهم.

- ومنه: الغلو في محاولة مطابقة ما ورد في النصوص على وقائع وأحداث معينة، أو على أشخاص معينين رجمًا بالغيب.

ومن رواد هذا المنهج: «أبو الفيض أحمد بن محمد بن الصديق الغماري» مؤلف كتاب «مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية»؛ الذي تكلف فيه عند تطبيقه بعض أحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم- على المخترعات الحديثة وتنزيلها على وقائع هذا الزمان، وإن كان وُفِّق في بعضها[(١)]، على أنه شحن الكتاب بالأحاديث الضعيفة دون تنبيه على ضعفها، لمجرد أن متنها يوافق ما يرمي إليه من المطابقة المزعومة.

ومع أنه يُلقب بالمحدِّث[(٢)] الحافظ؛ إلا أنه صوفي قبوري غالٍ، يبغي على الدعوة الوهابية السلفية التجديدية، وينبز أهلها «بالقَرْنيين»[(٣)]، ويجازف في رميهم بالعظائم[(٤)]، فالله طليبه، وهو حسيبه.

---

(١) مثل: كثرة الأمراض التي لم تكن معروفة، وتبرج النساء، وتقليد الكفار، ونحو ذلك.

(٢) انظر: ص(١٦٤).

(٣) فهو ينسبهم ظلمًا وعدوانًا إلى «قرن الشيطان»، المذكور في الحديث عن نجد: «هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان» رواه البخاري، والصواب أن المقصود بنجد هنا بادية العراق ونواحيها، وانظر: الجواب المفصل عن هذه الشبهة في «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان» ص(٤٩٦-٥٠١)، و«دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» ص(١٨٥-١٩٢) و«العراق في أحاديث وآثار الفتن» للشيخ مشهور بن حسن (١/ ٣٣-٤٣)، وانظر: ص (٢٧٩)، وما بعدها.

(٤) كقوله: «واحتل القرنيون الحجاز، وهم أعداء أهل المدينة الشريفة لمجاورتهم سيد الخلق وأفضل الرسل صلوات الله وسلامه عليه، فتراهم يضيقون عليهم، =

وقد ذكر الشيخ «مقبل بن هادي الوادعي» -رحمه الله تعالى- أن الشيخ حمودًا التويجري -رحمه الله- رد على كتاب الغماري المذكور بكتاب أسماه: «إيضاح المحجة في الرد على صاحب طنجة»(١).

ومن تكلفه تفسيره حديث: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْدِّينِ ظَاهِرِينَ**» الحديث، وفيه: «**بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ**»؛ بأن هذا تحقق في المصريين مع الإنكليز والفرنسيين واليهود والأمريكان، وأن الحديث تحقق بالاتحاد بين مصر وسورية في (الجمهورية العربية المتحدة)، إلى أن قال: «وكل هذا آتٍ قريب، وهو يدل على قرب خروج الدجال اليهودي الأعور الكذاب، وعلى أن الأمة المصرية هي التي ستفوز بقتاله وقتال جنده اليهود لعنهم الله»، وذهب إلى أن الله تعالى «سيظهر لهم كرامة كلام الشجر والحجر، فيقول الشجر والحجر للمؤمن: يا عبد الله هذا كافر ورائي فتعال فاقتله، والمؤمن من جيش مصر والاتحاد العربي». اهـ(٢) بتصرف.

تنبيه:

ومن سلك مسلك الغماري المذكور في تكلف تأويل بعض النصوص -ولو كانت ضعيفة ولا تثبت- وتنزيلها على المكتشفات الحديثة:

= ويعاملونهم بما يحملهم على مفارقتها، والخروجِ منها مرة أخرى لتخرب» ا هـ. من «مطابقة الاختراعات العصرية» ص(١٢٧).

(١) «الصحيح المسند من دلائل النبوة» ص(١١).

(٢) «مطابقة الاختراعات العصرية» ص(٥٤، ٥٥).

- فضيلة الشيخ أبو بكر الجزائري -حفظه الله- في رسالَتَيْهِ: «اللقطات في بعض ما ظهر للساعة من علامات»، و«الأحاديث النبوية الشريفة في أعاجيب المخترعات الحديثة»، وتعقبه فيهما الشيخ «حمود التويجري» -رحمه الله تعالى- في رسالته: «تنبيهات على رسالتين للشيخ أبي بكر الجزائري»، وبيَّن فيها ضعف معظم أحاديث الرسالتين المذكورتين، وردَّ ما حَوَتاه من التأويل المتعسف.

- وكذلك الدكتور «فاروق الدسوقي» الذي قال: «إن الذي أولجني (بهذا) الباب، ووضعني في مدينة هذا العلم هو فضيلة الشيخ العالم الحافظ أحمد بن الصديق الغماري... وذلك بكتابه القيم الرائد السابق لعصره: «مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية» فهو الرائد الأول في عصرنا في مجال علم مطابقة النصوص على الأحداث»(١).

---

(١) «القيامة الصغرى على الأبواب» (١/ ١٥)، وقد أثنى في نفس الموضع على «سعيد أيوب» صاحب كتاب «المسيح الدجال قراءة سياسية في أصول الديانات الكبرى»، و«محمد عيسى داود» صاحب كتابَيْ «احذروا المسيخ الدجال يغزو العالم من مثلث برمودا»، و«الخيوط الخفية» قائلًا: «فكلٌّ منهما رائد في مجاله، وبقية المكتوب عن المسيح الدجال حديثًا عالة عليهما، وإقرارًا بالفضل لله تعالى، ثم لصاحبه أقول: إن المؤلِّفَيْنِ الفاضِلَيْنِ وبخاصة الثاني قد فتحا أمامي آفاقًا جديدة في علم أشراط الساعة بإزالة بعض علامات الاستفهام حول مطابقة بعض نصوص الوحي: قرآنًا وسُنَّة بالأحداث المعاصرة» اهـ (١/ ١٥)، وإن مما يؤسف له أن ينخدع هذا الفاضل صاحب «القضاء والقدر» رسالة الدكتوراة التي حصل بها على جائزة الملك فيصل، لمثل «محمد عيسى داود» الصائم عن علوم الشريعة، والذي يبرأ منه العلم الشرعي براءة الشمس من اللمس!

ومن رواد (الغلو) في المطابقة:

- شكري أحمد مصطفى (١٩٤٢- ١٩٧٨م).

زعيم الخوارج الجدد، وإمام ما أسماه «جماعة المسلمين».

- كتب رسالة «التوسمات» وكان مما تضمنته: الكلام على واقع المسلمين، وواقع جماعة الحق -التي هي جماعتهم بزعمهم- وظهور المهدي.

ومما جاء فيها: [«النصوص تؤكد أن جماعة الحق اليوم أصبحت وشيكة، من الدجال ونزول عيسى ابن مريم، ونرجو الله أن نكون خَلَفًا من حوارييه...».

«وإشارات كبيرة تؤكد أننا سندرك عيسى ابن مريم، وأننا جماعة الحق التي تستحق الخلافة في الأرض على هدي النبوة، ونرجو الله أن يجد فينا خَلَفًا من حوارييه».

«.. ونحن جماعة الحق في آخر الزمان تشملنا الآيتان: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، و﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ﴾».

«فقد كلفهم الله -أي: جماعة آخر الزمان - سبحانه وتعالى- من الناحية القدرية التي يعلمها، والتي يريدها؛ بما لم يكلف به صحابة النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ حيث سوف يتم على يد جماعة آخر الزمان ظهورُ الإسلام على كافة الأديان والملل، ويُعبد الله لا يُشْرَكُ به شيئًا(١)، ولا يبقى بيت من وبر أو مدر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز

(١) الصواب: شيءٌ.

أو بِذُلِّ ذليل، ويتم الله قدره ونعمته على عباده، وينتصر هو ورسله وحزبه على العالمين، ويمكِّن لهم في الأرض كما وعد بذلك»] ا هـ[(١)]

«لهذا وغيره كان أعضاء هذه الجماعة يجزمون بأن قائدهم شكري هو مهدي هذه الأمة المنتظر، ولن تستطيع السلطة قتله، وسوف يذهب كل جهد تبذله في هذا السبيل أدراج الرياح؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- سوف يحفظه؛ ليجاهد اليهود والنصارى، ويرفع رايات النصر في كل صُقْع من أصقاع العالم الفسيح، ويُظهر الله به دينه على كافة الأديان والملل، ويمكِّن له في الأرض ما شاء أن يمكن.

... وكان أعضاء الجماعة يؤكدون أنه لو تم إعدام قائدهم؛ لوجب عليهم إعادة النظر بتصورات ومفاهيم الجماعة...»[(٢)].

(١) «الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو»، لمؤلفه محمد سرور زين العابدين، ص(٢١٥، ٢١٦).

(٢) «نفسه» ص(٢١٦)، وانظر ما يأتي هامش ص (٣٠٦-٣٠٩).

تعليق واستطراد

إن تعليق «وجوب إعادة النظر بتصورات ومفاهيم الجماعة» على «إعدام قائدهم» سوءة فكرية، وعورة منهجية خطيرة، ولماذا يأتي التصحيح دائمًا بعد فوات الأوان؟

ولا يتقون الشَّرَّ حتى يصيبَهمْ ولا يعرفون الأمرَ إلا تدبرا

ولماذا لا نُخْضِع الفكر والمناهج للفحص والتفتيش ونحن ما زلنا في دار «الامتحان»؛ حيث توجد فرصة، بل فرص للمراجعة والتصحيح واستدراك الخطإ قبل الانتقال إلى دار «ظهور النتائج»!

وإلى متى ستظل الدعوة الإسلامية تدفع ثمن استبداد بعض فصائلها بالرأي في غيبة عن الرِّقابة العلمية الشرعية؟

إن هذا النمط العجيب من التفكير ليستدعي من الذاكرة قولَ إمام فتنةٍ من المتأولين: «إننا -والله- نعلم أن بين يدي الله موقفًا يسألنا فيه عن أعمالنا، ويحاسبنا عليها، ولكن نسأل الله -إن كان لنا هوى، أو مقصدنا لغير وجهه الكريم- أن يُخزيَنا، ويُبينَ باطلَنا على رءوس الأشهاد، وأن يفسد مساعينا، ولا يسددها». اهـ.

سبحان الله! «لقد حجَّرتَ واسعًا»، أليس اللسان الذي تلفظ بهذه الدعوة العديمة الفقه، هو نفس اللسان الذي كان يمكن أن يدعو بالعفو والعافية من الهوى، ويسأل الله الذي لا يُخَيِّبُ راجيَه، ولا يَرُدُّ داعيَه -أن يُريَه الحق حقًّا، ويرزقه اتباعه، ويريه الباطل باطلًا، ويرزقه اجتنابه؟! ولماذا نتأسى بالذين قال الله -عز وجل- فيهم: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن

كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٢﴾ [الأنفال: ٣٢]، وننسى هَدْيَ مَن هديُه خير الهدى -صلى الله عليه وسلم- الذي عاد رجلًا من المسلمين قد خَفَتَ -أي: سكن وسكت- فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟** قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-: **سُبْحَانَ اللهِ لَا تُطِيقُهُ أَوْ: لا تَسْتَطِيعُهُ، أَفَلَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ؟** قَالَ: فَدَعَا اللهَ لَهُ، فَشَفَاهُ»(١).

الْعُجْبُ وَالاغْتِرَارُ بِالظُّنُونِ

ومع عبث هؤلاء القوم بأشراط الساعة، وقولهم على الله بغير علم، نجدهم موقنين بهذه الأفكار، جازمين بها، حتى يقولَ أحدهم:

«أستطيع أن أحلف -ولا أستثني- أن ملاحم آخر الزمان؛ والتي تبدأ بالحرب العالمية الثالثة والأخيرة «هرمجدون» -قد كشرت عن أنيابها، وشَمَّرت ساعديها، وكَشَفَتْ عن ساقيها»(٢)، ويشكو من أنه لم يسلم من

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٦٨٨) (٤/ ٢٠٦٨).

(٢) «هرمجدون» ص(٧)، وانظره: ص(١١٩)؛ حيث قال: «أحلف، ولا أستثني أن أولى جولاتها بدأت بالفعل»، وقد دافع عن هذا «القَسَم» مستدلًّا بقَسَم بعض الصحابة على أن ابن صياد هو الدجال، فانظر: الرد عليه في «فتح الباري» (١٣/ ٣٢٥-٣٢٧)، و«كشف المكنون في الرد على كتاب هرمجدون» ص(١٠٧) وما بعدها.

«شَغْبِ الصبية[١]»، أي: معارضيه؛ فهم يستقصرون أفهام مخالفيهم، ويسخرون ممن لا يتقبل خرافاتِهِمْ، ويَشُكُّ فيها.

فهذا صاحب «أسرار الساعة» يصف المنكرين عليه بالمرجفين، والمتشككين، ويقول: «لقد كان الواقع المعاصر والمعاش شاهدَ إثباتٍ على صحة كل ما ورد في هذا الكتاب من روايات وأحاديث[٢]؛ ولهذا تمكنتُ بتوفيق الله من إزاحة الستار عن أكثر الأسرار خطورةً؛ إنها أسرار النهاية وقيام الساعة؛ لقد تفككت أمامي -وبكل سهولة- أكثر الرموز المستعصية في روايات الفتن والملاحم وأشراط الساعة، لقد رأيت أمامي خيوط المؤامرة، وكشفتُ أبعادها السرية والعلنية؛ ولهذا سيجدُ القارئ في هذا الكتاب تحديدَ الزمان والمكان للملاحم، ويجد أسماء بعض قادة الفتن في آخر الزمان وزعماء آخرين، والجميع قادة سياسيون معاصرون، ولكن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قد وصفهم لنا[٣]»... إلخ.

ثم يُطْرِي كتابه قائلًا:

«ولا أريد أن أُطِيلَ، فهذا الكتاب بين أيديكم، وقد كفيتكم الرد عليه بأفصح لغة علمية، وهي لغة الأرقام، وبأقوى وأصدق المواعيد وهي التاريخ، وليس على المرجفين أو المتشككين إلا الانتظار لعدة شهور

---

(١) «هرمجدون» ص(٤٧).

(٢) مع أنها أحاديث، وروايات ضعيفة، أو موضوعة، أو لا أصل لها، أو إسرائيليات، أو شيعيات، أو كهانة، وتنجيم، واعتماد على حساب الحروف.

(٣) «أسرار الساعة» ص(١٥).

فقط[١]، وتظهر الحقيقة أمام الجميع، إما مع الكتاب أو ضده، فعليهم الصمت والترقب حتى لا يحرموا غيرهم من فائدة مرجوة قبل ظهور آية الدخان، أو يظهر الدَّجال في شخصيته المزعومة...»[٢] اهـ.

ويحاول أحدهم أن يروج لأفكاره بالإشارة إلى «قرينة» وصفها بأنها «معتبرة عنده»، وهي أن رجلًا لا يعرفه أخبره أنه رأى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في رؤيا يبتسم له، ويعطيه كتاب «عمر أمة الإسلام»[٣]، وذلك قبل صدور الكتاب بتسعين يومًا[٤].

ومن نماذج الاغترار بالظنون والخيالات، ما حكاه الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان -حفظه الله- فقال:

«في بلادنا واحد من هؤلاء، لا هَمَّ له في الآونة الأخيرة إلا تهيئة المُناخ لخروج (المهدي)، ويُقسِم في خُطَبه أيمانًا مغلَّظة أن خروجه سيكون قبل عشر سنوات، ثم نقصت المدة، وبدَّل اليمين بطلاق زوجته، ثم غيَّره إلى حلق شاربه، ولله في خلقه شئون» اهـ[٥].

---

(١) وقد انتظرنا أضعاف المدة التي استمهلنا إياها، وانكشف زيف أقواله، ولم يحدث من تنبؤاته شيء!

(٢) «نفسه» ص(١٦).

(٣) راجع: فصل «سلطان المنامات»، في كتابي «المهدي» ص(١٩٣-٢٣١)؛ لتقف على مدى حجية هذه القرينة، وانظر: «فتح الباري» (١٢/ ٤٠٤).

(٤) «هرمجدون»، ص(٥٦).

(٥) «العراق في أحاديث وآثار الفتن» هامش (١/٧٦٣).

الفصل الثاني

وقفة مع الدجال المصري

إن هذا الصحَافِي يتيه ويفتخر بأنه أول من «تشرف» باختراع بعض الهذيان المتعلق بالمسيح الدجال، والأطباق الطائرة[١]، ويثبت لنفسه أن لديه «براءة اختراع»[٢] هذه الأفكار، يقول «محمد عيسى داود» في جريدة «صوت آل البيت»:

«لم يعرف العالم كله -بفضل الله- كاتبًا أو مفكرًا قال بنظرية وجود المسيخ الدجَّال في مثلث برمودة، وأنه صاحب الأطباق الطائرة سوى الكاتب الصحفي محمد عيسى داود . . .» إلى أن يقول: «ومعلوم للقاصي والداني أنني بصفتي الكاتب محمد عيسى داود عضو نقابة الصحفيين، والمستشار الإعلامي لمؤسسة أمل الإعلامية، الصاحب الأوحد لفكرة أن المسيخ الدجَّال هو مخترع الأطباق الطائرة، وأن له قلعة بمثلث برمودة، ولا يوجد كاتب في كل الدنيا قال بذلك غيري، وقد تعدى «فلان . . .» بسرقة نتائج أبحاثي، وانتحلها لنفسه، وذلك

---

(١) وقد تقدم بيان دعاواه مفصلة، ص(٦١-٧٩)، وكلامه عن الأطباق الطائرة ص(٧٣).

(٢) وقد انتقدت المؤسسة التي أسماها «المصرية السويسرية»، والتي تتبنى كتبه «قيام البعض بالسطو على فكرة مفكرنا الكبير دون إشارة إلى (الأولية)، أو (براءة الاختراع)، أو (الانفراد) اهـ. من «ما قبل الدمار» ص(٣٨).

ثابت بكتابين له تم إبلاغ النيابة العامة عنهما، وهي التي قامت بتحريك الدعوى ضده بتهمة السرقة الفكرية . . .»[١] إلخ.

قل لي: من يصفق لكَ أَقُلْ لك: من أنت؟

فممن صفق له[٢] الدكتور فاروق الدسوقي، وتخبطُه في أشراط الساعة مما عُرف واشتهر.

وممن صفق له صاحب «الثمر الداني في ذكر المهدي والقحطاني»[٣] الذي لقبه «بالأستاذ البحاثة»، ثم قال: «وإني لأتقدم بالشكر للأستاذ محمد عيسى داود على ما تضمنته كتبه من نفائس المخطوطات وأعجبها، كما أشكر فيه تواضعه الجم وأمانته العلمية في النقل . . . »[٤].

وإن تعجب فعجب قوله: «أورد الأستاذ محمد عيسى داود في ثنايا ما أورد من مخطوطات أسماء صريحة قد يستغربها البعض، ويظنها موضوعة -ولا أظن الرجل ممن يكذب على الله ورسوله، وهو من آل البيت المحمدي- بل ويرد عليهم ما أورده «نوستراداموس» الفلكي العراف الفرنسي المشهور من أسماء صريحة مثل: هتلر، ونابليون، وغيرهما الكثير . . .»[٥].

---

(١) عدد النصف الأول من نوفمبر ٢٠٠٠م، الموافق شعبان ١٤٢١هـ، ص(٥) وباستطلاع أعداد من الجريدة، يتضح أنها شيعية التوجه؛ حيث تنشر مقالات من مفهوم شيعي، بما في ذلك سب بعض الصحابة الكرام -رضي الله عنهم-، والترويج لمفاهيم رافضية منحرفة، وقد أوقف إصدارها مؤخرًا.

(٢) انظر نص عبارته: ص(٨٩). (٣) راجع: ص(٦٥).

(٤) «الثمر الداني»، ص(١٠٣). (٥) «نفسه» ص(١٠٨).

وممن صفق له: آلاف المعجبين بشطحاته:

يقول: «يكفيني فخرًا مئات بل آلاف القراء الذين يؤازرونني لعلمهم بالحقيقة، ويكفيني فخرًا شهادة الدكتور فاروق الدسوقي، الذي شهد لي بأني رائد هذا المجال، وصاحب الفكرة، ومن عداي عالة عليَّ من الهواة والمقلدين»(١) اهـ بتصرف.

وهو هو الذي وصف من يرفضون «اختراعاته» بأنهم «الأغبياء والضالون»(٢).

وفي مقدمة كتابه «الخيوط الخفية» يقول بعد ما ذكر أن كتابه «احذروا المسيخ الدجال» أثار ضجة كبرى، وأنه استقبل مئات الخطابات: «وأحمد الله -عز وجل- أنه لم يأتني خطاب واحد فيه إنكار لما أوردت من معلومات إلَّا خطابان(!) من مئات الخطابات، وأعذر صاحبيهما لقصور الفكر والتفكير»(٣).

ووصف أحد منتقديه بأنه: «يتهجم بسوء أدبٍ على مفكرٍ مرموق»(٤).

ويصف كتبه بأنها: «أعلى توزيع لكتب في الدنيا»(٥).

ويصف نفسه بأنه: «واحد من ندرة امتلكوا ملكة التحليل الدقيق هبة من الله وصقلًا لها بجهد»(٦).

---

(١) «صوت آل البيت» عدد شعبان ١٤٢١هـ.
(٢) «احذروا» ص(١٤٢).
(٣) «الخيوط الخفية» ص(٩).
(٤) «ما قبل الدمار» ص(١٢٩).
(٥) «نفسه» ص(١٣٧).
(٦) «نفسه» ص(١٣٨).

ويقول: «كان كتاباي «احذروا المسيخ الدجال»، و«الخيوط الخفية» هما أول بحثين على مستوى العالم يقدمان للبشرية جمعاء هذه الحقائق مدعومة بأدلتها العلمية والعقلية والمنطقية والدينية»[1]

(١) «نفسه» ص(٤٦).

خدعوه فقالوا

سرد «السندباد المصري» قائمة من المعجبين بكتبه وأفكاره، وهاك بعضَ أقواله:

- أما الأستاذ الدكتور عبد الخبير عطا أستاذ العلوم السياسية فاعتبرها «مراجع لطلبة الماجستير، والدكتوراة».

- والصديق السفير الدكتور عبد المنعم جبريل يرى «أن العالم الإسلامي لم يرَ من مائة عام كتبًا بأهمية كتبي».

- أما اللواء الطيار المقاتل أنور أبو خطوة، فقال: «إنني أبصم بأصابعي العشرة على دقة وخطورة ما جئت به في كتبك، ويا ليتنا نفهم».

- أما الأستاذ المفكر حسن جميعي فقال: «كتاباك (احذروا)، و(الخيوط) يزنان أعظم ثقلًا (!) من مكتبتي العامرة التي جمعتها على مدى أربعين عامًا»[١].

- كتاباي قال فيهما الناشر الأستاذ أحمد يحيى: «هما كتابا القرن».

- وقال سفراء ووزراء وكبار ومثقفون: «حرام ألا تعطيك مصرُ -وَدَعْكَ من أمة النائمين- جائزتها التقديرية»، وكان ردي: «لم أكتب لجائزة، إنما كتبت حبًّا في ديني وأمتي الإسلامية، وبلدي مصر والمصريين، وتحذيرًا من خطر بصَّرَني الله به»[٢].

---

(١) «ما قبل الدمار» ص(٧٦).

(٢) «نفسه» ص(١٢٩) وإنما أوردت هذه النقول؛ لندرك حجم الكارثة، ومدى كثافة الأمية الدينية!.

وبعد أن ذكر جملة من المنبهرين بفكره، والمعجبين بكتبه؛ قال: «بعد هؤلاء الأعلام لا آبه بالحشرات والطَّغام بَلْهَ اللئام[(١)]»، يقصد منتقديه.

أما هؤلاء المعجبون به، الْمُثْنُونَ عليه، وعلى «فكره»؛ فمرحبًا بهم إذا تكلم كلٌّ في تخصصه، لكن أين هم من «أهل الذكر»؟ وهل فيهم فقيه، أو محدث، أو أصولي، أو مفسر؟!

انْعِدَامُ التَّوْثِيقِ الْعِلْمِيِّ

ومن مظاهر ذلك:

تلك الكتب التي صنفها «محمد عيسى داود» وملأها بالخرافات والهذاءات، وشحنها بالروايات المكذوبة، وجهر في صراحة يُحْسَد عليها بميوله الشيعية[(٢)]، واعتماده على مصادر الشيعة المزعومة؛

---

(١) «أسرار الهاء في الجفر» ص(١٣١).

(٢) انظر نماذج من غلوه في علي -رضي الله عنه-، وآل البيت -رضي الله عنهم- في: كتابه «المفاجأة»، ص(٣٢-٥٦)، وتأمل قوله تحت عنوان: (إهداء كبير جدًّا، لكبير جدًّا) في مقدمة كتابه «ما قبل الدمار» ص(٨): «إلى رجل مصر.. الملقب في النبوءات الكريمة بـ (صاحب مصر)..

صاحب المعالي والفخامة (م/ح....).

سليل المجد السامق... ابن بيت النبوة...

العسكري، ذو(!) البأس الفولاذي.. الدبلوماسي الصدوق..».

إلى أن قال: «وفي جفر الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه جدنا وجد المؤمنين: إن صاحب مصر مكتوب له النصر، وممنوع من الغدر» إلخ.

ويبدو أن (م/ح - العسكري) هو مهدي الرافضة الموهوم محمد بن الحسن العسكري، فإن صح هذا؛ فلست أدري لِمَ هذا (التلغيز) في اسمه؟!.

كالجفر، وغيره، ثم مارس الدجل «العلمي» -إن جاز التعبير- بإيهام القراء بأن هناك مخطوطات «بالجملة» هي مصدر معلوماته، ثم يحكي عن مصادره «الموثوقة»، -في زعمه، وهي أحوج شيء إلى التوثيق- أمورًا يحتاج من يصدقها إلى أن يكون غبيًّا بدرجة كافية حتى تنطلي عليه.

يا نعايا «البحث العلمي»
أقيموا عليه مأتمًا وعويلًا!

يقول -مثلًا- تحت عنوان «نقطة على حرف» بعد أن أورد كثيرًا من خيالاته (١) حول «المسيح الدجال»:

«قد يسأل القارئ الحبيب: وكيف اهتديت إلى كل هذه المعلومات بلا مصادر؟!

وأقول: بل هناك مصادر، ولكن القاعدة الذهبية معروفة لكل خبير وسائل: **لا يُسأل الكاتب وُالمفكرُ عن مصادره**، فقد يكون الضر في ذكرها أبلغ من النفع، وسد الذرائع (؟!!) مقدم على جلب المنافع».

ثم أخطر الأمور وأقوى المصادر -التي لا قبلها ولا بعدها- استفتاء الله -عز وجل-، والتضرع إليه جلَّ في علاه؛ للإجابة وبيان ما خفي من الأمور، ثم الأخذ بالأسباب كما أخذ ذو القرنين بسياحته في أرض الله، والأخذ بمفاتيح العلوم، وأعلاها أسماء الله -عز وجل- الحسنى،

---

(١) انظرها: ص(٦١-٧٢).

والاجتهاد في «القراءة الواعية»، ثم «استقراء الأحداث»، و«رفع درجات حدة الحدس والاستبصار»، ثم «التقدير»، وتحليل الأحداث تحليلًا دقيقًا، واستبطان المعلومات، ومحاولة سبر غورها «بالتأمل»، وفتح المغاليق بالمفتاح القرآني العظيم الذي أوصى به رب العزة -عز وجل-: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

وحبذا بعض المغامرات بيقين التوفيق من الله -عز وجل-، وعقيدة أن الآجال لا يملكها أحد سوى الله -عز وجل-، وأن الأقلام رفعت، والأحبار جفت، والصحف طُويت، والمقادير تمت... ثم ما أحلى الخلوة مع الفكرة!!.

وهي ليست حالات من السلبية المطلقة كما يتوهم السذج!!

إنها عناصر إيجابية جدًّا وخلّاقة بالنسبة للمفكر... إنها «فعل وحركة» و«انطلاقات إلى عوالم أخرى» يرد منها المرء بفكر وعلم ووعي جديد.

وهي «جهاز استقبال لخواطر» يمكن أن يقف أمامها التحليل العلمي والفلسفة عاجِزَيْنِ..

وكثير من «فكري» «ومضات من البرق» و«استنارات وإلهامات فجائية» إن لم أتداركها بالتسجيل، أو التدوين تصبح بَدَدًا بلا بقاء!![١] اهـ.

---

(١) «ما قبل الدمار» ص(٥٦٩-٥٧٠)، «احذروا المسيخ الدجال يغزو العالم من مثلث برمودة»، ص(١٨٣).

ويقول في سياق التسويغ لمنهج «حاطب الليل»:

وأنا مع القاعدة التي تقول: «لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»، ومع هذا فإنني أيضًا مع أي أثر أو حكمة ليس لها إسناد، وروايتها هي عهدة على من نقلنا عنه، باعتبار أن «لنا فائدة الحكمة، وعليه تبعة الرواية أو الكتابة»[١] اهـ.

ويتكلم «السندباد المصري» ناعيًا على الذين يقتصرون على الاستدلال بالأخبار المسندة، ويتحرون الصحة فيها، وكأن ما يفعلون «تحصيل حاصل»، أما هو فكأنه تمثل قول القائل: «ما للناس لا يتبعوني؟ .. ما هم بمتبعيَّ حتى أبتدع لهم غيره»[٢]، فمن ثم قال: «ولو أني اعتمدت مبدأ ألا أكتب إلَّا ما له إسناد، وتم توثيقه من قبل؛ فظني أني أحرث في أرض محروثة، إلَّا أن يكشف الله -عز وجل- لي بعض أزهار أو ثمار لم يبصرها الراءون قبلي، فهنالك يكون تمام جدي وسعدي»[٣] اهـ.

وإني وإن كنت الأخيرَ زمانه لآتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ

---

(١) «الجفر» ص(١٢٨، ١٢٩)، وهذا تسطيح للقضية؛ حيث إن استدلاله بهذه «الحِكَم» والآثار يشمل- ولا شك- أخبار المستقبل الغيبية التي لا تتلقى إلَّا من الوحي المحفوظ، وانظر: ص(١٥٧-١٦٦).

(٢) اقتباس من أثر صحيح موقوف على معاذ -رضي الله عنه-، رواه أبو داود (٤/ ٢٠٢)، والآجري في «الشريعة» (٤٧، ٤٨)، والحاكم (٤/ ٤٦٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٣٢، ٢٣٣)، والفريابي في «صفة النفاق» رقم(٤١).

(٣) «أسرار الهاء في الجفر» ص(١٢٩).

هوس المخطوطات

يتشدق «محمد عيسى داود»، باستناده إلى مخطوطات نادرة[١]، انفرد بالاطلاع عليها دون سائر خلق الله، ولا يمكن لغيره أن يحصل عليها، أو يطالبه بإثبات وجودها في الحقيقة، وهاك بعضَ تصريحاته:

١- وفي بقايا مخطوط نادر يحوزه أحد الأثرياء العرب المقيمون(؟!) دائمًا في ألمانيا -وقد طالعت بعض فقراته- لرسالة قصيرة اسمها «الشرر في خبر شر البشر» لعالم مسلم اسمه (الكامل بن ريح البر) من علماء القرن الخامس الهجري، كان يقطن ببغداد، وله مؤلفات عدة حازها التتار وملوك الغرب..[٢].

ثم لا يفوته أن يؤكد: «أن صاحب هذا المخطوط يرفض حتى مجرد تصويره»[٣].

٢- (هذه الرواية سمعتها من عالم من أرض «اليمن السعيد» اسمه حيدر بن عبد الله بن سلام بن شاري، يمتلك مخطوطات رهيبة، يقول: إنها تعود إلى مئات السنين، بل منها ما يعود في أصوله إلى (٧٠٠) عام قبل ميلاد المسيح عليه السلام، وهو لا يُطلع عليها أحدًا إلَّا خاصة

---

(١) «المفاجأة» ص(٣٠٥، ٦٤٤)، وقد قال القاري في «المشرب الوردي في مذهب المهدي»: «وقد صرح الإمام ابن الهمام بعدم جواز النقل من غير الكتب المتداولة؛ سواء العلوم الأصلية، والفرعية»، نقله عنه في «خواطر دينية» (٢/ ١٩).

(٢) «الخيوط الخفية» ص(٩٨).

(٣) «نفسه» ص(٩٩).

الخاصة، وهو من سكان (ريدة) المليئة بيهود اليمن، وهو لا يزال على قيد الحياة، ويبلغ المائة وعشر سنوات)[(١)].

وبعد ما ذكر أن أسرة الدجال كانت تعبد وثنًا على صورة البقرة، وأن أم الدجال مولدة من زنا المحارم، من زوجها المولد من زنا المحارم، وأنه من مواليد الحيض، وأن الشيطان جامع أمه مع أبيه . . . إلى آخر خيالاته، ثم يتبجح بقوله:

٣- «إن هذا الكلام لا أقوله من عنديات نفسي . . . إنه مذكور -في نقوش ومخطوطات صخرية في بلدة «إربد» بالأردن، ومع الزمن سُرقت النقوش والصخور الأثرية التي عليها هذه المدونات وغيرها، ولا يعلم أحد أين اختفت أو ذُهب بها!! لكن بقيت الرواية في أذهان بعض العلماء الذين تواتروها عن أجدادهم بالشام، وأنها كانت معروفة في أزمنة السابقين- حكايةُ ولدٍ جاء بعد ثلاثين سنة زواجًا بلا إنجاب، وتواتروا أنه كان «معيب العينين» منذ الميلاد . . .

. . . ولأن ولدها - أي: أم المسيح الدجال- لا يرضع منها أصيبت باحتباس اللبن مما سبب لها حالة من التسمم! ماتت على إثرها»[(٢)].

وتحت عنوان: «عندما تكلمت المخطوطات» يقول:

٤- ومن عدة مخطوطات من أثمن وأندر ما يكون على وجه الأرض يمتلكها أحد العلماء بالقدس الشريف يمكن أن نواصل الرحلة عبر الماضي حتى نصل إلى الحاضر.

---

(١) «نفسه» ص(٣٢).

(٢) «الخيوط الخفية» ص(٢٧).

ثم طفق يروي: «كيف كان جبريل يتردد على الطفل (الدجال) وهو في تلك الجزيرة . . . »[١]، ثم قال:

«كل ما كتبته في الفقرة الآنفة بعنوان: «عندما تكلمت المخطوطات» هو من خلاصة عدة مخطوطات أثرية وجدت بسرداب تحت أرض مزارعين فلسطينيين، مدونة باللغة الآرامية القديمة من قبل مبعث موسى عليه السلام، بحوالي أربعة قرون، وهي -والله أعلم- على ما يبدو أنها مما أملاه (إبراهيم) عليه السلام، في وادي القدس. . . ودوَّنَ المخطوطات على ورق كورق البردي رجل ذُكِر أن اسمه «آزاد بن حارم بن صافور» حضر نبي الله إبراهيم عليه السلام، وسأله في فتنة «الرجل الدجال الخطير»[٢].

٥- «وهذه المخطوطات توارثها أحفاد الرجل، وكانوا يعيدون كتابتها بالآرامية حتى زمان المسيح عليه السلام، فأخفاها أحفاد الأحفاد، وسألوا المسيح عليه السلام عما أخبر به إبراهيم عليه السلام، فأكَّد لهم الخبر.

وشاء الله -عز وجل- أن يعثر مزارع فلسطيني على هذه المخطوطات والبرديات، فسلَّمها لعالم فلسطيني جليل بالقدس، أعلمنا بما فيها بعد ما فك طلاسمها وعباراتها؛ لأنه متخصص في النقوش الآرامية القديمة وعدة لغات ميتة، ولا يزال يحتفظ بها في سرداب بمنزله القديم

(١) «نفسه» ص(٣٣).
(٢) «نفسه» ص(٣٨).

بالقدس، وكنيته (أبو باسل عز الدين نور) للتوقي والتخفي، أما اسمه الحقيقي، وكنيته الحقيقية فالله وحده يعلم ذلك»(١).

وفي كتابه «الجفر» يتحدث عن مخطوط عجيب، عبارة عن مجموعة وريقات بدار الوثائق بأنقرة بتركيا كان معنونًا بـ (٣٦٦٤/ تراث المدينة) لعالم مجهول يقال: إنه كان في القرن ٣هـ . . . ويذكر أنه ائتمنه على النقل منه (أحد العلماء الذين عاهدتهم على كتمان اسمه)(٢).

ومن الواضح أنه -بعدم إثبات صورة واحدة (لأي من مخطوطاته الموهومة، وقطعه الإسناد إليها- يريد أن يقول: «لا تسألوا شاهدًا على وجودها غيري»!

وفي كتابه «المهدي المنتظر على الأبواب» أطلق لخياله العنان، وأخذ يختلق قصصًا خرافية مملَّة تتعلق بمخطوطاته الموهومة، ويحكي مغامراته أو مغامرات أبطال القصص أثناء محاولتهم الحصولَ عليها(٣)، ولما شعر أنه أسرف في الكذب والدجل إذا به يردد مقولته التي لا يمل من تكرارها:

«هذه الأحداث نبوءات ليست من تأليفي، إنها واردة في المخطوطات العربية والإسلامية لدى شرق وغرب»(٤).

---

(١) «نفسه» ص(٣٨، ٣٩).

(٢) «أسرار الهاء في الجفر» ص(١١٦).

(٣) انظر نماذج منها في: «المهدي المنتظر على الأبواب» ص(٥٨، ٧٧، ١٥٣، ١٨٣، ٢٠٦).

(٤) «المهدي المنتظر على الأبواب» ص(٧١).

ويتمادى في الحديث عن مخطوطاته النادرة:

فهذا مخطوط «مخبأ بمكتبة بابا الفاتيكان»[١]، وهذا من طبيب تركي (د. ك.ع. ب)[٢]، وذاك (مخطوط بإحدى الجامعات الكندية)[٣].

وهذا مخطوط ينسبه إلى الإمام أحمد: «رسالة آخر الزمان في خبر المهدي والدجال»[٤]، أما مخطوط «الدنيا كلها للمهدي -بمكتبة طهران العامة» فينسبه إلى جعفر الصادق -رحمه الله تعالى-[٥]، وينسب إلى «كاهن أرض الجزيرة» مخطوطًا بمكتبة أغادير العامة بالمغرب[٦].

ويدَّعي «السندباد المصري» أن مستشرقًا فرنسيًّا أطلعه على مخطوط لرجل يُسمَّى «ابن حرشل الرومي» اليهودي، ونقل عنه خماسيتين، ثم سداسية يصفها بأنها «قنبلة ومفاجأة»[٧]، ويدَّعي فيها أن «ابن حرشل» نقل هذا الكلام عن «بارش بن حامس» حاضر موسى، وكليم الرب معه[٨].

ويحاول «السندباد» تعجيز منتقديه، فيتحداهم أن يعرف واحد منهم مجرد أسماء الأعلام الذين لا يعرفهم غيره مثل: «ابن عقدة»،

---

(١) «المفاجأة» ص(٢٠٩).
(٢) «نفسه» ص(٢٤٣).
(٣) «نفسه» ص(٣٧٩).
(٤) «المهدي المنتظر على الأبواب» ص(٧٠).
(٥) «نفسه» ص(٢٧٤).
(٦) «نفسه» ص(٦٢).
(٧) انظر: «الخيوط الخفية» ص(٢١٢-٢١٥).
(٨) «نفسه» ص(٢١٤، ٢١٥).

أو «الجوالبي»، أو «فستقة»، أو «البرهان السقا»، أو «الوولاتي»، أو «ابن أركماش»، أو «ابن كيكلدي»، أو «الرمادي»[(١)].

ولا يدري صاحبنا أن إتيانه بالمزيد من الغرائب سوف يزيد وحشته، ويضاعف غربته بين العلماء.

والجاهلون لأهل العلم أعداء

لأنهم الذين يكشفون أهل البدع، ويفضحون أكاذيبهم، ويفندون دجلهم، ومن هنا تطاول «السندباد» على قمم سامقة، وجبال شامخة لحاجة في نفسه، فتراه يُعرِّض بوصف الشيخين (البخاري ومسلم) بالجبن؛ لأنهما في زعمه «أهملا الرواية عن آل البيت المحمدي الشريف»[(٢)]، يقول -عامله الله بما يستحقه-:

---

(١) «أسرار الهاء في الجفر» ص(١٣٥، ١٣٦)، ويطيب لي أن أسأله: وهل تعرف أنت «أبا لمعة المصري»؟!

(٢) بفرض صحة هذا الزعم؛ فإن عدم الرواية عن شخص لا يستلزم تجريحه أو انتقاصه، وكم من إمام جليل لم يرو له البخاري لا لشيء إلَّا لأنه ما قصد استيعاب الصحيح، ولعل تصنيف المستدركات أدل دليل على هذا، وكيف يزعم هذا الظالم لنفسه أن البخاري ومسلمًا أهملا الرواية عن أهل البيت؟ وكتاباهما حافلان بالرواية عن علي -رضي الله عنه-، وأزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- ورضي الله عنهن، وكذا عن أناس من آل جعفر، وآل علي، وآل العباس، وآل عقيل، فإن أهل بيت النبي -صلى الله عليه وسلم- زوجاته، وقرابته الذين تحرم عليهم الصدقة من المذكورين آنفًا، أما الرافضة فقد حصروا أهل بيت النبوة في علي، وفاطمة، والحسن، والحسين، -رضي الله عنهم-، وأضافوا لهم أئمتهم الثمانية، وأخرجوا منهم كل من سواهم، ثم أخرجوا أولاد عليٍّ غير الحسنين من أهل البيت: كمحمد ابن الحنفية، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، والعباس، وجعفر، =

. . . .

= وعبد الله، وعبيد الله، ويحيى، وكذا أولادهم الذكور الاثني عشر، ومن البنات ثماني عشرة ابنة، كما أخرجوا من آل البيت بنات فاطمة -رضي الله عنها-: زينب، وأم كلثوم، وأولادهما من آل البيت، وأخرجوا أولاد الحسن بن علي منهم، وكذا أخرجوا من أولاد الحسين من لا ينهج منهجهم، وأخرجوا بنات النبي -صلى الله عليه وسلم- الثلاث غير فاطمة، وكذا أزواجهن، وأولادهن، وانظر: «الشيعة وأهل البيت» للشيخ إحسان إلهي ظهير -رحمه الله تعالى- ص(١٣-٢٠).

وما أحسن ما قال الدكتور ناصر بن عبد الله القفاري -حفظه الله- وهو يدحض دعوى الرافضة أن أهل السنة لا يتلقون عن أهل البيت:

[مثلًا: «زيد بن علي بن الحسين» وهو من خيار أهل البيت: نجد في كتب الرجال عند أهل السنة توثيقه والثناء عليه وقبول ما صح عنه، وأخرج له أبو داود والترمذي وابن ماجه(*).

أما في كتب الشيعة ففي «الاستبصار» للطوسي (والطوسي شيخ الشيعة على الإطلاق، وصاحب كتابين من أُصولهم الأربعة، وكتابين من كتب «الرجال» الأربعة عندهم) في كتاب «الاستبصار» يصرح الطوسي برد مرويات زيد بن علي -مرارًا-.

فمن يتلقى عن آل البيت حقيقة؟ هل هو مَن إذا روى عن بعض أهل البيت أحاديث لا توافق مذهبه ردَّها بدعوى التقية، في حين يقبل روايات الكليني والقمي وغيرهما في الطعن في كتاب الله وصحابة رسوله وأهل بيته؛ لأنها تتفق مع تعصبه وشذوذه؟!

ومن هم **أهل البيت عند الشيعة**؟ إن لكل طائفة من طوائف الشيعة تفسيرًا خاصًّا لأهل البيت يختلف من طائفة لأُخرى حول عدد أهل البيت وأعيانهم.

والرافضة تخالف أهل البيت في عامة أُصولهم، فليس في أَئمة أهل البيت مثل علي بن الحسين وأبي جعفر الباقر وابنه جعفر بن محمد الصادق مَن يقول بالنص على علي، أو بعصمة الأئمة الاثني عشر، أو يسب أبا بكر وعمر، أو ينكر الرؤية، أو يقول بخلق القرآن، أو ينكر القدر، والمنقولات الثابتة المتواترة عن هؤلاء معروفة موجودة، وكانت مما يعتمد عليه أهل السنة(**). =

(*) انظر مثلًا: «تقريب التهذيب» (١/ ٢٧٦)، و: «الخلاصة» للخزرجي، ص(١٢٩)، و«الكاشف» (١/ ٣٤١).
(**) «منهاج السنة» (٢/ ٢٢٨).

. . . .

= فهم مخالفون لأئمة أهل بيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في أصول دينهم، كما هم مخالفون لأصحابه، بل ولكتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-(*).

حقيقة أن أهل السنة لا يقبلون روايات الروافض المشهورين بالكذب عن أهل البيت(**).

وهذا -كما هو حفظ للسنة وتوثيق لها- هو صون لأهل البيت مما ألصقه بهم أعداء الإسلام.

وهذا «الرافضي» يريد بدعوة أهل السنة إلى الرجوع للأخذ من أهل البيت؛ لأنه لا يقنعه منهج أهل السنة في تلقي ما صح عن أئمة العلم والدين من أهل البيت -إنه يريد منهم أن يتعبدوا بحكايات الرقاع التي يزعمون أنها صدرت عن إمامهم المنتظر، والذي لم يولد أصلًا، يريد منهم أن يستقوا دينهم من «الكافي» للكليني وهو يطعن في كتاب الله ويحرف آياته، ويكفر صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ أي: يريد أن يتلقوا دينهم عمن يسعى في هدمه وتغييره.

وهو يريد منهم أن يرجعوا لما يجمعه الروافض من «نصوص» ينسبونها كذبًا لأهل البيت في الإمامة والعصمة والتقية والرجعة والغيبة والبداء، وإلا فإن أهل السنة عندهم يتحملون كبر الفرقة والتباعد.

ولهذا رأينا بعض «آياتهم» وشيوخهم يجعلون من شرط التقارب أن يوافق أهل السنة على سب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم(***)، أي: يوافق أهل السنة على القدح في صحابته، وبالتالي يرجعون لمدونات الروافض.

وقد لاحظنا أن معظم أئمة أهل البيت من غير الاثني عشر يتعرضون في كتب الشيعة للسب والطعن والتكفير، كما مر الإشارة لذلك.

فمَن الذي يتولى أهل البيت؟ ومَن الذي لا يتولاهم؟ ومَن الذي يقبل مروياتهم؟ ومن الذي يُعرض عنها؟ ومن الذي يطعن فيهم بقبول مرويات الكذبة عليهم؟ ومن الذي=

(*) «منهاج السنة» (٢/ ١٨٠) تحقيق: د. محمد رشاد سالم

(**) راجع الصفحات (١٦٧-١٧٦).

(***) مثل: آيتهم محمد الخالصي، ومثل شيخهم مرتضي الرضوي.

«ولا أعذر البخاري ومسلمًا إلَّا ليقيني بأن الظروف السياسية القائمة آنئذٍ كان يمكن أن تطيح برأسيهما، فلا يصل شيء منهما أصلًا، وهو العذر الوحيد المقبول؛ لأنه يجوز أن يكون المؤمن جبانًا(١)، ولكن لا

= يصونهم ويرد هاتيك المرويات؟ ومن الذي لا يعتبر من أهل البيت غير الاثني عشر ويطعن في غالب أهل البيت من غيرهم؟!

ولا شك أن من تأمل ما نقلناه من نصوص الروافض يدرك أنهم أعداء لأهل البيت والصحابة، وإنما اتخذوا شعار التشيع لأهل البيت لترويج باطلهم] اهـ(*).

(١) هذه «**شِنْشنة نعرفها من أخزم**» فإن رمي المحدثين بالجبن والخوف، ومداهنة الحكام ما هو إلَّا رَجْع صدى كلام المستشرقين، وبخاصة صنمهم اليهودي المتعصب الحاقد «جولد تسيهر» وأذنابهم من بني جلدتنا الذين يتكلمون بألسنتنا، ويقصدون بذلك التشكيك في حَمَلَةِ السنة للتوصل بذلك إلى هدم الشريعة الشريفة.

إن الأمر لا يرجع إلى خوف أو شجاعة، وإنما إلى شروط التزمها المحدثون ولم يحيدوا عنها، فمنهم متشدد في شروطه كالشيخين، ومنهم دون ذلك، فمِن ثَمَّ رأينا الإمام أحمد قد خرَّج في فضائل بني أمية أكثر مما خرَّج الشيخان في «صحيحيهما».

وقد أخرج الشيخان في فضائل علي -رضي الله عنه- وآل بيته أحاديث عدة أكثر مما أخرجاه في فضائل العباس وابنه عبد الله -رضي الله عنهما-، وخلفاء بني العباس كانوا يعتبرون العلويين مناوئين لهم، فلو كان مبنى الأمر على الخوف والمداهنة للعباسيين لما ذكرا في صحيحيهما شيئًا من ذلك.

وفي كتب أهل السنة مرويات عن أمير المؤمنين عليٍّ -رضي الله عنه- أكثر مما يروى عن أبي بكر وعثمان وبقية العشرة عدا عمر؛ فإن مروياته قريبة من مرويات علي -رضي الله عنهم-، وعن سائر الصحابة أجمعين، ثم إن الخلفاء والأمراء عامتهم كانوا على دين، وخلق، وتعظيم للشرع الشريف، ولا يُظَن بهم أنهم كانوا يرضون الكذب على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأجل مداهنتهم، والحوادث في هذا كثيرة شهيرة، ولو قُدِّر أن أحدهم تورط في ذلك -معاذ الله- لتصدى له المسلمون علماؤهم وعامتهم، ووقفوا له بالمرصاد، وقد حفل التاريخ بكثير من المواقف المشرقة ذبًّا عن السنة، وإنكارًا على من حاد عنها من الأمراء والحكام.

(*) «مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة» (٢/١٣٨-١٤١).

يجوز أن يكون كذابًا)[١] اهـ.

ويتمادى في عدوانه حتى ينالَ شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-، فيقول: «ابن تيمية الذي يحبه هؤلاء القوم الذين ألسنتهم أطول من أجسادهم، ومعلوم أن ابن تيمية أحد عشاق يزيد بن معاوية، وأحد مبغضي سيدنا الحسين[٢]، يقول في تفسير سورة النور: «إنه وقف على ما شاء الله من الكتب الكبار والصغار، أكثر من مائة تفسير»[٣]، وأنا

(١) «أسرار الهاء في الجفر» ص(١٣٣).

(٢) وهذا كذب صراح، فإنه سئل رحمه الله: «ما تقولون في يزيد؟» فقال رحمه الله: «لا نَسُبُّه، ولا نُحِبُّه، فإنه لم يكن رجلًا صالحًا فنحبه، ونحن لا نسب أحدًا من المسلمين بعينه»، فقيل له: «أفلا تلعنونه؟ أما كان ظالمًا؟ أما قتل الحسين؟!» فقال شيخ الإسلام: «نحن إذا ذُكر الظالمون كالحجاج بن يوسف وأمثاله؛ نقول كما قال الله في القرآن: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١ٸ]، ولا نحب أن نلعن أحدًا بعينه؛ وقد لعنه قوم من العلماء؛ وهذا مذهب يسوغ فيه الاجتهاد، لكن ذلك القول أحبُّ إلينا وأحسن.
وأما من قتل «الحسين» أو أعان على قتله، أو رضي بذلك: فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين؛ لا يقبل الله منه صرفًا ولا عَدْلًا» اهـ. من «مجموع الفتاوى» (٤/ ٤٨٧، ٤٨٨)، وانظره: (٤/ ٥١١، ٥١٢)، و«منهاج السنة النبوية» (١/ ٣٢١-٣٣٠).

(٣) ومن المعلوم أن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- كان له اختصاص وتعلق بعلم التفسير، حتى قال وهو يحكي عن شغفه، واهتمامه بهذا الفن الشريف: «ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مائة تفسير، ثم أسأل الله الفهم، وأقول: (يا معلم آدم وإبراهيم علمني)، وكنت أذهب إلى المساجد المهجورة ونحوها، وأمرغ وجهي في التراب، وأقول: (يا معلم إبراهيم! فهِّمني)» اهـ. من «العقود الدرية» ص(٦٢).
وقال الحافظ الذهبي، وهو يترجم لشيخ الإسلام:
«وأما التفسير فمُسَلَّمٌ إليه . . . ولفرط إمامته في التفسير، وعظمة اطلاعه، يبين خطأ كثير من أقوال المفسرين، ويُوهي أقوالًا عديدة» اهـ، وقال فيه الإمام ابن سيد الناس اليعمري: «إن تكلم في التفسير؛ فهو حامل رايته» اهـ. =

أرجو أن يُحْصُوا لي أسماء ٧٠ تفسيرًا، لا ١٠٠ كما قال ابن تيمية، فإما الرجل كذاب[١]، وإما هناك ١٠٠ تفسير، ولكن لم يصلنا الكثير»[٢] اهـ.

= ومِن ثَم لُقِّبَ بـ«ترجمان القرآن» ونودي إثر وفاته من منابر جامع دمشق: «الصلاة على ترجمان القرآن»، وذكر الحافظ ابن رجب أنه صُلِّي عليه صلاة الغائب في غالب بلاد الإسلام القريبة والبعيدة، حتى في اليمن والصين، وأخبر المسافرون أنه نودي بأقصى الصين عليه يوم جمعة: «الصلاة على ترجمان القرآن» اهـ، انظر: «بحوث الندوة العالمية عنْ شيخ الإسلام ابن تيمية وأعماله الخالدة» ص(٢٣٥-٢٦٠).

(١) ولا أجد تعليقًا على هذا الباغي على أئمة الإسلام ورموزه سوى أن أتمثل قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في ابن صياد: «اخسأ! فلن تعدو قدرك»، ولعله لو نهل من علم ابن تيمية لعرف قدره، وحفظ حرمته، وأشفق على نفسه أن يناله قولُ الله تعالى في الحديث القدسي: «من عادى لي وليًّا، فقد آذنتُه بالحرب» الحديث، وما أصدق قول أمير البررة، وقتيل الفجرة، ذي النورين عثمان بن عفان -رضي الله عنه-: «واحفظ لكلٍّ منزلتَه، وأعطهم جميعًا بقسطهم من الحق، فإن **المعرفة بالناس بها يُصاب العدل**»، وقول الإمام الذهبي -رحمه الله تعالى-: «الكلام في الرجال لا يجوز إلا لتامِّ المعرفة، تامِّ الورع» اهـ. من «ميزان الاعتدال» أن (٣/ ٤٦)، ومثله قول الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى-: «ولذلك يحتاج المسلم أن يكون عارفًا بمقادير الناس وبأحوالهم ومنازلهم، فلا يرفع الوضيع، ولا يضع الرفيع»، نقله عنه السخاوي في «ذيل التبر المسبوك» ص (٤)، وانظر: كتابي «حرمة أهل العلم» ص(٣٥٣) وما بعدها.

(٢) «أسرار الهاء في الجفر» ص(١٢٧).

عَوْدٌ إلى خرافة المخطوطات

لقد ادَّعى «السندباد المصري» اطلاعه على إحدى المخطوطات الإسلامية[١] الموجودة في دار الكتابخانة بتركيا تحت مسمى أو تصنيف (٣٦٦٤/ تراث المدينة المنورة)[٢]، لعالم مدني كان يعيش بالمدينة المنورة في القرن الثالث الهجري، وهو «كلدة بن زيد بن بركة المدني»[٣]، بعنوان «أسمى المسالك لأيام المهدي الملك لكل الدنيا بأمر الله المالك»[٤]، ومما جاء في هذا المخطوط المزعوم:

«وحرب في بلد أصغر من عَجْب الذَّنب، يجمع أهل الدنيا لها، كأنها أغنى بلد أولم عليها الوالمون[٥]، وأميرٌ فيها سلَّم رايته لزعيمة الشر

(١) ولم يُثبت أي إسناد للمخطوطة المزعومة، ومخطوط بلا سند رجل بلا نسب، كما أنه لم يثبت صورة واحدة لأي جزء من أجزاء تلك المخطوطة كما هو ديدن المحققين الذين يحترمون علمهم وقُرَّاءهم.

(٢) هذا التهويش لا يغني عنه شيئًا؛ لأن المكان الذي ادعى وجود المخطوطة فيه مُمَوَّه، ولفظة (الكتابخانة) تعني دار الكتب، ودور الكتب في تركيا مختلفة من حيث الاسم والمكان، ويبلغ عدد مكتبات المخطوطات في تركيا اثنتين وخمسين ومائة مكتبة، فأيها حظي باحتضان تلك المخطوطة؟ وانظر: (تاريخ التراث العربي) لفؤاد سزكين (١/ ٣٥-٥٦)، (١/ ١٠٠، ١٠١).

(٣) فهلا أقمت بينة على أن هذا الشخص قد خُلِقَ أصلًا؟ فإن عرفنا من هو؛ فكيف هو؟ ومن ترجم له؟

(٤) وإن ركاكة هذا العنوان، وما به من سجع متكلف بارد يُبعد انتسابه إلى القرن الثالث؛ حيث لم يكن قد شاع هذا الأسلوب في تسمية الكتب.

(٥) وهذا لحنٌ بغيض حيث إن اسم الفاعل من «أولم»: «مولم» وليس والمًا، مما يشير إلى أن مؤلف هذه المخطوطة من القرن «الخامس عشر» وليس القرن الثالث!!=

الآتية من الشواطئ البعيدة الغربية بداية آخر الزمن، فتجمع له صريخها من كل الدنيا، وترد له عرش الملك، ويخرب عراق في ملاحم بداية آخر الزمن، ويحارب أمير الذنب الصغير جيوش المهدي»(١).

وفي نفس المرجع السابق في مخطوط آخر من القرن الثالث الهجري لتابعي شامي(٢)، وجاء في ذلك المخطوط «النادر»:

«وفي عراق الشأم رجل متجبر... و... سفياني، في إحدى عينيه كسلٌ قليل، واسمه من الصدام، وهو صدام لمن يعارضه، الدنيا جمعت له في (كوت) صغير، دخلها وهو مدهون، ولا خير في السفياني إلَّا بالإسلام، وهو خير وشر، والويل لخائن المهدي الأمين»(٣).

ومما جاء في «المخطوط» المزعوم:

«حربُ آخر الزمن حرب كونية، المرة الثالثة بعد اثنين(٤) كبريين، يموت فيهما خلائق كثيرة، الأولى: أشعلها رجل كنيته السيد الكبير، وتنادي

= ويتأكد هذا إذا لاحظنا ركاكة الألفاظ، وتفكك السياق، وسماجة الكلام، وكونه مما يُسخر منه، ويمجه السمع، ويسمُج معناه للفطِن.

(١) «المهدي المنتظر على الأبواب» ص(١٣٢) ويلاحظ أنه لم يوضح مَن قائل هذه النبوءات، ولو افترضنا أنه أسندها إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ فلن يغني عنه السند شيئًا؛ لأن هذه الأخبار استوفت علامات وضع الحديث بالنظر إلى متنه، فانظرها مفصَّلة في «المنار المنيف» للإمام المحقق ابن قيم الجوزية -رحمه الله تعالى-.

(٢) كيف يكون (تابعيًّا) ومن (القرن الثالث)؟!

(٣) «نفسه»، ص(٢١٦).

(٤) والصحيح: اثنتين!

الدنيا باسم (هِتْلَرْ) . . . ، وهذا مما رواه أبو هريرة، وابن عباس، وعلي بن أبي طالب -رضي الله عنهم- وفي رواية: خاف أن يحدث بها أبو هريرة، ولما أحس بالموت خاف أن يكتم علمًا، فقال لمن حوله: في نبأ علمته عما هو كائن في حروب آخر الزمن، فقالوا: أخبرنا ولا بأس -جزاك الله خيرًا- فقال: في عقود الهجرة بعد الألف وثلاثمائة -واعقدوا عقودًا- يرى ملك الروم أن حرب الدنيا كلها يجب أن تكون، فأراد الله له حربًا، ولم يذهب طويل زمن، عقد وعقد، فسلط رجل من بلاد اسمها (جِرْمِن)، له اسم الهِرِّ، أراد أن يملك الدنيا، ويحارب الكل في بلاد ثلج وخير، فأمسى في غضب الله بعد سنوات نار، أرداه قتيلًا سِرُّ الروش أو الروس[1] .

وفي عقود الهجرة بعد الألف وثلاثمائة عُدَّ خمسًا أو ستًّا، يحكم مصر رجلٌ يُكْنى «ناصر»، يدعوه العرب «شجاع العرب»، وأذلَّه الله في حرب وحرب، وما كان منصورًا، ويريد الله لمصر نصرًا له حقًّا في أحب شهوره، وهو له، فأرضى مصرَ ربُّ البيت والعرب بأسمر سادا، أبوه أنور[2] منه، لكنه صالح لصوص المسجد الأقصى بالبلد الحزين، وفي عراق الشأم رجل متجبر . . . و . . . سفياني . . .) إلى أن يقول:

«وفي عقود الهجرة الألف وأربعمائة، واعقد اثنين أو ثلاثًا . . . يخرج المهدي الأمين، ويحارب كل الكون، يجمعون له الضالون والمغضوب عليهم، والذين مردوا على النفاق في بلاد الإسراء والمعراج، عند جبل

(١) ولمزيد من التحقيق، والتوثيق، و«الإيهام، والدجل» قال في هذا الموضع: «الشك من الراوي، ومكان النقط مطموس متآكل في المخطوطة!!».

(٢) أحسب أن اسم «محمد أنور» مركب؛ فليس «أنور» اسم أبيه.

مَجِدُّون، وتخرج له ملكة الدنيا والمكر، زانيةٌ اسمها «أمريكا»، تُراود العالم يومئذ في الضلال والكفر، ويهود الدنيا يومئذ في أعلى عليين، يملكون كل القدس والمدينة المقدسة»... إلخ[١].

وقال أيضًا: وقد وقعت على نص توراتي في سفر أشعياء الحقيقي، به تفاصيل أكثر، أورده بلا تعليق، ففي نسخة الفاتيكان يقول النص:

«وجاءوا إلى سيناي، وحاربوا الملك المصري الذي كان خاسرًا في مواجهتهم، وكل الخيانة كان خدعة نصر لإسرائيل... وجاء ملك أسمر اللون، رأسه حاسر من الشعر، له أسود ونسور[٢]، فانتصر على إسرائيل، وكلمهم أن يكونوا أصدقاء، وسلام عَمَّ كل المصريين، ولكن ملكهم أسمر اللون أضحى شهيدًا... » إلى أن قال: «وحراسه كانوا الذين اغتالوه، وكانوا شرارًا وتجارًا»[٣].

هذا الشبل من ذاك الأسد

وقد اغتر به «حاطب ليل»، فاتخذ الغراب دليلًا، ومارس -مثله- هواية التهويش بأن لديه مراجع «بالجملة»، ودون إحراج بطلب ذكر التفاصيل، فقال في مقدمة كتابه: «كما ينبغي التنبيه على أنَّ ثمة مخطوطات نادرة لم تُطبع، تحوي أضعاف الأحاديث المعروفة، سواء

---

(١) «المهدي المنتظر على الأبواب»، ص(٢١٦).

(٢) وهو هنا (يغازل) الضربة الجوية الأولى في حرب العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ (٦ أكتوبر ١٩٧٣م)!

(٣) «نفسه» ص(١٢٢).

في الكتب المشهورة والغير مشهورة، محفوظة في المكتبات العالمية، كمخطوطات، منها ما هو موجود في المكتبة العراقية الكبرى ببغداد، ومنها في دار الكتبخانة بإسطنبول بتركيا، وكذلك مكتبة التراث في «طنجة»، ومنها في مكتبة دار الكتب القديمة بالرباط، ومنها بمكتبة بحرة الشام؛ وهي دمشق في الجامع الأموي، هذا غير كثير من المخطوطات الإسلامية النادرة الموجودة في الفاتيكان، مكتبة البابا»[(١)] .

لقد سرت عدوى «هوس المخطوطات» إلى صاحبنا، فراح يهذي بنفس ضلالات «السندباد المصري»، ويردد صدى صوته:

أثَّر البهتان فيه وانطلى الزورُ عَلَيْهْ
يا له من ببغاءٍ عقلُه في أذنيه

تلمح ذلك واضحًا في قوله يحاكي مُقلَّدَه في الهروب من «المحاكمة» العلمية: «كما أن كثيرًا من أحداث الفتن وملاحم آخر الزمان وردت في أحاديث وآثار غير مشهورة، مثبتة في مخطوطات

---

(١) «هرمجدون، آخر بيان يا أمة الإسلام» ص(١١) ونقول تعليقًا على هذا «التهويش»: ما زِدتَ على أن قلت: «في المكتبات مخطوطات» فكان ماذا؟! وأين صور هذه المخطوطات، وأرقامها، وتوثيقها؟ خاصة، وأنها تتحدث عن أمور غيبية خطيرة؟ وننصح القارئ المكرم أن يطالع شيئًا من المصنفات التي توضح الضوابط العلمية في التعامل مع المخطوطات، منها:
«تحقيق النصوص ونشرها»، للعلامة عبد السلام هارون.
«تحقيق التراث العربي: منهجه وتطوره» للدكتور عبد المجيد دياب.
«مبادئ لفهم التراث» للشيخ محمد بن إبراهيم الشيباني.
«مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين» للدكتور رمضان عبد التواب.

وكتب ليست سهلة المنال، فكذلك حال الآثار التي بها توجيهات نبوية، ونصائح غالية تستبين بها سبيل النجاة، ولذلك خَفيت على أكثر الناس قديمًا وحديثًا، إلَّا من اختصه الله تعالى بعلمها، حتى يبثها وينشرها إذا جاء وقتها وحان أوانها»[(١)].

ثم ذكر أنه بعد أن يستدل بالأحاديث والآثار المشهورة يُثَنِّي «بتلك الآثار الخفية غير المشهورة، مع عدم التشديد في اعتبارات مدى صحة أو ضعف الأثر من ناحية السند؛ إذ إنها نصائح وإرشادات[(٢)] من باب فضائل الأعمال التي يتساهل العلماء في قبول أحاديثها وآثارها، وإن كانت ضعيفة السند، مع الأخذ في الاعتبار أن ضعف سندها ليس شديدًا ولا موضوعًا، ثم إنها قد جاءت من أكثر من طريق[(٣)]؛ مما يجعلني مطمئنًا، لإيرادها وذكرها»[(٤)] اهـ.

أقول: صدق الإمام أبو حنيفة -رحمه الله تعالى- إذ قال: «من طلب غريب الحديث كَذَبَ».

---

(١) «هرمجدون» ص(١١٠).

(٢) وهل التزمتَ التوثيق، والتحقيق يا عبد الله فيما ليس من فضائل الأعمال؛ كالإخبار عن الغيوب المستقبلة؟ أم تردد مقولة مقلِّدك: «أقول للمرة الألف: حديث الفتن ليس من العقيدة، وليس من التشريع». اهـ، «من أسرار الهاء في الجفر» ص(١١٨).

(٣) اعلم -رحمك الله- أن كثرة الطرق لا تقوي الحديث الضعيف بإطلاق، فليس كل ضعيف ينجبر بكثرة طرقه، وليس كل شاهد ومتابع يصلح لتقويته، بل ربما زادت كثرةُ الطرق الضعيف ضعفًا، حين يتداوله ويحتكر روايته الوضاعون الكذابون، والضعفاء المتروكون، فأين كان الجهابذة المتقنون؟!

(٤) وهذا الكلام ظلمات بعضها فوق بعض، إذ يتعامل مع هذه الأخبار بالجملة، ويعمم الأحكام بصورة جائرة، عسى أن ينجو من المحاكمة العلمية.

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي -رحمه الله تعالى-: «وينبغي للمنتخب أن يقصد تخير الأسانيد العالية، والطرق الواضحة، والأحاديث الصحيحة، والروايات المستقيمة، ولا يُذْهِب وقته في التُّرَّهات، من تتبع الأباطيل والموضوعات، وتَطلُّبِ الغرائب والمنكرات»(١) اهـ.

وقال أيضًا -رحمه الله تعالى-: «أكثر طالبي الحديث في هذا الزمان يغلب على إرادتهم كتبُ الغريب دون المشهور، وسماع المنكر دون المعروف، والاشتغال بما وقع فيه السهو والخطأ من روايات المجروحين والضعفاء، حتى لقد صار الصحيح عند أكثرهم مجتنبًا، والثابت مصروفًا عنه مُطَّرَحًا، وذلك كله لعدم معرفتهم بأحوال الرواة ومحلهم، ونقصان علمهم بالتمييز، وزهدهم في تعلمه، وهذا خلاف ما كان عليه الأئمة من المحدثين، والأعلام من أسلافنا الماضين»(٢) اهـ.

مِنْ فَمِكَ أُدِينُكَ

ومن مغالطات هذا المقلِّد قوله معلقًا على الأثر الذي ادعى أن أبا هريرة كان يكتمه ثم بثه: «وقد قلت في «قبل البيان» إنني سأورد بعض الآثار العجيبة معزوة إلى مصادرها، منسوبة إلى قائليها(٣)،

---

(١) «الجامع» (٢/ ١٥٩).
(٢) «الكفاية» ص(١٤١).
(٣) إنما يستقيم لك ذلك إذا كان مصنفوها قد اشترطوا الصحة فيما يروون من الأحاديث، أما الكتب التي اقتصر مؤلفوها على الجمع والتقميش فإنه يتعين على من ينقل عنها أن يثبت صحة الأحاديث إن كان يحتج بها.

جاعلًا عهدتها على قائليها[١]، ولولا أنني أقبلها ما أوردتها»[٢]، ثم

(١) إنما يصح هذا إذا أوردتها مقرونة بأسانيدها، أما إذا حذفت الإسناد أو اختصرته، فالعهدة عليك.

(٢) وهذا ما يجعل عهدة هذه الأخبار عليك لا على من رَوَوْها مقرونة بأسانيدها، وانظر ص(١٦٣) وما بعدها.

فائدة: «من أسند؛ فقد أحالَكَ»:

إن اشتغال الكثير من العلماء في عصر التدوين بجمع الأحاديث مسندة دون تفتيش في أسانيدها لا يصح فهمه على أنهم يحتجون بالأحاديث الضعيفة، وإنما كان جلُّ اهتمامهم بالجمع والتدوين مبادرة للعوارض التي قد تعرض للمحدِّث نفسه، واغتنامًا لفرصة لقيا الراوي الذي قد يعرض له سفر أو تغير أو موت، وهذا سر قولهم: «سيندم المنتخب»، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة التحقيق والتمحيص إعمالًا لقاعدة «قَمِّشْ ثم فتش»، وللعلامة المحدث ناصر الدين الألباني -قدس الله روحه، ونور ضريحه- كلامٌ نفيس ذكره رحمه الله، في مقدمة تحقيقه لكتاب «اقتضاء العلم العمل».

قال رحمه الله: «قد يقول قائل: إذا كان المؤلف بتلك المنزلة العالية في المعرفة بصحيح الحديث، ومطروحه؛ فما بالنا نرى كتابه هذا وغيره من كتبه قد شحنها بالأحاديث الواهية؟

والجواب: أن القاعدة عند علماء الحديث أن المحدث إذا ساق الحديث بسنده؛ فقد برئت عهدته منه، ولا مسئولية عليه في روايته ما دام أنه قد قرن معه الوسيلة التي تمكن العالم من معرفة ما إذا كان الحديث صحيحًا أو غير صحيح، ألا وهي الإسناد.

نعم، كان الأولى بهم أن يُتبعوا كلَّ حديث ببيان درجته من الصحة أو الضعف، ولكن الواقع يشهد أن ذلك غير ممكن بالنسبة لكل واحد منهم، وفي جميع أحاديثه على كثرتها؛ لأسباب كثيرة لا مجال لذكرها الآن، ولكن أذكر منها أهمها، وهي أن كثيرًا من الأحاديث لا تظهر صحتها أو ضعفها إلَّا بجمع الطرق والأسانيد، فإن ذلك مما يساعد على معرفة علل الحديث، وما يصح من أحاديث لغيره، ولو أن المحدثين كلهم انصرفوا إلى التحقيق وتمييز الصحيح من الضعيف لما استطاعوا -والله أعلم- أن يحفظوا لنا هذه الثروة الضخمة من الأحاديث والأسانيد، =

أضاف -إمعانًا في المغالطة-: أن أبا هريرة -رضي الله عنه- كان من أحفظ الصحابة لحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ... إلخ[١]، وتجاهل أن عليه أن يثبت ابتداءً صحة السند إلى أبي هريرة -رضي الله عنه-؛ لأننا لن نؤتى من صحابي قطُّ، فالصحابة -رضي الله عنهم-، كلهم عدول، وراوية الإسلام أبو هريرة -رضي الله عنه- من أحفظهم وأضبطهم.

= ولذلك انصبت همم جمهورهم على مجرد الرواية إلَّا فيما شاء الله، وانصرف سائرهم إلى النقد والتحقيق مع الحفظ والرواية، وقليل ما هم، ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾» انتهى ص(٤).

ومثل الأئمة المحدثين في إيرادهم الأخبار الضعيفة كمثل رجال القضاء إذا أرادوا أن يبحثوا في قضية، فإنهم يجمعون كل ما تصل إليه أيديهم من الأدلة والشواهد المتصلة بها مع علمهم بضعف بعضها اعتمادًا منهم على أن كل شيء سيقدر بقدره، انظر: «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة» د. محمد أمحزون (١/ ٢٦٠-٢٦٣).

(١) «هرمجدون» ص(٤٠).

الفصل الثالث

اسْتِدْلَالُ العابثين بِمَا لَا يَصْلُحُ دَلِيلًا

المطلب الأول

الاسْتِدْلَالُ بِالأَحادِيثِ الضَّعيفَةِ وَالموضُوعَةِ

وهذه الآفة «قاسمٌ مشترك» بين الخائضين بالظن في أشراط الساعة، فهم يوردون الأحاديث الضعيفة والباطلة، ثم يؤسسون عليها توقعاتٍ وأحكامًا، متناسين أن التفسير فرع التصحيح، ولو أعملنا قول بعض السلف: «**أثبت العرش ثم انقش**»؛ لطرح ذلك عن كاهلنا عبئًا ثقيلًا من هذه المرويات الباطلة، ولأرحنا واسترحنا من عناء الجواب عما يطرأ بسببها من إشكالات وتوقعات(١).

(١) وقد لمسنا أثر الأحاديث الضعيفة في رمضان (١٤٢٢هـ) حين كان بعض الشباب يجزم بأن «الفزعة سوف تحصل منتصف الشهر الكريم»؛ بناءً على الأحداث السياسية، والعسكرية الصاخبة في أفغانستان في ذلك الوقت، مع ضعف الحديث الذي اتَّكَئُوا عليه، وانظر: «المفاجأة»، ص(١٨٥).

الحافظ نُعيم بن حماد، وكتابه «الفتن»

يعد كتاب «الفتن» للحافظ نُعيم بن حماد المروزي -رحمه الله تعالى- المرجع الأساس الذي ينهل منه العابثون بأشراط الساعة، ولنضرب لذلك مثلًا صاحبَ «هرمجدون» الذي وصفه بأنه كتاب «بديع»[(١)]، وتارة: «السِّفْر الجليل»[(٢)] ولا يفتأ يكرر وصف مؤلفه نُعيم بن حماد بأنه: «شيخ البخاري»[(٣)]، وقال في موضع آخر: «جمع فيه كوكبة هائلة من أحاديث الفتن وملاحم آخر الزمان، يعزُّ وجودها في مكان آخر»[(٤)]، فماذا عن الكتاب ومؤلفه؟

أما الكتاب: فقال فيه مسلمة بن قاسم: «له أحاديث منكرة في الملاحم، انفرد بها»[(٥)].

وقال الإمام الذهبي -رحمه الله تعالى-: «وقد صنف كتاب (الفتن) فأتى فيه بعجائب ومناكير»[(٦)].

وقال الدكتور عبد العليم عبد العظيم البستوي حفظه الله: «إن في صحة نسبة الكتاب إليه نظرًا، ولا نستطيع أن نحمله كل المسئولية»، إلى

---

(١) «هرمجدون آخر بيان» ص (٨٠).
(٢) «نفسه» ص(٨٦).
(٣) «نفسه» ص(١٠، ٨٠).
(٤) «نفسه» ص(١٠).
(٥) «تهذيب التهذيب» (١٠/ ٤٦٢).
(٦) «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٦٠٩).

أن قال: «وهكذا فجميع الروايات التي تفرد بها هذا الكتاب لم أحتج بها، وإنما هي تصلح للاعتبار»[١].

وأما المؤلف: فهو الحافظ أبو عبد الله نُعيم بن حماد المروزي (ت٢٢٨) -رحمه الله تعالى-[٢].

قال الحافظ في «هدي الساري»: «لقيه البخاري، ولكنه لم يخرج عنه في الصحيح سوى موضع أو موضعين، وعلَّق له أشياء أُخر، وروى له مسلم في المقدمة موضعًا واحدًا».

وقال في «التهذيب»: «روى عنه البخاري مقرونًا»[٣]، وقال أيضًا: «وأما نعيم فقد ثبتت عدالته وصدقه، ولكن في حديثه أوهام معروفة».

وقال في «التقريب»: «صدوق يخطئ كثيرًا».

---

(١) «المهدي المنتظر» ص(١٢١-١٢٢).

(٢) انظر ترجمته في:
«طبقات ابن سعد» (٧/ ٥١٩)، «التاريخ الكبير» (٨/ ١٠٠)، «الجرح والتعديل» (٨/ ٤٦٢)، «تاريخ بغداد» (١٣/ ٣٠٦، ٣١٤)، «تذهيب التهذيب» (٤/ ١٠١/ ٢)، «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٤١٨)، «ميزان الاعتدال» (٤/ ٢٦٧-٢٧٠)، «تهذيب التهذيب» (١٠/ ٤٥٨)، «مقدمة فتح الباري» (٤٤٧)، «طبقات الحفاظ» (١٨٠، ١٨١)، «شذرات الذهب» (٢/ ٦٧)، «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٥٩٥).

(٣) اعلم أن الرواة عند البخاري نوعان:
الأول: من روى له البخاري احتجاجًا.
والثاني: من لم يحتج به البخاري، وإنما روى له استشهادًا.
ونعيم من النوع الثاني، ولذلك قال الحافظ -رحمه الله تعالى-: «روى عنه البخاري مقرونًا» اهـ.

وقال الذهبي: «نعيم من كبار أوعية العلم، لكنه لا تركن النفس إلى رواياته»، وقال في «تذكرة الحفاظ»: «وهو مع إمامته منكر الحديث»، وقال أيضًا: «كان من أوعية العلم ولا يحتج به».

وقال في «سير أعلام النبلاء»: «لا يجوز لأحدٍ أن يحتج به» وتتبع كثيرًا من أوهامه.

وقال في «ميزان الاعتدال»: «أحد الأئمة الأعلام، على لين في حديثه».

وقال في «تلخيص المستدرك»: «وفي قوة روايته نزاع»، وقال: «ونعيم منكر الحديث إلى الغاية».

وقال يوسف بن عبد الله الخوارزمي: «سألت أحمد بن حنبل عن نعيم بن حماد، فقال: «لقد كان من الثقات».

وقال أحمد العجلي: «نعيم بن حماد ثقة مروزي».

وقال أبو حاتم: «محله الصدق».

وعن أحمد بن ثابت أبي يحيى قال: «سمعت أحمد بن حنبل ويحيى بن معين يقولان: «نعيم بن حماد معروف بالطلب»، ثم ذمه يحيى، وقال: «يروي عن غير الثقات».

وقال أبو علي صالح بن محمد الأسدي: «وكان نعيم يحدث من حفظه، وعنده مناكير كثيرة، لا يتابع عليها».

وقال أبو زرعة الدمشقي: «يصل أحاديث يوقفها الناس»، يعني أنه يرفع الموقوفات.

وساق له الخطيب في «تاريخه» حديثًا في ذم أهل الرأي، ثم قال: «وبهذا الحديث سقط نعيم بن حماد عند كثير من أهل العلم بالحديث، إلَّا أن يحيى بن معين لم يكن ينسبه إلى الكذب، بل كان ينسبه إلى الوهم».

وقال الأزدي: «كان نعيم ممن يضع الحديث في تقوية السنة، وحكايات مزورة في ثلب النعمان: كلها كذب»

وقال الآجري، عن أبي داود: «عند نعيم بن حماد نحو عشرين حديثًا عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ليس لها أصل».

وقال النسائي: «ليس بثقة»، وقال مرة: «ضعيف».

وقال أبو علي النيسابوري: «سمعت النسائي يذكر فضل نعيم بن حماد وتقدمه في العلم والمعرفة والسنن، ثم قيل له في قبول حديثه، فقال: قد كثر تفرده عن الأئمة المعروفين، بأحاديث كثيرة؛ فصار في حدِّ من لا يُحتج به».

وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال: «ربما أخطأ ووهِم».

وقال أبو سعيد بن يونس: «وكان يفهم الحديث، وروى أحاديث مناكير عن الثقات».

وقال مسلمة بن قاسم: «كان صدوقًا، وهو كثير الخطأ[1]، وله أحاديث منكرة في الملاحم، انفرد بها».

---

(١) قال الحافظ العراقي في «فتح المغيث» ص(٧): «من كثر الخطأ في حديثه، وفَحُش؛ استحق الترك، وإن كان عدلًا» اهـ.

وقال الدارقطني: «إمامٌ في السُّنَّة، كثير الوهم».

وقال أبو أحمد الحاكم: «ربما يخالف في بعض أحاديثه».

وقال ابن الجوزي في «التحقيق»: «نعيم بن حماد مجروح».

وقال صالح بن محمد الأسدي الحافظ: «وكان نعيم يحدِّث من حفظه، وعنده مناكير كثيرة، لا يُتابَع عليها» قال: وسمعت يحيى بن معين سُئل عنه فقال: «ليس في الحديث بشيء، ولكنه صاحب سُنَّة».

فها أنت ترى إطباق النقاد على وصفه بالوهم، والخطأ الكثير، وكثرة المناكير، ورواية ما لا أصل[1] له، أما من أثنوا عليه خيرًا ووثقوه؛ فذلك بالنظر إلى دينه وصلابته في السُّنَّة، وكونه عدلًا صدوقًا، لا يتعمد الكذب.

---

(١) ولو قلنا للعابثين: حدثونا عن أشراط الساعة والفتن، ولكن لا تحدثونا عن كتاب «الفتن» لأبي نعيم -رحمه الله تعالى- ولا عمَّن نقل عنه؛ لصارت كتبهم خاوية على عروشها.

ذِكرُ نُصوصِ بَعضِ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي حُكْمِ رِوايَةِ الأَحَاديثِ الضَّعِيفَةِ والموضُوعَةِ

قال العلماء: لا يحل رواية الحديث الموضوع في أي باب من الأبواب إلَّا مقترنًا ببيان أنه موضوع مكذوب، سواء في ذلك ما يتعلق بالحلال والحرام، أو الفضائل، أو الترغيب والترهيب، أو القصص والتواريخ[١].

ومن رواه من غير بيان وضعه فقد باء بالإثم العظيم، وَحَشَرَ نفسه في عِداد الكذابين؛ وذلك لما رواه الإمام مسلم في صحيحه بسنده أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى**[٢] **أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ**»[٣].

وعن أبي قتادة -رضي الله عنه-: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ عَلَى هَذَا الْمِنْبَرِ: «**إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الحدِيثِ عَنِّي، فَمَنْ قَالَ عَلَيَّ؛ فَلْيَقُلْ حَقًّا أَوْ صِدْقًا، وَمَنْ تَقَوَّلَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ؛ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِن النَّارِ** »[٤].

---

(١) انظر: «علوم الحديث»، لابن الصلاح، ص(١٠٩) و«تدريب الراوي»، ص(٩٨)، و«شرح علل الترمذي» (١/ ٣٩٧).

(٢) ولم يقل: «يتيقن أنه كذب»، فكل شاكٍّ فيما يروي أنه صحيح أو غير صحيح، داخل في ظاهر خطاب هذا الخبر، أفاده ابن حبان في «المجروحين» (١/ ١٧).

(٣) رواه مسلم (٤) في المقدمة.

(٤) رواه الإمام أحمد (٥/ ٢٩٧)، وابن ماجه في «المقدمة» رقم (٣٥).

وعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»(١).

قال ابن حبان -رحمه الله تعالى-: «في أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- أمته بالتبليغ عنه مَنْ بَعدهم -مع ذكره إيجابَ النار للكاذب عليه- دليلٌ على أنه إنما أُمِر بالتبليغ عنه ما قاله عليه السلام، وما كان من سنته فعلًا أو سكوتًا عند المشاهدة، لا أنه يدخل به في قوله -صلى الله عليه وسلم-: «**نَضَّرَ الله امْرُا**» المحدثون بأسرهم، بل لا يدخل في ظاهر هذا الخطاب إلَّا من أدى صحيح حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- دون سقيمه، وإني خائف على من روى ما سمع من الصحيح والسقيم أن يدخل في جملة الكذبة على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا كان عالمًا بما يروى»(٢) اهـ.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**كَفَى بِالمرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**»(٣).

وعن عبد الله بن وهب قال: قال لي مالك: «اعلم أنه ليس يسلم رجل حدَّث بكل ما سمع، ولا يكون إمامًا(٤) أبدًا وهو يحدث بكل ما سمع»(٥).

---

(١) انظر تخريجه ص(١٧٨).

(٢) «كتاب المجروحين» ص(٦).

(٣) رواه مسلم في مقدمة «صحيحه» (٥).

(٤) رواه مسلم في «السابق» (٤).

(٥) قال النووي -رحمه الله تعالى- في شرحه: «معناه أنه إذا حدَّث بكل ما سمع كثُر الخطأ في روايته، فتُرك الاعتماد عليه، والأخذ عنه» اهـ. من «شرح النووي» (١/ ٧٥).

قال عمرو بن ميمون -رحمه الله تعالى-: ما أخطأني ابن مسعود -رضي الله عنه- عشية خميس إلَّا أتيته فيه، قال: فما سمعته يقول بشيء قط: «قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-»، فلما كان ذات عشية قال: «قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-»، قال: «فنكس»، قال: فنظرت إليه فهو قائم، محلَّلةً أزرارُ قميصه، قد اغرورقت عيناه، وانتفخت أوداجه، قال: «أو دون ذلك، أو فوق ذلك، أو قريبًا من ذلك، أو شبيهًا بذلك»(١).

وقال إياس بن معاوية لسفيان بن حسين: «احفظ عليَّ ما أقول لك: إياك والشناعةَ في الحديث، فإنه قلَّما حَمَلها أحد إلَّا ذلَّ في نفسه، وكُذِّبَ في حديثه»(٢).

قال النووي -رحمه الله تعالى-:

«معنى كلامه أنه حذره أن يُحدِّث بالأحاديث المنكرة التي يُشَنَّع على صاحبها، ويُنكر، ويُقبح حَال صاحبها فيُكَذَّب أو يُستراب في رواياته، فتسقط منزلته، ويذل في نفسه»(٣) اهـ.

وحَكَمَ كثير من العلماء على من روى حديثًا موضوعًا -دون تنبيه إلى وضعه وتحذير الناس منه- بالتعزير والتأديب؛ فقد قال البخاري في حق أحد هؤلاء: «من حَدَّثَ بهذا؛ استوجب الضرب الشديد، والحبس الطويل»، بل قال يحيى بن معين -لما ذُكِرَ له حديث سويد الأنباري-:

---

(١) «صحيح سنن ابن ماجه» رقم (٢١).

(٢) رواه مسلم في «المقدمة» (١/ ٧٥ -نووي).

(٣) «شرح النووي» (١/ ٧٦).

«من عشق، وعف، وكتم، ثم مات؛ مات شهيدًا»، قال : «هو حلال الدم»(١).

وقال ابن قدامة -رحمه الله تعالى-: «أما الأحاديث الموضوعة التي وضعتها الزنادقة؛ ليلبِّسوا بها على أهل الإسلام، أو الأحاديث الضعيفة -إمَّا لضعف رواتها، أو جهالتهم، أو لعلة فيها- فلا يجوز أن يُقال بها، ولا اعتقاد ما فيها، بل وجودها كعدمها»(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: «فالواجب أن يُفرَّقَ بين الحديث الصحيح والحديث الكَذِبِ؛ فإن السنة هي الحق دون الباطل، وهي الأحاديث الصحيحة دون الموضوعة، فهذا أصلٌ عظيم لأهل الإسلام عمومًا، ولمن يدعي السنة خصوصًا»(٣).

وقال أيضًا: «الاستدلال بما لا تُعلم صحته لا يجوز بالاتفاق؛ فإنه قولٌ بلا علم، وهو حرام بالكتاب والسنة، والإجماع»(٤).

وقال الشوكاني -رحمه الله تعالى-: «إن الأحكام الشرعية متساوية الأقدام، لا فرق بينها، فلا يحلُّ إذاعة شيء منها إلَّا بما يقوم به الحجة، وإلا كان من التقوُّل على الله ما لم يَقُلْ، وفيه من العقوبة ما هو معروف»(٥).

---

(١) انظر: «الإسرائيليات، والموضوعات في كتب التفسير»، ص(٢٩).
(٢) «ذم التأويل»، ص(٤٧).
(٣) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٨٠).
(٤) «منهاج السنة النبوية» (٧/ ٦٧، ٦٨).
(٥) «الفوائد المجموعة»، ص(١٠٠).

المطلب الثاني

الاعتمادُ على مَرْويَّات الرَّافضةِ، وغُلاةِ الصُّوفيَّةِ

أولًا: مرويات الرافضة[(١)]:

«**أكذب من رافضي**» عبارة سارت مثلًا، وأصلها: اتفاق علماء الجرح والتعديل على أن الكذب في الرافضة الشيعة أظهر منه في سائر الطوائف، فمن قرأ كتب الجرح والتعديل المصنفة في أسماء الرواة وأحوالهم مثل كتب البخاري، وابن معين، وابن عدي، والدارقطني، وغيرهم من جهابذة النقاد وأهل المعرفة بأحوال الإسناد، سوف يجد أن الرأي المجمع عليه: أن الكذب في الشيعة أكثر منه في جميع طوائف أهل القبلة.

نصوص أئمة الحديث على أن الكذب شعار الرافضة

قال أبو معاوية: سمعت الأعمش يقول: «أدركت الناس وما يسمونهم إلَّا الكذَّابين»[(٢)]. وروى الخطيب البغدادي بسنده إلى ابن المبارك قال: «سأل أبو عصمة أبا حنيفة: ممن تأمرني أن أسمع؟ قال: «مِن كل عَدْلٍ في هواه إلَّا الشيعة، فإن أصلَّ عقدهم تضليلُ أصحابِ محمد -صلى الله عليه وسلم-»[(٣)].

---

(١) انظر: «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة» للدكتور محمد أمحزون ص(٦٣-٧٦).

(٢) «منهاج السنة» (١/ ١٦).

(٣) «الكفاية في علم الرواية» ص(٢٠٣).

وقال حماد بن سلمة: حدثني شيخ لهم -يعني الرافضة-: قال: «كنا إذا اجتمعنا فاستحسنا شيئًا، جعلناه حديثا»[(١)].

وقال محمد بن سعيد الأصفهاني: سمعت شريكًا يقول: «احمل العلم عن كل من لقيته إلَّا الرافضة، فإنهم يضعون الحديث، ويتخذونه دينًا»[(٢)].

وقال يونس بن عبد الأعلى: قال أشهب: سئل مالك -رضي الله عنه- عن الرافضة فقال: «لا تكلمهم، ولا ترو عنهم، فإنهم يكذبون»[(٣)].

وقال عبد الله بن المبارك: «الدين لأهل الحديث، والكلام والحيل لأهل الرأي، والكذب للرافضة»[(٤)].

وقال حرملة: سمعت الشافعي -رضي الله عنه- يقول: «لم أر أحدًا أشهد بالزور من الرافضة»[(٥)].

وقال مؤمِّل بن إهاب: سمعت يزيد بن هارون يقول: «يكتب عن كل مبتدع إذا لم يكن داعية -أي إلى بدعته- إلَّا الرافضة فإنهم يكذبون»[(٦)].

والشيعة جعلوا الكذب شعارًا لهم، وصبغوه صبغةً دينيةً باسم التقية، حيث قالوا: «لا إيمان لمن لا تقية له»، ونسبوا هذه الرواية إلى محمد الباقر زورًا وبهتانا[(٧)].

---

(١) «منهاج السنة» (١/ ١٦).
(٢) «المنتقى» للذهبي ص(٢٢).
(٣) «المصدر نفسه» ص(٢١).
(٤) «المصدر نفسه»، ص(٤٨٠).
(٥) «الكفاية» للخطيب ص(٢٠٢).
(٦) «منهاج السنة» (١/ ١٦).
(٧) «الكافي في الأصول» (٢/ ١٩).

هذا وقد اشتكى منهم ومن أكاذيبهم الكثيرة عليٌّ -رضي الله عنه- وأهل بيته، إذ لا يتورعون في افتراء الكذب على لسانهم.

فقد ذكر أبو عمرو الكشي في «الرجال»: «قال أبو عبد الله -جعفر الصادق-: إنا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا، فيسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس. كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أصدق البرية لهجة، وكان مسيلمة يكذب عليه، وكان أمير المؤمنين -علي بن أبي طالب- أصدق من برأ الله من بعد رسول الله، وكان الذي يكذب عليه عبد الله بن سبأ -لعنه الله-، وكان أبو عبد الله الحسين بن علي قد ابتلي بالمختار -الثقفي- ثم ذكر علي بن الحسين فقال: كان يكذب عليه أبو عبد الله الحارث الشامي وبنان، ثم ذكر المغيرة بن سعيد والسري، وأبا الخطاب. . . فقال: «لعنهم الله، إنا لا نخلو من كذاب يكذب علينا، كفانا الله مؤنة كل كذَّاب، وأذاقهم الله حرَّ الحديد»(١).

وقد أسرفت الرافضة في وضع الأحاديث والأخبار بما يتفق مع أهوائها، فكما وضعوا الأحاديث في فضل علي وآل البيت(٢)، فقد وضعوا أيضًا الأحاديث في ذم الصحابة وخاصة الشيخين أبي بكر وعمر، حتى قال ابن أبي الحديد(٣): «فالأمور المستبشعة التي تذكرها الشيعة من إرسال قنفذ إلى بيت فاطمة وأنه ضربها بالسوط، فصار في عَضُدها كالدُّمْلُج، وأن عمر ضغطها بين الباب والجدار، فصاحت:

---

(١) «الرجال» للكشي، ص(٢٥٧).

(٢) نقل أبو الحسن علي بن محمد بن عراق عن صاحب (الإرشاد) قولَه: قال بعض الحفاظ: تأملت ما وضعه أهل الكوفة في فضائل علي وأهل البيت؛ فزاد على ثلاثمائة ألف» اهـ.

(٣) شيعي معتزلي أديب، من مصنفاته: «شرح نهج البلاغة»، وهو هنا «شاهد من أهلها».

يا أبتاه، وجعل في عنق علي حبلًا يقاد به، وفاطمة خلفه تصرخ، وابناه الحسن والحسين يبكيان -وأخذ ابن أبي الحديد في ذكر كثير من المثالب، ثم قال-: فكل ذلك لا أصل له عند أصحابنا، ولا يثبته أحد منهم، ولا رواه أهل الحديث ولا يعرفونه، وإنما هو شيء تنفرد الشيعة بنقله»[(١)].

وكذلك وضعوا الأحاديث في ذم معاوية -رضي الله عنه- ومثال ذلك الحديث المنسوب إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إذا رأيتم معاوية على منبري، فاقتلوه»[(٢)] كما رووا أحاديث كثيرة موضوعة في غيره من الصحابة مع العلم أن من يكذب على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من باب أولى أن يكذب على غيره.

من نصوص شيخ الإسلام في كشف كذب الرافضة

تعتبر كتابات ابن تيمية من أجلِّ ما صنف في فضح مخططات الرافضة والكشف عن افتراءاتهم في مجال العقائد والحديث والفقه والتاريخ، حيث امتلأت كتبه وفتاويه بدفاع مجيد عن مختلف هذه القضايا من وجهة نظر إسلامية خالصة، مع بيان دور الشيعة الفعال في الدس وتلفيق الأخبار تحت ستار التشيع لآل البيت.

يقول -رحمه الله تعالى- في هذا الشأن: «وقد اتفق أهل العلم بالنقل والرواية والإسناد على أن الرافضة أكذب الطوائف، والكذب فيهم قديم، ولهذا كان أئمة الإسلام يعلمون امتيازهم بكثرة الكذب»[(٣)].

---

(١) «شرح نهج البلاغة» (١/ ١٣٥).

(٢) انظر: «اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» للسيوطي (١/ ٣٢٣).

(٣) «منهاج السنة» (١/ ١٦).

وقال في موطن آخر: «والقوم من أكذب الناس في النقليات[١] وأجهل الناس في العقليات، ولهذا كانوا عند العلماء أجهل الطوائف.... وإنما عمدتهم على تواريخ منقطعة الإسناد، وكثير منها من وضع المعروفين بالكذب، فيعتمدون على نقل أبي مخنف لوط بن يحيى، وهشام بن الكلبي.... والخوارج -مع مروقهم من الدين- فهم من أصدق الناس، حتى قيل: إن حديثهم من أصح الحديث. والرافضة يقرون بالكذب حيث يقولون: ديننا التقية، وهذا هو النفاق، ثم يزعمون أنهم المؤمنون، ويصفون السابقين الأولين بالردة والنفاق، فهو كما قيل «رمتني بدائها وانسلت»... بل هذه صفة الرافضة، فشعارهم الذل، ودثارهم النفاق والتقية، ورأس مالهم الكذب والأيمان الفاجرة إن لم يقعوا في الغلو والزندقة، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم...»[٢].

---

(١) فالشيعة لا يعبئون في الحديث وروايته بشيء من أمر الأمانة والعدالة والحفظ، ويروون في «الكافي» وأمثاله من كتبهم المعتبرة عندهم عن أكذب الناس، لأن مدار التوثيق عندهم على التعصب والهوى والحقد على أئمة المسلمين وعلمائهم، إذ لا يقبلون إلَّا رواية من كان على مذهبهم، أي أن يكون الراوي إماميًّا سواء حفظ أم غلط، صدق أم كذب، فهم لا يخضعون الحديث لمنهج علمي من ناحية سنده ومتنه كما هو الحال عند علماء أهل السنة، فيتبين بذلك صحة الحديث من ضعفه، وإنما اعتمدوا رواية الآحاد، وجعلوا العصمة التي ادعوها لأئمتهم تغني بزعمهم عن إخضاع الحديث للنقد والنظر، فإذا سُئلوا عن سند حديث، قالوا: رواه الحسين أو محمد الباقر، أو موسى الكاظم، مرددين قول شاعرهم:

فشايع أناسًا قولهم وحديثهم ... روى جدنا عن جبرئيل عن الباري

«الشيعة في عقائدهم وأحكامهم» لأمير محمد الكاظمي القزويني، ص(٦) نقلًا عن: «وجاء دور المجوس» للدكتور عبد الله الغريب، ص(١٢١).

(٢) «المنتقى» للذهبي، ص(١٩، ٢١، ٢٣، ٦٨).

وحين ادعى ابن المطهر الحلِيُّ أن «رجال الشيعة ثقات» انبرى له شيخ الإسلام قائلًا:

«نحن ننتقد رجالنا من أهل السنة والحديث نقدًا لا مزيد عليه، ولنا مصنفات كثيرة جدًّا في تعديلهم وضعفهم وصدقهم وغلطهم وكذبهم ووهمهم، لا نحابيهم أصلًا -مع صلاحهم وعبادتهم- ونُسْقِط الاحتجاجَ بالرجل منهم لكثرة غلطه وسوء حفظه، ولو كان من أولياء الله. وأنتم حد الثقة عندكم أن يكون إماميًّا سواء غلط أو حفظ، أو كذب أو صدق... وغالب ما في أيديكم صحف وأخبار على ألسنتكم مكذوبة، أو لم تعلم صحتها، كدأب أهل الكتابين سواء -اليهود والنصارى- وكذب الرافضة مما يُضرب به المثل، ونحن نعلم أن الخوارج شر منكم، ومع هذا فما نقدر أن نرميهم بالكذب، لأننا جربناهم فوجدناهم يتحرون الصدق، لهم وعليهم، وأنتم الصادق فيكم شامة!..

فأهل السنة والحديث لا يرضون بالكذب ولو وافق أهواءهم، فكم قد روي من فضائل أبي بكر وعمر وعثمان، بل ومعاوية وغيرهم أحاديث بالأسانيد يرويها مثل النقاش، والقَطِيعي، والثعلبي، والأهوازي، وأبي نعيم، والخطيب، وابن عساكر، وأضعافهم، ولم يقبل علماء الحديث شيئًا يتبينون الكذب منه، بل إذا كان في إسناد الحديث واحد مجهول الحال توقفوا في الحديث. وأنتم شرط الحديث عندكم أن يوافق أهواءكم غثًّا كان أو سمينًا»(١).

(١) «المنتقى» للذهبي، ص(٤٨٠).

وقال أيضًا في «مجموع الفتاوى»: «إن الرافضة أمة ليس لها عقل صريح، ولا نقل صحيح، ولا دين مقبول، ولا دنيا منصورة، بل هم من أعظم الطوائف كذبًا وجهلًا. ودينهم يُدخل على المسلمين كلَّ زنديقٍ مرتد، كما دخل فيهم النُّصيرية والإسماعيلية وغيرهم، فإنهم يعمدون إلى خيار الأئمة يعادونهم، ويعمدون إلى الصدق الظاهر المتواتر يدفعونه، وإلى الكذب المختلق الذي يُعْلَم فساده يقيمونه... ولهذا كانوا أبهت الناس وأشدهم فرية مثلما يذكرون عن معاوية... والشيعة لا يكاد يوثق برواية أحد منهم من شيوخهم؛ لكثرة الكذب فيهم، ولهذا أعرض عنهم أهل الصحيح، فلا يروي البخاري ومسلم أحاديث عليٍّ إلَّا من أهل بيته كأولاده مثل الحسن والحسين، ومثل محمد بن الحنفية، وكاتبه عبيد الله بن رافع، والحارث التيمي، وقيس بن عبَّاد، وأمثالهم، إذ هؤلاء صادقون فيما يروون في علي»(١).

وحين ذكرهم ابن قيم الجوزية -رحمه الله تعالى- قال: «وأما علي بن أبي طالب فانتشرت أحكامه وفتاويه، ولكن قاتل الله الشيعة فإنهم أفسدوا كثيرًا من علمه بالكذب عليه، ولهذا تجد أصحاب الحديث من أهل الصحيح لا يعتمدون من حديثه وفتواه إلَّا ما كان من طريق أهل بيته، وأصحاب عبد الله بن مسعود»(٢).

وتجب الإشارة إلى أن أكثر الرواة الذين ذكروا تلك التهم والمطاعن عن خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، هم من الشيعة. ولم ينقلوا

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٤٧١) (١٣/ ٣١).
(٢) «إعلام الموقعين» (١/ ٢١).

هذه الوقائع عمن شاهدوها، بل كانت سمعًا على سمع، وكذبًا على كذب، فكثيرًا ما يروي الراوي الحادثة والواقعة وبينه وبينها عشرات السنين. وهؤلاء الرواة مع كذبهم، وكونهم دعاةً إلى مذهبهم هم طرف في تلك الوقائع والحوادث؛ حيث يتبعون تلك الشلَّة أو الطائفة التي سَعَّرت نار الفتنة. فهم على شاكلتهم يعملون نفس العمل بالقلم واللسان الذي سعى به أسلافهم السبئية بالجسد والروح.

ثانيًا: اعتماد العابثين بأشراط الساعة على مرويات الرافضة، وغلاة الصوفية

كاعتماد بعضهم على كتاب «عنقاء مُغرِب» لابن عربي الصوفي، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وابن عربي في كتاب «عنقاء مُغرِب» وغيره أخبر بمستقبلات كثيرة، عامتها كذب»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه، ونوَّر ضريحه-:

«ومن أمثلة ذلك: أنك تجد عند الرافضة والمتشيعة ومن أخذ عنهم من دعوى علوم الأسرار والحقائق التي يدَّعون أخذها عن أهل البيت، إمَّا من العلوم الدينية، وإما من علم الحوادث الكائنة، ما هو عندهم من أجَلِّ الأمور التي يجب التواصي بكتمانها، والإيمان بما لا يعلم حقيقته من ذلك، وجميعها كذبٌ مختلق، وإفكٌ مفترى، فإن هذه الطائفة «الرافضة» من أكثر الطوائف كذبًا، وادِّعاءً للعلم المكتوم، ولهذا انتسبت إليهم الباطنية والقرامطة.

وهؤلاء خرج أولهم في زمن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، وصاروا يدَّعون أنه خُصَّ بأسرار من العلوم والوصية، حتى

---

(١) «مجموع الفتاوى»، (٤/ ٨١).

كان يسأله عن ذلك خواص أصحابه، فيخبرهم بانتفاء ذلك، ولما بلغه أن ذلك قد قيل؛ كان يخطب الناس، وينفي ذلك عن نفسه»[١] اهـ.

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى-: «وأما ما يرويه أهل الكذب والجهل من اختصاص عليٍّ بعلمٍ انفرد به عن الصحابة؛ فكله باطل . . . وكذلك ما يذكر أنه كان عنده علم باطن امتاز به عن أبي بكر وعمر وغيرهما، فهذا من مقالات الملاحدة الباطنية»[٢].

وقد ادَّعى «محمد عيسى داود» أن عليًّا -رضي الله عنه- تلقى العلوم الظاهرة والباطنة من النبي -صلى الله عليه وسلم-[٣]، وكذا الأسرارَ الغيبيةَ المتعلقةَ بكل ما يحدث في العالم حتى يوم القيامة، ثم إن عليًّا لغَّزَ[٤] هذه العلوم بالرموز، والحروف المقطعة، والأشكال الخاصة، وادَّعى أن ذلك لا يطلع عليه إلَّا ورثة علم سيدنا علي من آل البيت الشريف[٥].

---

(١) «نفسه» (٤/ ٧٧).

(٢) «نفسه» (٤/ ٤١٢، ٤١٣)، وانظره (٣٥/ ١٨٦).

(٣) وهذا أحد مظاهر التزاوج بين الشيعة، والصوفية، انظر: «قطر الولي»، ص(٨٠، ٨١).

(٤) وتساءل: «هل يمكن أن تكون هذه القوانين مصاغة (!) في صورة كلمات، وجمل، هي رموز، و«شفرات»؟ وسمَّى هذا الفعل الْمُفتَرى على أمير المؤمنين علي -رضي الله عنه- «التلغيز الكريم» و«التشفير العظيم»، وزعم أنه كان بتوجيه المصطفى -صلى الله عليه وسلم- ، انظر كتابه «المفاجأة»، ص(٦١).

(٥) «المفاجأة»، ص(٥٨، ٥٩)، وقد نشر بداخل الكتاب دائرة فيها رموز، وطلاسم، ورسوم غريبة، أشبه ما تكون بما يرسمه الدجالون، وصناع الأحجبة!

وزعم أيضًا أن أهل البيت توارثوا كتاب «الجامعة»، وادَّعى أنه إملاءٌ من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وخط علي -رضي الله عنه-[١].

وادَّعى أيضًا حجية «الجفر» المزعوم[٢]، وذكر استدلالات منه على إعادة بناء الهيكل اليهودي[٣].

وقال في شأن «الجفر»: (وفي الجفر الكبير «الأحمر» علوم صريحة واضحة الأحداث والمعالم، و«الجفر الصغير» مجموعات علوم، وتنبؤات ملغزة بقواعد علم الحرف، تلك العلوم الشديدة الخصوصية، والتي لا يعرفها إلَّا ندرة من أهل العلم)[٤]. اهـ.

فيا أسفا على مصنفين من أهل السنة، يُخدعون بمثل هذا الإنسان، ويرتضونه لهم قائدًا:

أَعمَى يَقُودُ بَصيرًا لَا أَبَا لَكُمُ ... قَدْ ضَلَّ مَنْ كانَتِ الْعُميَانُ تَهْدِيه

---

(١) «نفسه» ص(٥٦).

(٢) «نفسه»، ص(٥٧) وراجع: «المهدي» هامش (٤)، ص(٣٨٩، ٣٩٠)، وانظر فيما يأتي ص(٢٠٩-٢١٢)، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: «وأما الكذب والأسرار التي يدَّعونها عن جعفر الصادق فمن أكبر الأشياء كذبًا، حتى يقال: ما كُذِب على أحدٍ ما كُذبَ علي جعفر -رضي الله عنه-».
«ومن هذه الأمور المضافة: كتاب «الجفر» الذي يدعون أنه كتب فيه الحوادث» اهـ. من «مجموع الفتاوى» (٤/ ٧٧، ٧٨)، وانظره أيضًا: (٣٥/ ١٨٣-١٨٤).

(٣) «نفسه» ص(٣١٦) وما بعدها.

(٤) «المفاجأة» ص(٦١) وقد أفرد «السندباد المصري» الجفر بمصنف أسماه «أسرار الهاء في الجفر» في ست وثلاثين وخمسمائة صفحة، أتي فيه بطامَّات تستوجب تعزيره، والحجر عليه استصلاحًا للديانة، وحماية للمسلمين من دجله.

المطلب الثالث

الغُلُوُّ في تَقبُّلِ الإِسْرائيليَّاتِ[(١)]

تمتلئ كتب «العابثين بأشراط الساعة» بعشرات الأخبار الإسرائيلية المنقولة عن كتب اليهود والنصارى، وقد فصَّل العلماء الموقف من هذه الإسرائيليات، وبينوا أنها على ثلاثة أقسام[(٢)]:

الْقِسْمُ الأَوَّلُ

ما علمنا صحته مما بأيدينا من القرآن والسنة، والقرآن هو الكتاب المهيمن، والشاهد على الكتب السماوية قبله، فما وافقه فهو حقٌّ وصدق، وما خالفه فهو باطل وكذب، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المائدة: ٤٨].

---

(١) الإسرائيليات: جمع إسرائيلية، نسبة إلى بني إسرائيل؛ والنسبة في مثل هذا تكون لِعَجُزِ المركب الإضافي، لا لصدره، وإسرائيل هو يعقوب -عليه السلام- أي: عبد الله؛ وبنو إسرائيل هم: أبناء يعقوب، ومن تناسلوا منهم فيما بعد إلى عهد موسى، ومن جاء بعده من الأنبياء، حتى عهد عيسى -عليه السلام- وحتى عهد نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، وانظر: «الإسرائيليات، والموضوعات في كتب التفسير»، ص(٢١).

(٢) انظر: «التفسير والمفسرون»، (١/ ١٦٥-١٨٣)، و«الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير»، ص(١٥٠-١٥٦).

وهذا القسم صحيح وفيما عندنا غُنْيَةٌ عنه، ولكن يَجوز ذكره، وروايته للاستشهاد به، ولإقامة الحجة عليهم من كتبهم؛ وذلك مثل ما ذُكر في صاحب موسى -عليه السلام- وأنه الْخَضِرُ، فقد ورد في الحديث الصحيح، ومثل ما يتعلق بالبشارة بالنبي -صلى الله عليه وسلم- وبرسالته، وأن التوحيد هو دين جميع الأنبياء، مما غفلوا عن تحريفه، أو حرفوه، ولكن بقي شعاع منه يدل على الحق.

وفي هذا القسم: ورد قوله -صلى الله عليه وسلم-: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ**»(١)، قال الحافظ في «الفتح»: «أي: لا ضيق عليكم في الحديث عنهم؛ لأنه كان تقدَّم منه -صلى الله عليه وسلم- الزجر من الأخذ عنهم، والنظر في كتبهم، ثم حصل التوسع في ذلك، وكان النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية، والقواعد الدينية؛ خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك؛ لما في سماع الأخبار التي كانت في زمنهم من الاعتبار»(٢).

الْقِسْمُ الثَّانِي

ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه؛ وذلك مثل ما ذكروه في قصص الأنبياء، من أخبار تطعن في عصمة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- كقصة يوسف، وداوذ، وسليمان، ومثل ما ذكروه في توراتهم: من أن الذبيح إسحاق، لا إسماعيل، فهذا لا تجوز روايته وذكره، إلَّا مقترنًا

---

(١) رواه البخاري (٣٤٦١)، (٦/ ٤٩٦ - فتح).
(٢) «فتح الباري»، (٦/ ٤٩٨).

ببيان كذبه، وأنه مما حرفوه وبدلوه، قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ٤١].

وفي هذا القسم: ورد النهي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- للصحابة عن روايته، والزجر عن أخذه عنهم، وسؤالهم عنه، قال الإمام مالك -رحمه الله تعالى- في حديث «**حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ**»: المرادُ جوازُ التحدث عنهم بما كان من أمر حَسَنٍ، أَما ما عُلِمَ كذِبُهُ فلا[١].

ولعل هذا هو المراد من قول ابن عباس -رضي الله عنهما-: «يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي أُنزل على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أحدثُ[٢] الأخبار بالله، تقرءونه مَحْضًا لم يُشَبْ؟[٣] وقد حدَّثكم الله أن أهل الكتاب بدَّلوا كتاب الله، وغيَّروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا: ﴿هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٧٩]، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، ولا والله ما رأينا منهم رجلًا قطُّ يسألكم عن الذي أُنزل عليكم»[٤].

---

(١) «نفسه» ص(٦/ ٤٩٨، ٤٩٩).

(٢) أحدث: آخر الكتب السماوية نزولًا من عند الله -تعالى- وفي رواية: «أحدث الأخبار بالله».

(٣) لم يُشَب: لم يُخْلَط بغيره قط؛ لأنه محفوظٌ من التبديل والزيادة.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٢٦٨٥) (٥/ ٢٩١- فتح)، (٧٣٦٣)، (١٣/ ٣٣٣، ٣٣٤).

الْقِسْمُ الثَّالِثُ

ما هو مسكوت عنه: لا من هذا، ولا من ذاك، فلا نؤمن به، ولا نُكَذِّبُهُ؛ لاحتمال أن يكون حقًّا فنكذبه، أو باطلًا فنصدقه، ويجوز حكايته لما تقدم من الإذن في الرواية عنهم(١).

ولعل هذا القسم هو المراد بما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- قال: «كان أَهل الكتاب يقرءُون التوراة بالعبرانية، ويُفَسِّرُ بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ، وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، وقُولُوا**: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ . . . الآية [العنكبوت: ٤٦](٢)، ومع هذا فالأولى عدم ذكره، وأن لا نضيع الوقت في الاشتغال به(٣)، قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى-: (وَرَدَ حديث أخرجه الإمام أحمد، وابن أَبي شيبة والبزار، من حديث جابر: أن عمر أَتى النبي -صلى الله عليه وسلم- بكتاب أَصابه من بعض أَهل الكتاب، فقرأَه عليه، فغضب، وقال: «**لقد جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لا تَسْأَلُوهُم عَنْ شَيءٍ فيُخْبِرُوكُم بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بباطِلٍ، فَتُصَدِّقُوا به، والذي نَفْسِي بِيَده، لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**»، ورجاله موثقون: إِلَّا أن في مجالدِ -أحدِ رواته- ضَعْفًا، وأخرج البَزَّارُ أيضًا من طريق عبد الله بن ثابت الأَنصاري: أَن عُمَرَ نسخ

---

(١) انظر: «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» للإمام المفسر برهان الدين البقاعي، (١/ ٢٧٢-٢٧٧).

(٢) رواه البخاري (٧٣٦٢)، (١٣/ ٣٣٣ - فتح).

(٣) وهذا القسم غالبه مما ليس فيه فائدة تعود إلى أمر ديني مما أبهمه الله تعالى في القرآن، ولا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دينهم، أو دنياهم.

صحيفة من التوراة، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «لا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ» وفي سنده جابر الجعفي، وهو ضعيف، واستعمله -يعني البخاري- في الترجمة لورود ما يشهد بصحته من الحديث الصحيح»[(١)].

قال ابن بَطَّال عن المهلب: «هذا النهي في سؤالهم عما لا نصَّ فيه؛ لأَن شرعنا مُكْتَفٍ بنفسه، فإذا لم يوجَدْ فيه نصٌّ؛ ففي النظر والاستدلال غِنًى عن سُؤَالِهِم، ولا يدخل في النهي سؤالهم عن الأخبار المصدقة لشرعنا، والأخبار عن الأُمم السالفة»[(٢)].

تَشْدِيدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ -رضي الله عنه- عَلَى مَنْ كَانَ يَكْتُبُ شَيْئًا مِنْ كُتُبِ الْيَهُودِ:

وقد كانت مَقَالة النبي -صلى الله عليه وسلم- لعمرَ -رضي الله عنه-، وغضبه لكتابته شيئًا من التوراة- درسًا تعلم منه سيدنا عمر، ومنهجًا أخذ الناسَ به؛ فقد روى الحافظ أبو يعلى، بسنده عن خالد بن عرفطة قال: كنت جالسًا عند عمرَ، إذ أُتي برجل من عبد القيس، مسكنه بالسوس، فقال له عمر، أنت فلان بن فلان العبدي؟ قال: نعم، قال: وأنت النازل بالسوس؟ قال: نعم، فضربه بقناة معه، فقال الرجل: ما لي يا أمير المؤمنين؟! فقال له عُمَرُ: اجْلِسْ، فَجَلَسَ، فقرأ عليه: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ

---

(١) «فتح الباري» (١٣/ ٣٣٤)، وانظره (١٣/ ٥٢٥).
(٢) «السابق».

هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ [يوسف: ١-٣]، فقرأها عليه ثلاثًا، وضربه ثلاثًا، فقال له الرجل: ما لي يا أميرَ المؤمنين؟! قال: أنت الذي نسخت كتاب دانيال(١)، قال: مُرْني بأمرِك أَتَّبِعْهُ، قال: انطلق فامحه بالحميم(٢)، والصوف الأبيض، ثم لا تقرَأْهُ، ولا تُقْرِئهُ أَحَدًا من الناس، فلئن بلغني عنك أنك قرأته، أو أَقرأته أَحدًا من الناس لأُنهكنك عقوبة، ثم قال: اجلس، فجلس بين يديه، فقال: انطلقتُ أَنا فانتسختُ كتابًا من أَهل الكتاب، ثم جئت به في أَديم(٣)، فقال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**مَا هَذَا فِي يَدِكَ يَا عُمَرُ؟**» قلت: يا رسولَ الله، كتابٌ نسختُهُ لنزداد به علمًا إلى علمنا، فغضب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى احمرت وجنتاه، ثم نُوديَ بـ(الصَّلاةُ جَامِعَةٌ)، فقالت الأَنصار: أَغَضِب نبِيُّكم؟ السلاحَ السلاحَ، فجاءوا حتى أحدقوا بمنبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فقال: «**يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَخَوَاتِيمَهُ، وَاخْتُصِرَ لِيَ اخْتِصَارًا، وَلَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، فَلَا تَهَوَّكُوا، وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ الْمُتَهَوِّكُونَ**»(٤).

قال عمر: فقمتُ، فقُلتُ: «رضِيتُ بالله ربًّا، والإسلام دينًا، وبك رسولًا، ثم نَزَلَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-».

وروى الحافظ أَبو بكر الإسماعيلي بسنده عن جبير بن نفير: أَن رجلين كانا بحمص في خلافة عُمَرَ -رضي الله عنه- فأرسل إِليهما فيمن

(١) أحد أنبياء بني إسرائيل

(٢) الحميم: الماء الحار.

(٣) الأديم: الجلد.

(٤) المتهوك: المتحير الشاكُّ.

أَرسل من أَهل حمص، وكانا قد اكتتبا من اليهود شيئًا في صحيفة، فأَخذاها معهما يستفتيان فيها أَمير المؤمنين عمر، فلما قدما عليه قالا: إنا بأَرض أَهل الكتاب، وإنا نسمع منهم كلامًا تقشعرُّ منه جلودنا، أَفنأْخُذُ منه ونترك؟ فقال: سأحدثكما . . . ثم ذكر قصته لما كتب شيئًا أعجبه من كلام اليهود، وقرأه عليه، فغضب الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وصار يمحوه بريقه، ويقول: «**لَا تَتَّبِعُوا هَؤُلَاءِ؛ فَإِنَّهُمْ قَد هَوَّكُوا، وَتَهَوَّكُوا**»[1]، حتى محا آخِرَهُ، حَرْفًا حَرْفًا، ثم قال عمر: «فلو علمت أنكما كتبتما منه شيئًا جعلتكما نَكَالًا لهذه الأمة» قالا: «والله ما نكتبُ منه شيئًا»، ثم خرجا بصحيفتيهما، فَحَفَرَا لها، وَعَمَّقَا في الحفر، ودفناها، فكان آخر العهد منها[2].

ونقل الحافظ في «الفتح» عن الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى- قوله في حديث: «**حدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ**»: «من المعلوم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يُجِيزُ التحدث بالكذب؛ فالمعنى: حدثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كَذِبَهُ، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم، وهو نظير قوله: «**إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ، وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ**»، ولم يرد الإذن[3] ولا المنع من التحدث بما يُقطع بصدقه»[4].

---

(١) أي: شَكُّوا، وشككوا غيرهم.

(٢) «تفسير القرآن العظيم» للحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى- (٤/ ٤١٢-٤١٣)، ط. المنار.

(٣) أي: «فِيمَا عُلِمَ كَذِبُهُ»؛ لتستقيم العبارة.

(٤) «فتح الباري»، (٦/ ٤٩٩).

وقال الحافظ في «الفتح» في حديث: «**لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ، وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ**»: «أي: إذا كان ما يخبرونكم به مُحْتَمَلًا؛ لئلا يكون في نفس الأَمر صدقًا فتكذبوه، أَو كذِبًا فتصدقوه، فتقعوا في الحرج، ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعُنا بخلافه، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعُنا بوفاقه، نَبَّه على ذلك الشافعي -رحمه الله تعالى-، ويؤخذ من هذا الحديث: التوقف عن الخوض في المشكلات، والجزم فيها بما يقع في الظن، وعلى هذا: يُحْمَلُ ما جاءَ عن السلف من ذلك»(١). اهـ.

وبهذا البيان والتوفيق بين المرويات في هذا الباب ظهر أَن لا تعارض بينها، ولا يخالف بعضُها بعضًا، وأَنَّ لكل حالة حكمها.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: «الاختلاف في التفسير على نوعين: منه ما مستنده النقل فقط، ومنه ما يُعْلَمُ بغير ذلك، إذ العلم: إِمَّا نقل مُصَدَّقٌ، وإِمَا استدلالٌ مُحَقَّقٌ.

والمنقول: إما عن المعصوم، وإما عن غير المعصوم، والمقصود بأن جنس المنقول سواء كان عن المعصوم أو غير المعصوم -وهذا هو النوع الأول- منه ما يمكن معرفة الصحيح منه والضعيف؛ ومنه ما لا يمكن معرفة ذلك فيه، وهذا القسم الثاني من المنقول؛ وهو: ما لا طريقَ إلى الجزم بالصدق منه، فالبحث عنه مما لا فائدة فيه، والكلام فيه من فضول الكلام، وأَمَّا ما يحتاج المسلمون إلى معرفته؛ فإن الله نصب على الحق فيه دليلًا.

---

(١) «نفسه» (٨/ ١٧٠).

فمثال ما لا يفيد، ولا دليل على الصحيح منه: اختلافهم في أَحوال «أصحاب الكهف» وفي «البعض» الذي ضَرَبَ به موسى من البقرة، وفي مقدار «سفينة نوح»، وما كان خَشَبُها، وفي اسم «الغلام» الذي قتله الْخَضِرُ، ونحو ذلك، فهذه الأُمور طريق العلم بها: النقل، فما كان من هذا منقولًا نقلًا صحيحًا عن النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- كاسم صاحب موسى أنه الخَضِرُ -فهذا معلومٌ، وما لم يكن كذلك، بل كان مما يُؤْخَذُ عن أَهل الكتاب؛ كالمنقول عن كعب، ووهب، ومحمد بن إسحاق، وغيرهم؛ ممن يأخذ عن أهل الكتاب، فهذا لا يجوز تصديقه، ولا تكذيبه إلا بحجة(١)، كما ثبت في الصحيح عن النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: **«إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ، وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، فَإِمَّا أَنْ يُحَدِّثُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوهُ، وَإِمَّا أَنْ يُحَدِّثُوكُمْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوهُ»**.

وكذلك: ما نُقِلَ عن بعض التابعين، وإن لم يَذْكُرْ أَنَّهُ أَخَذَهُ عن أَهل الكتاب، فمتى اختلف التابعون لم يكن بعضُ أقوالهم حجةً على بعض، وما نُقِلَ في ذلك عن بعض الصحابة نقلًا صحيحًا، فالنفس إليه أسكَنُ مما نُقِلَ عن بعض التابعين؛ لأَنَّ احتمال أن يكون سمعه من النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- أَو من بعض من سمعه منه أَقوى، ولأن نقل الصحابة عن أهل الكتاب أقل من نقل التابعين، ومع جزم الصاحب فيما يقوله، كيف يُقَالُ: إنه أَخذه عن أَهل الكتاب وقد نُهوا عن تصديقهم(٢)؟! والمقصود أَن الاختلاف الذي لا يُعْلَمُ صحيحه، ولا

(١) انظر: «الرد على البكري»، ص(٦).

(٢) والجواب عن ذلك: أنهم أخذوا عنهم لما فهموا من الإذن والإباحة من قوله -صلى الله عليه وسلم-: «حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَا حَرَجَ»، ما دام لم يدل دليلٌ على كذبه.

تفيد حكايةُ الأَقوال فيه: هو كالمعرفة؛ لما يُرْوَى من الحديث الذي لا دليل على صحته، وأمثَالُ ذلك.

وأَمَّا القسم الأول الذي يمكن معرفة الصحيح منه، فهذا موجود فيما يُحْتَاجُ إليه، ولله الحمد»[١] . اهـ.

وقال، في موضعٍ آخر: «وغالب ذلك -يعني: المسكوت عنه- مما لا فائدة فيه يعود إلى أَمر ديني؛ ولهذا يختلف علماء أَهل الكتاب في مثل هذا كثيرًا، ويأتي عن المفسرين خلافٌ بسبب ذلك كما يذكرون في مثل هذا أسماءَ أَصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعِدَّتهم، وعصا موسى، من أي الشجر كانت؟، وأَسْماءَ الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضُرِبَ به المقتول من البقرة، ونوع الشجرة التي كلَّم الله منها موسى، إلى غير ذلك؛ مما أبهمه الله في القرآن؛ مما لا فائدة في تعيينه تعود على الْمُكَلَّفِين في دنياهم، ولا دينهم، ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز؛ كما قال -تعالى-: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الكهف: ٢٢].

فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأَدب في هذا المقام، وتعليم ما ينبغي في مثل هذا؛ فإنه -تعالى- أخبر عنهم بثلاثة أقوال، ضَعَّفَ القولين الأولين، وسكت عن الثالث، فدلَّ على صحته؛ إذ لو كان باطلًا لرَدَّه كما رَدَّهُما، ثم أَرْشَدَ إلى أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته،

---

(١) «مقدمة في أصول التفسير»، ص (١٧-٢٠).

فَيُقَالُ في مثل هذا: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾، فإنه ما يعلم بذلك إلا قليل من الناس، ممن أَطلعه الله عليه؛ فلهذا قال: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا﴾؛ أي: لا تُجْهِدْ نفسك فيما لا طائِلَ تحته، ولا تسأَلهم عن ذلك؛ فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب، فهذا أَحسن ما يكون في حكاية الخلاف: أَن تُستَوعَبَ الأقوال في ذلك المقام، وأن يُنَبَّهَ على الصحيح منها، ويُبْطَلَ الباطل، وتُذْكَرَ فَائِدَةُ الخلاف، وثَمَرَتُهُ؛ لئلا يطول النزاع، والخلاف فيما لا فائدة تحته، فَيُشْتَغَلَ به عن الأَهَم.

فأَمَّا من حكى خلافًا في مسألة، ولم يستوعب أَقْوَالَ الناس فيها فهو ناقص؛ إذ قد يكون الصواب في الذي تركه، أو يحكى الخلاف ويطلقه، ولا ينبه على الصحيح من الأقوال، فهو ناقص -أيضًا- فإن صحح غير الصحيح عامدًا، فقد تعمد الكذبَ، أو جاهلًا فقد أخطأَ، كذلك من نصب الخلافَ فيما لا فائدةَ تحته، أو حكى أَقوالًا متعددة لفظًا، ويرجع حاصلها إلى قول، أو قولين معنى، فقد ضَيَّعَ الزمان، وتَكَثَّر مما ليس بصحيح، فهو كلابس ثَوْبَي زور، والله الموفق للصواب»(١).

مَوْقِفُ الْحَافِظِ ابْنِ كَثِيرٍ مِنَ الْقِسْمِ الثَّالِثِ مِنَ الإِسْرَائِيلِيَّاتِ

قال -رحمه الله تعالى- في مقدمة «البداية والنهاية»:

«ولسنا نَذْكُرُ من الإسرائيليات إلا ما أذن الشارع في نقله مما لا يخالف كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-؛ وهو القسمُ

(١) «نفسه» (٤٦، ٤٧).

الذي لا يُصَدَّق ولا يُكَذَّب؛ مما فيه بسط لمختَصَر عندنا، أو تسمية لمبهم وَرَدَ به شرعُنا، مما لا فائدة في تعيينه لنا، **فنذكره على سبيل التحلي به، لا على سبيل الاحتياج إليه، والاعتماد عليه.**

وإنما الاعتماد والاستناد على كتاب الله وسنةِ رسوله -صلى الله عليه وسلم-، ما صحَّ نقله أو حَسُنَ، وما كان فيه ضعف نُبَيِّنُهُ، والله المستعانُ، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم، العلي العظيم»(١).

وقال -رحمه الله تعالى- مبينًا المقصودَ من قوله -صلى الله عليه وسلم-: «**وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ**»: إنه «محمول على الإسرائيليات المسكوت عنها عندنا، فليس عندنا ما يصدقها ولا ما يكذبها، فيجوز روايتها للاعتبار، وهذا هو الذي نستعمله في كتابنا هذا، فأما ما شهد له شرعنا بالصدق، فلا حاجة بنا إليه؛ استغناءً بما عندنا، وما شَهِدَ له شرعنا منها بالبطلان فذاك مردودٌ لا يجوز حكايته، إلا على سبيل الإنكار والإبطال.

فإذا كان الله -سبحانه وله الحمد- قد أغنانا برسولنا محمد -صلى الله عليه وسلم- عن سائر الشرائع، وبكتابه عن سائر الكتب، فلسنا نترامى على ما بأيديهم مما وقع فيه خبط وخلط، وكَذِبٌ ووضع، وتحريفٌ وتبديل، وبعد ذلك كله نسخٌ وتغيير»(٢).

---

(١) «البداية والنهاية» (١/ ٦).

(٢) «نفسه» (١/ ٦، ٧).

تَعْلِيقُ الْعَلاَّمَةِ أَحْمَد شَاكِر عَلَى كَلاَمِ الحافِظِ ابْنِ كَثِيرٍ وَمَنْ وَافَقَهُ

قال -رحمه الله- في مقدمة «عمدة التفسير»:

«إن إباحة التحدث عنهم -فيما ليس عندنا دليل على صدقه ولا كذبه- شَيءٌ، وَذِكْرُ ذلك في تفسير القرآن -وَجَعْلُهُ قَوْلًا أو رواية في معنى الآيات، أو في تعيين ما لم يُعَيَّن فيها، أو في تفصيلِ ما أُجْمِل فيها- شيءٌ آخر!!

لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله ما يُوهم أن هذا الذي لا نعرف صدقه ولا كذبه مُبَيِّنٌ لمعنى قول الله -سبحانه- ومُفَصِّلٌ لما أُجْمِلَ فيه، وحاشا لله وكتابه من ذلك.

وإن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- -إذ أذن بالتحدث عنهم- أَمَرَنَا أن لا نُصَدِّقَهُمْ ولا نُكَذِّبَهُم، فأيُّ تصديقٍ لرواياتهم وأقاويلهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله، ونضعها منه موضع التفسير أو البيان؟! اللهم غفرًا».

ثم نقل عن الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى- قوله:

«... وفي القرآن غُنْيَةٌ عن كل ما عَدَاهُ من الأخبار المتقدمة؛ لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان، وقد وُضِعَ فيها أشياء كثيرة، وليس لهم من الْحُفَّاظِ المتقنين الذين ينفون عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين؛ كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء، والسادة والأتقياء، والبررة والنجباء، من الجهابذة النقاد، والْحُفَّاظ الجياد، الذين دَوَّنوا الحديث وحرَّروه، وبيَّنوا صحيحه من حسنه من ضعيفه، من منكَره

وموضوعه، ومتروكه ومكذوبه، وعرَّفوا الوضَّاعين، والكذَّابين، والمجهولين، وغير ذلك من أصناف الرجال؛ كل ذلك صيانة للجناب النبوي والمقام المحمدي، خاتَم الرُّسُل، وسيد البشر -صلى الله عليه وسلم- أن يُنْسَبَ إليه كَذِبٌ، أو يُحَدَّثَ عنه بما ليس منه، فرضي الله عنهم وأرضاهم، وجعل جنات الفردوس مأواهم، وقد فعل».

وقال ابن كثير -رحمه الله تعالى- عند تفسير الآيات (٥١-٥٦) من سورة الأنبياء، بعد إشارته إلى حال إبراهيم -عليه السلام- مع أبيه، ونظره إلى الكواكب والمخلوقات: «وما قَصَّهُ كثيرٌ من المفسرين وغيرِهم فعَامَّتُها أحاديثُ بني إسرائيل، فما وافقَ منها الحقَّ مما بأيدينا عن المعصوم قَبِلْنَاهُ؛ لموافقته الصحيح، وما خالف منها شيئًا من ذلك رددناه، وما ليس فيه موافقة ولا مخالفةٌ، لا نصدِّقهُ ولا نكذِّبه، بل نجعله وَقْفًا، وما كان من هذا الضَّرْب منها فقد رخَّص كثير من السلف في روايته، وكثيرٌ من ذلك مما لا فائدة فيه، ولا حاصل له مما يُنْتَفَعُ به في الدِّين، ولو كانت فائدتُهُ تعود على المكلَّفين في دينهم لبيَّنَتْهُ هذه الشريعةُ الكاملةُ الشاملةُ، والذي نَسْلُكُه في هذا التفسير الإعراضَ عن كثير من الأَحاديث الإسرائيلية؛ لما فيها من تضييع الزمان، ولما اشتَمل عليه كثيرٌ منها من الكذب الْمُرَوَّج عليهم؛ فإنهم لا تَفْرِقَةَ عندهم بين صحيحها وسقيمها، كما حَرَّره الأئمة الحُفَّاظُ المتْقِنُون من هذه الأمة».

وقال -أي: ابن كثير- عند تفسير الآية (١٠٢) من سورة البقرة: «وقد رُوي في قصة هاروتَ وماروتَ عن جماعة من التَّابعين؛ كمجاهد، والسُّدي، والحسن البصري، وقتادة، وأبي العالية، والزهري، والرَّبيع بن أنس، ومقاتل بن حيَّان، وغيرهم، وقصَّها خلقٌ من المفسرين؛ من المتقدِّمين

والمتأَخِّرين، وحاصلُها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل؛ إذ ليس فيها حديثٌ مرفوعٌ صحيحٌ متَّصلُ الإسنادِ إلى الصادقِ المصدوقِ المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وظاهرُ سياق القرآن إجمالُ القصة من غير بَسْطٍ ولا إطنابٍ فيها، فنحن نُؤْمِنُ بما ورد في القرآن على ما أراده الله -تعالى- والله أعلم بحقيقة الحال».

وقال -ابن كثير- في أول سورة (ق): «وقد رُوي عن بعض السلف أنهم قالوا: ق جبلٌ مُحيطٌ بجميع الأرض، يقال له جبل قاف!! وكأنَّ هذا -والله أعلم- من خرافاتِ بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعضُ الناس؛ لِمَا رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدَّق ولا يكذَّب، وعندي أن هذا وأمثالَهُ وأشباهَهُ من اختلاقِ بعض زنادقتهم، يُلَبِّسُونَ به على الناس أمرَ دينهم؛ كما افْتُرِي في هذه الأمة -مع جلالة قدر علمائها، وحُفَّاظها، وأئمتها- أحاديثُ على النبي -صلى الله عليه وسلم- وما بالعَهْدِ من قِدَمٍ؛ فكيف بأمةِ بني إسرائيلَ، مع طول المدَى، وقلةِ الحُفَّاظ النُقَّاد فيهم، وشُرْبِهِمُ الخمورَ، وتحريف علمائهم الكلمَ عن مَوَاضِعِه، وتبديلِ كُتُبِ الله وآياتِه، وإنما أباح الشارعُ الروايةَ عنهم في قوله: «**وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ**» فِيمَا قد يُجَوِّزُهُ العقل، فأما فيما تُحِيلُه العقول، ويُحْكَمُ فيه بالبُطلان، ويَغْلُبُ على الظنون كذبُهُ، فليس من هذا القبيل».

وقال أيضًا عند تفسير الآيات (٤١-٤٤) من سورة النمل، وقد ذكر في قصة ملكة سبأ أثرًا طويلًا عن ابن عباس، وَصَفَه بأنه «منكرٌ غريبٌ جدًّا»، ثم قال: «والأقربُ في مثل هذه السياقات أنَّها مُتَلقَّاةٌ عن أهل الكتاب، مما وُجِدَ في صُحُفِهِم، كروايات كَعْب، وَوَهْب، سامحهما الله فيما نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل، من الأوابد، والغرائب،

والعجائب، مما كان، وما لم يكن، ومما حُرِّف، وبُدِّل، ونُسِخَ، وقد أغنانا الله -سبحانه- عن ذلك بما هو أصحُّ منه، وأنفعُ، وأوضحُ، وأبلغُ، ولله الحمْدُ والمنَّة».

وقال عند تفسير الآية (٤٦) من سورة العنكبوت، بعد أن رَوَى الحديث: «**إِذَا حَدَّثَكُم أَهْلُ الكِتَاب فَلا تُصَدِّقُوهُم، ولا تُكَذِّبُوهُم**»، قال: «ثُمَّ ليُعْلَم أنَّ أكثرَ ما يتحدَّثون به غالبُهُ كذبٌ وبهتانٌ؛ لأنه قد دخله تحريفٌ، وتبديلٌ، وتغييرٌ، وتأويلٌ، وما أقلَّ الصدق فيه! ثم ما أقلَّ فائدتَه لو كان صحيحًا!»

وقال عند تفسير الآية (١٩٠) من سورة الأعراف: «ثم أخبارُهم على ثلاثة أقسام: فمنها ما علمنا صحتَهُ، بما دلَّ عليه الدليلُ من كتاب الله أو سنة رسوله، ومنها ما علمنا كذبَه، بما دلَّ على خلافه من الكتاب والسنة -أيضًا-، ومنها ما هو مسكوتٌ عنه، فهو المأذون في روايته، بقوله -عليه السلام-: «**حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ**»، وهو الذي لا يُصدَّقُ ولا يُكذَّب؛ لقوله: «**فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ، وَلَا تُكَذِّبُوهُم**».

وهناك قصةٌ طويلةٌ جدًّا، رواها النسائي في باب التفسير من السنن الكبرى، التي لم نَرَها، وابن أبي حاتم في تفسيره، عن ابن عباس، ويسميها الحافظُ ابن كثير «حديث الفُتُون» ساقه بِطُوله عند تفسير قوله -تعالى-: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾، من الآية (٤٠) من سورة طه، ثم قال: «وهو موقوفٌ من كلام ابن عبَّاس، وليس فيه مرفوعٌ إلَّا قليلٌ منه، وكأنَّهُ تلقَّاه ابن عباس مما أُبيح نقله من الإسرائيليات، عن كعب الأحبار، أو غيره، والله أعلم، وسمعتُ شيخنا أبا الحجاج المِزِّيَّ يقول ذلك أيضًا».

وهذا الحديث -حديث الفُتُون- يشيرُ إليه الحافظ ابن كثير، في مواضعَ متعددةٍ من تفسيره، وقد نفيتُه عن كتابي هذا نَفْيًا، ولم أُشر إليه إلَّا مرةً واحدةً، عند أول مرة أشار إليه ابنُ كثير فيها، عند تفسير الآية (٤٩) من سورة البقرة، ثم أعرضتُ عن الإشارة إليه -إن شاء الله- فلا أُشِيرُ إليه إِلَّا أنْ أُضطَرَّ إلى ذلك اضطرارًا، وأسأل الله التوفيق والتيسير، والهدى والسداد.

ومن أعظَمِ الكَلِم في الدلالة على تنزيه القرآن العظيم عن هذه الأخبار الإسرائيلية؛ كلمةٌ لابن عباس، رواها البخاري في «صحيحه»، ونقلها عنه الحافظُ ابنُ كثير، عند تفسير الآية (٧٩) من سورة البقرة، فقال ابن عباس: «يا معشَرَ المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابُكم الذي أنزل الله على نبيِّهِ أحْدَثُ أخبارِ الله، تقرءونه مَحْضًا لم يُشَبْ! وقد حدَّثكم الله أنَّ أهل الكتابِ قد بَدَّلُوا كتابَ اللهِ وغَيَّرُوه، وكتَبُوا بِأيديهم الكتابَ، وقالوا: هو من عند الله؛ ليشتروا به ثمنًا قليلًا، أفَلَا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مُسَاءَلَتِهِم؟ ولا والله ما رأينا منهم أحدًا قَطُّ سألكم عن الذي أُنزل إليكم».

وهذه الموعظةُ القويةُ الرائعةُ رواها البخاري في ثلاثة مواضِعَ من «صحِيحِه»: [٥ :٢١٥، ١٣ : ٢٨٢، ٤١٤ من فتح الباري][١]. اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى- وهو يناقش حكم النظر في كتب أهل الكتاب: «والذي يظهر أن كراهية ذلك للتنزيه لا للتحريم، والأولى في هذه المسألة التفرقة بين من لم يتمكن ويَصِرْ من الراسخين

(١) «عمدة التفاسير»، (١/ ١٣-١٧)

في الإيمان؛ فلا يجوز له النظر في شيءٍ من ذلك، بخلاف الراسخ؛ فيجوز له ولا سيما عند الاحتياج إلى الرد على المخالف، ويدل على ذلك نقلُ الأئمة قديمًا وحديثًا من التوراة، وإلزامُهُم اليهودَ بالتصديق بمحمد -صلى الله عليه وسلم- بما يستخرجونه من كتابهم، ولولا اعتقادهم جوازَ النظر فيه لما فعلوه، وتواردوا عليه»[(١)] .

وقال علّامة الشام «محمد جمال الدين القاسمي» -رحمه الله تعالى- بعد بحث طويل عن وقوع التبديل في كتب أهل الكتاب: «وبالجملة فكتب الكتابيِّين كأقوالهم، لا يُعتمد عليها كلِّها؛ لظهور الكذب والتناقض فيها إلى اليوم، ولظهور تلفيقها؛ فهي ككتب القصص عندنا، فيها شيء من القرآن والسنة، ولكنه ممزوج بالأكاذيب والآراء المقتبسة من الأمم، ثم إن موافقة القرآن الكريم، أو الحديث الصحيح، لبعض ما في كتبهم دون بعض، تدل على أن الله- تعالى- بَيَّن له حقَّ كلامهم من باطله، وصِدقَه من كَذِبِهِ، وهذا معنى قوله -تعالى-: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨] .

قال بعضهم: «لا شيءَ يُعَوَّلُ عليه في صِحَّةِ بعضِ أقوالِ كُتُبِ اليهود دون بعض بعدما طَرَأَ عليها من الضياع، والتحريف، والخلط، إلا الوحي، وقد ثبتت نبوةُ محمد -صلى الله عليه وسلم- بالدلائل الساطعة، والآثار النافعة». انتهى؛ أي: فَعَلَى وحيه الْمُعَوَّل، فالحمد لله الذي وفقنا لاتباعه»[(٢)] . اهـ.

---

(١) «فتح الباري»، (١٣/ ٥٢٥، ٥٢٦).

(٢) «محاسن التأويل»، (١/ ٥٠).

وبعدُ: فهذه أقسام الإسرائيليات، والموقف الصحيح من كل قسم منها، وعلينا الآن أن نتساءل:

هل المنهج الذي سَلَكَهُ العابثون بأشراط الساعة يعكس التزامهم بالضوابط التي وضعها العلماء في حكاية الإسرائيليات؟ والجواب بالنفي:

أولًا: لأن مِن القوم مَن يروون كل ما يقفون عليه منها بغض النظر عن هذا التقسيم.

ثانيًا: ولأن من يقتصرون على حكاية «القسم الثالث» منها(١) لا يذكرون ذلك استشهادًا وتحلية- على حد تعبير ابن كثير-، وإنما اعتقادًا واستدلالًا واحتجاجًا، بل منهم من يُقْسِمُ على صحة ما فيه، ومنهم من يُعَبِّرُ عن هذه «الإسرائيلياتِ» بالوحي القديمِ(٢).

وثالثًا: لأنهم عامَّتهم -كما يتضح من كتاباتهم- ليسوا من الراسخين الذين يجوز لهم النظر في كتب أهل الكتاب، كما قال الحافظ ابن حجر(٣) -رحمه الله تعالى-؛ ولذلك تأتي أقوالهم -بل أقوال الواحد منهم- متعارضة متضاربة، يكذب بعضها بعضًا، وينقض آخرها أولها.

ورابعًا: أن منهم من يتجاوز الاستشهاد بالإسرائيليات إلى الاستدلال بها، ثم يزيد الطينَ بِلَّة حين يُضِيفُ إلى ذلك الاستدلالَ بتفسيرات

---

(١) راجع ص(١٨٠).
(٢) راجع ص(٨٥).
(٣) تقدم نقله عنه آنفًا (١٩٣-١٩٤).

علمائهم ومفكريهم لها، فإذا كانت هذه الإسرائيليات نفسها محل توقف في كونها وحيًا معصومًا أو لا، فهل هناك توقف أو تردد في أن علماءهم وأحبارهم ومفكريهم غارقون في التيه، والحيرة، والضلال المبين؟

ظَاهِرَةُ (التَّطْبِيعِ) مَعَ الإِسْرَائِيلِيَّاتِ

إن النقل عن أهل الكتاب لم يقف عند الحد المسموح به، وإنما خرج الأمر عن كونه استشهادًا مشروطًا بشروط إلى كونه «ظاهرةً ملحةً متكررةً»، أكسبت الإسرائيليات في نفوس العوام صفة المرجعية، ولأول مرة ترتقي الإسرائيليات -على يد هذه الكوكبة من رواد «التطبيع الفكري مع الإسرائيليات»- إلى مستوى الحجية والمصداقية، وإذا بالقوم يفخرون «بالتهوك»[(١)]، ويمعنون فيه حتى إنه لتؤلف كتب ممحضة للنقل من الإسرائيليات فحسب[(٢)]، مع نبذهم المصادرَ الإسلاميةَ وراءهم ظهريًّا؛ عن أبي عبيدة قال: «من شغل نفسه بغير المهم، أضرَّ بالمهم»، وقال الإمام أحمد: «الاشتغال بهذه الأخبار القديمة يقطع عن العلم الذي فُرضَ علينا طلبُه»[(٣)].

وإذا بالمناظرات الإسلامية النصرانية التي تجرى تحت ظل الهيمنة الثقافية الغربية في ديار الغرب تجوس أشرطتها السمعية والمرئية خلال

---

(١) راجع حديث جابر بن عبد الله، وحديث خالد بن عرفطة، ص(١٨٠، ١٨١).
(٢) كما فعل صاحبا «تاريخ اليهود» في جزأين، «موسى في الأساطير الإسرائيلية»، في ثلاثمائة صفحة، ليس فيها آية قرآنية واحدة، ولا حديث عن المعصوم صلى الله عليه وسلم بل محض نقل من توراة اليهود، وإسرائيلياتهم، فالله المستعان.
(٣) «الجامع» للخطيب (٢/ ١٦٠).

بيوت المسلمين؛ لتمرن قلوبهم على سماع سب الله -عز وجل-، وشتم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، والطعن في كتاب الله -تعالى- والتطاول على دين الحق على لسان شياطينهم، ويُغَضُّ الطرف عن هذه الجرائم بحجة لزوم الإنصاف والعدل بين المتناظرين، مع أن غالب استدلالات المناظر المسلم تحوم حول الإسرائيليات، وقلما يستدلُّ بشيء من القرآن الكريم، أو السنة النبوية(١).

وإذا أنكرت عليهم هذا «الإغراق» في إشاعة الإسرائيليات بادروا بذكر قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **«وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ»**، وبأن العلماء أجازوا حكاية «القسم الثالث» من الإسرائيليات.

---

(١) وإن مما يؤسف له أشد الأسف استمراء هذا الوضع، وعدم إنكاره، لقد قال تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾، الآية: [آل عمران: ١٨٦]، وها نحن -الآن- نسمع الأذى من «بعض المسلمين» الذين يترجمون هذه المحاضرات السمعية البصرية بما فيها من طعن، وسب لدين الإسلام، ويذيعونها في أوساط العوام بغير فقه، ونحن لا ننكر مناظرة أهل الكتاب؛ فإن هذا أحد أساليب الدعوة إلى الله، وإقامة الحجة، ولكن للمناظرة ضوابط، وكلما كانت في دائرة محدودة، كلما كانت أعون على الإقناع؛ كي لا تأخذ المجادلَ العزةُ بالإثم أمام جمهور الحاضرين؛ فيستكبر عن الانصياع للحق، ولا بد أن يتولى المناظرة عن الجانب الإسلامي عالم فقيه بصير يحسن الاستدلال -أولًا، وقبل كل شيء- بأدلة القرآن، والسنة الصحيحة، وأن يكون مؤهلًا ذا خبرة بشبهات القوم؛ لأنه إذا رد ردًا ضعيفًا زادهم فتنة بكفرهم، ثم ينبغي أن تحجب شبهات وطعون المناظر الكافر عن عوام المسلمين؛ خشية أن تفتن قلوبهم بشبهات أعداء الله الذين يجهرون بالسوء من القول، ويحترفون التشويه، والتضليل للصد عن سبيل الله -تعالى-.

نقول: نعم يجوز ذلك، لكن **البياضَ إذا اشتد صار بَرَصًا**، فلماذا نبدأ من حيث انتهى بنا الشرع؟ ونجعل نقطة النهاية نقطة انطلاق إلى الإفراط في الاستدلال بالإسرائيليات، «والتمحور» حول كتبهم الْمُحَرَّفَةِ، الأمر الذي ينعكس سلبًا على ارتباط الناس بالقرآن الكريم، وسنة النبي -صلى الله عليه وسلم- والاعتماد عليهما في المحاججة.

إن من أسلحة «الصهيونية النصرانية» في حربها ضد الإسلام الترويجَ للتأويلات الباطلة لما لديهم من نبوءات، ومن خلال ذلك تمارس حربًا نفسية لتخذيل المسلمين، وتثبيط هممهم(١).

فأين ما نحن فيه الآن من «التطبيع مع الإسرائيليات»، وموقفنا «البارد» تجاهه من سلفنا الصالح الذين كانت الدماء تغلي في عروقِهم إذا رأوا من ينشغل بهذه الكتب عن القرآن الكريم، كتابِ الله المعجزِ المهيمن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟

وما غَرَسَ في قلوبهم تلك الغيرةَ الإيمانيةَ على كتاب الله -عز وجل- إلا هَدْيُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، الذي وَرَدَ عنه أنه كان يغضب أشدَّ الغضب إذا وجد مِن أصحابه مَن يشتغل بكتب أهل الكتاب عن القرآن الكريم؛ فقد روى الإمام أحمد من طريق مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-: «أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه على النبي -صلى الله عليه وسلم-، فغضب، فقال: **«أَمُتَهَوِّكُون فِيهَا يَا بْنَ الخَطَّابِ؟ والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا نَقِيَّةً،**

---

(١) انظر: «خُدعة هرمجدون» للمؤلف، نشر دار بلنسية، الرياض.

لا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ مُوسَى -صلى الله عليه وسلم- **كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**» .

قال الحافظ -رحمه الله تعالى-: «رواه أحمد، وابن أبي شيبة، والبزار، ورجاله موثَّقون، إلا أن في مجالدٍ ضعفًا»(١) . اهـ.

قال الألباني -رحمه الله تعالى-: «لكنَّ الحديثَ قَوِيٌّ؛ فإن له شواهدَ كثيرةً»، ثم ذكر بعضها، ومنها: ما رُوي عن عقبةَ بنِ عامرٍ -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لَوْ كَانَ فِيكُم مُوسَى واتَّبَعْتُمُوه وَعَصَيتُمُونِي؛ لَدَخَلْتُمُ النَّارَ**».

ومنها: ما رُوِيَ عن خالد بن عرفطةَ قال:

«كنت جالسًا عند عمرَ -رضي الله عنه-؛ إذ أُتِيَ برجل من عبد القيس سَكَنُهُ بالسوس، فقال له عمر: أنت فُلان بن فلان العبدي؟ قال: نعم، قال: وأنت النازلُ بالسوس؟ قال: نعم، فضربَهُ بعصَاةٍ معه، فقال: ما لي يا أمير المؤمنين؟! فقال له عمر: اجلس، فجلس، فقرأ عليه: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ . . . الآية، فقرأها عليه ثلاثًا، وضربه ثلاثًا، فقال الرجل: ما لي يا أمير المؤمنين؟!

فقال: أنت الذي نسخت كتاب «دانيال»؟! فقال: مُرْنِي بأمرك أَتَّبِعْهُ، قال: انطلق فامْحُهُ بالحميم، والصوف الأبيض، ثم لا تقرأه، ولا تُقْرِئْهُ

---

(١) «فتح الباري» (١٣/ ٣٣٤).

أحدًا من الناس، فلئن بلغني عنك أنك قرأته، أو أقرأته أحدًا من النَّاس، لَأُنْهِكَنَّكَ عقوبةً، ثم قال له: اجلس، فجلس بين يديه، فقال: انطلقتُ أنا فانتسختُ كتابًا من أَهل الكتاب، ثم جئت به في أَديم، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**مَا هَذَا فِي يَدِكَ يَا عُمَرُ؟**» قال: قُلت: يا رسولَ الله، كتابٌ نسختُهُ لِنَزْدَادَ به علمًا إلى علمنا، فغضب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى احمرت وجنتاه، ثم نُودِيَ بـ(الصَّلاةُ جَامِعَةٌ)، فقالت الأَنصار: أَغَضِب نبيُّكم؟ هَلُمَّ السلاحَ السلاحَ، فجاءوا حتى أحدقوا بِمِنْبَرِ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال -صلى الله عليه وسلم-: «**يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَخَوَاتِيمَهُ، وَاخْتُصِرَ لِيَ اخْتِصَارًا، وَلَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، وَلَا تتَهَوَّكُوا، وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ الْمُتَهَوِّكُونَ**»، قال عمرُ: فقمتُ، فقُلتُ: رضِيتُ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبك رسولًا، ثم نَزَلَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-».

ومنها: ما رُوِيَ عن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: «جاء عمرُ بجوامِعَ من التوراةِ إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-» ... الحديثَ، نحوَ روايةِ جابرٍ باختصارٍ، وفيه: «**والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيدِهِ لَو كَانَ مُوسَى بَيْنَ أَظْهُركُم، ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وَتَركْتُمُونِي، لَضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا، أَنْتُمْ حَظِّي مِنَ الأُمَمِ، وَأَنَا حَظُّكُمْ مِنَ النَّبِيينَ**».

ومنها: ما رُوِيَ عن حفصةَ -رضي الله عنها- أنها: «جاءت إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- بكتاب من قَصَص يوسفَ في كِتْفٍ[1]، فجعلت

---

(١) الكِتْفُ: كل وعاءٍ مثل العَيْبَة لحفظ الشيء، وكِتْفُ الراعي والصانع والتاجر: ما يحفظ فيه متاعه وأَسْقَاطَه.

تقرأ عليه، والنبي -صلى الله عليه وسلم- يتلون وجهه، فقال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَو أَتَاكُم يُوسُفُ وَأَنَا مَعَكُم، فَاتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي؛ ضَلَلْتُمْ**».

ثم قال الألباني -عليه رحمة الله- بعد أن بَيَّنَ ضعفَ عامَّةِ هذه الشواهِد: «وجملة القول: إن مجيء الحديث في هذه الطرق المتباينة، والألفاظ المتقاربة، لَمِمَّا يدل على أن مجالد بن سعيد قد حَفِظَ الحديث، فهو على أقل تقدير حديثٌ حسنٌ، والله أعلم»[(١)].

ذَمُّ السَّلَفِ مَنِ انْكَبَّ عَلَى كُتُبِ «أَخْبَارِ الْأَوَائِلِ»

روى الخطيب بسنده عن ابن أبي أُوَيْس قال: سمعت خالي مالكَ بن أنس، وسَأَلَهُ رجلٌ عَنْ زَبُورِ داودَ، فقال له مالكٌ: «ما أَجْهَلَكَ! مَا أَفْرَغَكَ! أما لَنَا في نافع، عن ابن عُمَرَ عن نبينا -صلى الله عليه وسلم- ما شَغلنا بصحيحه عما بيننا وبين داود -عليه السلام-؟»[(٢)].

وعن صدقة بن يسار سمع عمرو بن ميمون يقول: «كنا جلوسًا في مسجد الكوفة، وذاك أولَ ما نُزِلَ[(٣)]، فأقبل مِنْ نحو الجسر رجلٌ معه كتابٌ، قلنا: ما هذا؟ قال: هذا كتابٌ، قلنا: وما كتابٌ؟ قال: كتابُ «دانيال»، فلولا أن القوم تحاجزوا لقتلوه، وقالوا: كتاب سوى القرآن؟ أكتاب سوى القرآن؟»[(٤)].

---

(١) «إرواء الغليل»، (٦/ ٣٤-٣٨).

(٢) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»، (٢/ ١٦١).

(٣) أي: أول ما افتُتِح المسجد للصلاة، والوعظ، وما أشبه ذلك.

(٤) «الجامع»، (٢/ ١٦٢).

اللهُ أكبرُ إنَّ دينَ محمدٍ وكـتابَه أقوى وأقومُ قِيلا
لا تذكروا الكتبَ السوالفَ عنده طلع الصباحُ فأطفأ القِنديلا

وصدق القائل: نور الصباح يُغني عن المصباح.

وقال الخطيبُ البغدادي -رحمه الله تعالى-: «ويترك المنْتَخِب -أيضًا- الاشتغالَ بأخبار الأوائلِ؛ مثل كتاب «المبتدأ» ونحوه؛ فإنَّ الشُغْلَ بذلك غيرُ نافعٍ، وهو عن التَّوَفُّرِ على ما هو أولى قاطع»(١)، ثم أُسنِدَ عن الإمام أحمد قوله: «الاشتغال بهذه الأخبار القديمة يقطع عن العلم الذي فُرِضَ علينا طلبه»(٢)، ثم قال: «ونَظِيرُ ما ذكرناهُ آنفًا أحاديثُ الملاحِمِ، وما يكون من الحوادِثِ؛ فإنَّ أكثرها موضوع، وجُلَّها مصنوع، كالكتاب المنسوب إلى «دانيال»، والخُطب المروية عن علي بن أبي طالب»(٣).

وأخرج الخطيب في «الجامع»: «أن عُمَرَ -رضي الله عنه- بلغه أن رجلًا كتب «كتاب دانيال»، قال: فكتب إليه يرتفع إليه، قال: فلما قدم عليه جعل عُمَرُ يضرب بَطنَ كفِّه بيده، ويقول: ﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۞ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾؛ فقال عمر: أَقَصصٌ أحسن من كتاب ربنا؟! فقال: يا أمير المؤمنين، أَعْفِنِي؛ فوالله لأَمْحُوَنَّهُ»(٤).

---

(١) «نفسه»، (٢/ ١٦٠).

(٢) «نفسه»، (٢/ ١٦١).

(٣) «نفسه»، (٢/ ١٦١).

(٤) «نفسه»، (٢/ ١٦١-١٦٢).

وقال الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري -رحمه الله تعالى-: (وفي حديث ابن عمرٍو: «من أشراط الساعة أن يُقرأ فيما بينهم بالَمْثناة، ليس أحد يُغَيِّرها»، قيل: وما المَثْناة؟ قال: «ما استُكْتِبَ من غير كتاب الله تعالى»[(١)]، وقيل: إن المثناة هي أن أحبار بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام وضعوا كتابًا فيما بينهم على ما أرادوا من غير كتاب الله، فهو المثناة، فكأن ابن عمرٍو كره الأخذ عن أهل الكتاب، وقد كانت عنده كُتُب وقعت إليه يوم اليرموك منهم، فقال هذا لمعرفته بما فيها) اهـ[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- ما معناه:

(وقد انتفع عُمَرُ -رضي الله عنه- في هذا بما وقع منه حين رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- بيده شيئًا من التوراة، فقال: «**لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوه وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ**»، وفي رواية: «**مَا وَسِعَه إلا اتِّبَاعِي**»، وفي لفظ: «فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لَمَّا عَرَضَ عليه عمر ذلك، فقال له بعضُ الأنصارِ: يا بنَ الخطَّابِ، ألا ترى إلى وجه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ فقال عمر: رَضِيْنَا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ نبيًّا»؛ ولهذا كان الصحابةُ يَنهون عن اتباع كتبِ غيرِ القرآن)[(٣)].

---

(١) عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من اقتراب -وفي رواية: أشراط- الساعة أن ترفع الأشرار، وتوضعَ الأخيار، ويُفتح القول، ويُخزن العمل، ويُقرأ بالقوم المَثْناةُ، ليس فيهم أحد ينكرها، قيل: وما المثناة؟ قال ما اسْتُكتب سوى كتاب الله -عز وجل-» رواه الحاكم (٤/٥٥٤)، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح» اهـ. من «المجمع» (٧/٣٢٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٨٢١).

(٢) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (١/ ٢٢٥-٢٢٦).

(٣) «مجموع الفتاوى»، (١٧/ ٤١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- أيضًا:

«. . . ولما كان القرآن أحسن الكلام؛ نُهُوا عن اتباع ما سواه؛ قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١]، إلى أن قال -رحمه الله تعالى-: «وروى ابن أبي حاتم، حَدَّثَنا أبي، حَدَّثَنا إسماعيلُ بْنُ خليلٍ، حَدَّثَنا عَليُّ بن مسهر، حَدَّثَنا عبد الرحمن بن إسحاق، عن خليفة بن قيس، عن خالد بن عرفطةَ، قال: كنت عند عمرَ بن الخطَّاب -رضي الله عنه- إذ أُتِيَ برجلٍ من عبد القيس مَسْكَنُهُ بالسوس، فقال له عمر: «أنت فلانُ بن فلانٍ العبدي؟» قال: نعم، قال: «وأنت النازلُ بالسوسِ؟» قال: نعم، فَضَربَهُ بقناة معه، فقال له: ما ذنبي؟ قال: فَقَرَأَ عليه: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾ فقرأها عليه ثلاث مرات، وضربه ثلاث ضربات، ثم قال له عمر: «أنت الذي انتسخت كتاب دانيال؟» قال: نعم، قال: «اذهب فامحُهُ بالحميم، والصوف الأبيض، ولا تقرأه، ولا تُقْرِئْهُ أَحَدًا من الناس».

فقرأ عليه عُمَرُ هذه الآية ليبين له أن القرآن أحسن القصص؛ فلا يُحتاج معه إلى غيره، وهذا يدل على أن القصصَ عَامٌّ لا يختصُّ بسورة يوسف، ويدل على أنهم كانوا يعلمون أن القرآنَ أفضل من كتاب «دانيال»، ونحوه من كتب الأنبياء، وكذلك مثل هذه القصة مأثورة عن ابن مسعود -رضي الله عنه- لَمَّا أُتِيَ بما كُتِبَ من الكُتُبِ مَحَاهُ، وذَكَرَ فضيلةَ القرآنِ كما فعل عُمَرُ -رضي الله عنه-، ثم شَرَعَ -رحمه الله تعالى- في بيان معنى كون القرآن المجيد مهيمنًا على الكتب السابقة إلى أن قال:

«ولهذا لم تَحْتَجِ الأمة مع رسولها وكتابها إلى نبي آخر، وكتاب آخر، فضلًا عن أن تحتاج إلى شيء لا يستقل بنفسه عن غيره، سواء كان من علم المحدَّثين والملهمين، أو من علم أرباب النظر والقياس الذين لا يعتصمون مع ذلك بكتابٍ مُنَزَّلٍ من السماء»(١).

ونقل القرطبيُّ في «التذكرة» عن الحافظ أبي الْخَطَّاب بن دحية أنه قال عن «دانيال»: «نبيٌّ من أنبياء بني إسرائيل، كَلَامه عبراني، وهو على شريعة موسى بن عمران، وكان قبل عيسى ابن مريم بزمان، ومن أسند مثل هذا إلى نبي عن غير ثقة أو توقيف من نبينا -صلى الله عليه وسلم-؛ فقد سقطت عدالته، إلى أن يُبين وضعه، لتصح أمانته، وقد ذكر في هذا الكتاب من الملاحم، وما كان من الحوادث، وسيكون، وجمع فيه التنافي والتناقض بين الضب والنون، وأغرب فيما أعرب في روايته عن ضرب من الهوس والجنون، وفيه من الموضوعات ما يُكَذِّبُ آخِرُهَا أَوَّلَهَا، ويتعذر على المتأول لها تأويلُها، وما يتعلق به جماعة الزنادقة، من تكذيب الصادق المصدوق محمد -صلى الله عليه وسلم- أن في سنة ثلاثمائة يظهر الدجَّال من يهودية أصبهان، وقد طعنَّا في أوائل سبعمائة في هذا الزمان، وذلك شيء ما وقع ولا كان، ومن الموضوع فيه المصنوع، والتهافت الموضوع، الحديث الطويل الذي استفتح به كِتَابَهُ، فهلا اتقى الله! وَخَافَ عِقَابَهُ! وإِنَّ من أفضح فضيحة في الدين نقلَ مثل هذه الإسرائيليات عن المتهودين؛ فإنه لا طريق فيما ذُكِرَ عن دانيال إلا عنهم، ولا رواية تُؤْخَذُ في ذلك إلا منهم»(٢).

---

(١) «نفسه»، (١٧/ ٤١-٤٦) باختصار.

(٢) «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة»، (٧١٦-٧١٧).

وروى الخطيب بسنده إلى يحيى بن معين، قال: «كان أبو اليمان يقول لنا: «الحقوا ألواحًا، فإنه يَجيءُ هاهنا الآن خليفة بسَلَمْيَةَ[١]، فيتزوج ابنة هذا القرشي الذي عندنا، ويُفْتَحُ بَابٌ هاهنا، وتكونُ فتنةٌ عظيمة، قال أبو زكريا: فما كان من هذا شيء، وكان كله باطل[٢]، قال أبو زكريا: وهذه الأحاديث كلها التي يحدثون بها في الفتن وفي الخلفاء، تكون كلها كذب[٣] وريح، لا يعلم هذا أحد إلا بوحي من السماء».

ثم أسند إلى أحمد بن حنبل قوله: «ثلاثةُ كتب ليس لها أصول:[٤] المغازي، والملاحم، والتفسير»[٥].

ثم قال: «وهذا الكلام محمولٌ على وجه، وهو أن المرادَ به كتبٌ مخصوصةٌ في هذه المعاني الثلاثة غير مُعْتَمَدٍ عليها، ولا مَوْثُوقٍ

---

(١) سَلَمْية: بلد بالشام، شرقي مدينة حماة.

(٢) كذا بالأصل، والصواب النصب.

(٣) كذا بالأصل، والصواب النصب.

(٤) أي: أسانيد؛ لأن الغالب عليها المراسيل، وانظر: «مقدمة في أصول التفسير»، ص(٢٠-٢٢).

(٥) انظر: «الرد على البكري»، لشيخ الإسلام، ص (١٧، ١٨)، وقال الحافظ ابن حجر معلِّقًا على العبارة المذكورة: «قلتُ: وينبغي أن يضاف إليها الفضائل، فهذه أودية الأحاديث الضعيفة والموضوعة، إذ كانت العمدة في المغازي، على مثل الواقدي، وفي التفسير على مثل مقاتل والكلبي، وفي الملاحم على الإسرائيليات، وأما الفضائل؛ فلا يُحصى كم وضع الرافضة في فضل أهل البيت، وعارضهم جهلة أهل السنة بفضائل معاوية، بل وبفضائل الشيخين، وقد أغناهما الله وأعلى مرتبتهما عنها». اهـ. من «لسان الميزان» (١/ ٩٢).

بصحتها؛ لسوء أحوال مصنفيها، وعدم عدالة ناقليها، وزيادات الْقُصَّاصِ فيها».

ثم قال: «فأما كتب الملاحم، فجميعها بهذه الصفة، وليس يصح في ذكر الملاحم المرتقبة والفتن المنتظرة غير أحاديث يسيرة اتَّصلت أسانيدها إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- من وجوه مرضيَّة، وطرق واضحة جليَّة»[١].

(١) «الجامع»، (١/ ١٦٢، ١٦٣).

المطلب الرابع

حُرُوفُ أَبِي جَادٍ، وَالاستِدْلَالُ بِهَا عَلَى الْمُغَيَّبَاتِ(١)

أربابُ هذه الطريقة يزعمون أن لهذه الحروف علاقةً ورابطةً قويَّةً بحياة الإنسان ومستقبله، وبالكون وما يحدث فيه من الحوادث؛ ويزعمون أنهم يعرفون حوادث هذا العالم من هذه الحروف، وطريقتهم في ذلك أنهم يكتبون حروف أبي جاد، ويجعلون لكل حرف منها قدرًا من العدد معلومًا عندهم، ويُجرون على ذلك أسماء الآدميين، والأزمنة، والأمكنة، وغيرها، ثم يُجرون على هذه الأعداد عملية حسابية من جمع وطرح بطريقة ما، وينسب العدد الباقي من هذه العملية إلى الأبراج الاثني عشر، ثم يقضون بالسعود والنحوس، وبأوقات الحوادث والملاحم، وبمدد الملك وأعمار الناس، إلى آخر ذلك من أمور الغيب، على وفق ما أصَّله لهم أسلافُهم، وأملاه عليهم شيطانُهم، ومن ذلك ما فعله يعقوب بن إسحاق الكندي، الذي عمل تسييرًا لهذه الأمة، وزعم أنها تنقضي عام ثلاثة وتسعين وسبعمائة، وزعم بعض أتباعه أنه استخرج ذلك من حساب الْجُمَّل الذي للحروف التي في أوائل السور(٢).

---

(١) انظر: كتاب «التنجيم والمنجمون»، للدكتور/ عبد المجيد بن سالم المشعبي، ص (٣١١-٣١٨).

(٢) انظر: «الفتاوى الكبرى»، (١/ ٣٣٦).

قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى-:

«فلهذا تجد عامة مَن في دينه فساد يدخل في الأكاذيب الكونية، مثل أهل الاتحاد، فإن ابن عربي -في كتاب «عنقاء مُغْرِب» وغيرِه- أخبر بمستقبلات كثيرة عامتها كذب، وكذلك ابن سبعين، وكذلك الذين استخرجوا مدة بقاء هذه الأمة من حساب الجُمَّل من حروف المعجم الذي ورثوه من اليهود، ومن حركات الكواكب الذي ورثوه من الصابئة، كما فعل أبو نصر الكندي، وغيُره من الفلاسفة، وكما فعل بعضُ من تكلم في تفسير القرآن من أصحاب الرازي، ومن تكلم في تأويل وقائع النساك من المائلين إلى التشيع.

وقد رأيت من أتباع هؤلاء طوائفَ يدَّعون أن هذه الأمور من الأسرار المخزونة والعلوم المصونة، وخاطبت في ذلك طوائف منهم، وكنت أحلف لهم أن هذا كذب مفترى، وأنه لا يجري من هذه الأمور شيءٌ، وطلبت مباهلة بعضهم؛ لأن ذلك كان متعلقًا بأصول الدين»[١] . اهـ.

ويدخل ضمن هذه الصناعة ما يسميه الرافضة بعلم أسرار الحروف، وأهم مؤلف فيه عندهم كتاب الجفر، المنسوب كذبًا وبهتانًا إلى جعفر الصادق -رحمه الله تعالى-، ونسبته إليه كَذِبٌ عليه باتفاق أهل العلم به[٢] ،

---

(١) «نفس المرجع» (٤/ ٨١، ٨٢).

(٢) وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: «ونحن نعلم من أحوال أمتنا أنه قد أضيف إلى جعفر الصادق -وليس هو بنبي من الأنبياء- من جنس هذه الأمور -أي علم النجوم- ما يعلم كل عالم بحال جعفر -رضي الله عنه- أن ذلك كذب عليه؛ فإن الكذب عليه من أعظم الكذب، حتى أنهم قد نسبوا إليه أحكام الحركات السفلية، =

إذ إن واضع هذا الكتاب هو هارون بن سعيد العجلي[(١)]، وهو رأس الزيدية، وكان له كتاب يزعم أنه يرويه عن جعفر الصادق، وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم، ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص، وقع ذلك لجعفر الصادق ونظائره عن طريق الكشف والكرامة كما يزعمون، ويزعمون أنه كان مكتوبًا عند جعفر في جلد جفر صغير، فرواه عنه هارون العجلي وكتبه، وسماه الجفر، باسم الجلد الذي كُتِبَ فيه، وصار هذا الاسم علمًا على هذا الكتاب عندهم.

وهذا الكتاب لم تتصل روايته، ولا عُرِفَ عينه، وإنما تَظْهَرُ منه شواذُّ من الكلمات التي لا يصحبها دليل[(٢)]، ويزعمون أن هذا الكتاب مشتمل على حوادث الأزمان على مر العصور، عُرِفَتْ عن طريق علم الحروف المتعلق بآثار النجوم[(٣)].

= والعلماء يعلمون أنه بريء من ذلك كله». اهـ. من «الفتاوى الكبرى»، (١/ ٣٣٢)، بل قد أورد بعضهم عنه -أي: جعفر الصادق- أنه سُئل عن النجوم؛ فقال: «هو علم قلَّت منافعه، وكثرت مضراته؛ لأنه لا يدفع به المقدور، ولا يُتقى به المحذور، وإن أخبر المنجم بالبلاء، لم ينجه التحرز من القضاء، وإن أخبرهم بخبر لم يستطع تعجيله، وإن حدث به سوء لم يمكنه صرفه، والمنجم ينازع الله في علمه بزعمه أنه يرد قضاء الله عن خلقه». اهـ. من «مرآة العقول» (٤/ ٤٦٢).

(١) هو هارون بن سعيد العجلي، ويقال: الجعفي، الكوفي الأعور، كان من غلاة الرافضة، توفي سنة خمس وأربعين ومائة.
انظر: «الجرح والتعديل»، (٩/ ٩٠)، و«ميزان الاعتدال»، (٤/ ٢٨٤)، و«تهذيب التهذيب»، (١١/ ٦)

(٢) انظر: «مقدمة ابن خلدون»، ص(٣٣٤).

(٣) انظر: «نفس المصدر».

ومما يتشبثون به لتعضيد هذا المعتقد عندهم ما رواه الكليني عن أبي عبد الله جعفر الصادق أنه قال: «وإن عندنا الجفرَ، وما يدريهم ما الجفرُ؟ فقيل له: ما الجفرُ؟ قال: وِعَاءٌ من أَدَمٍ فيه علم النبيين والوَصِيِّينَ، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل»[(١)].

وما رواه -أيضًا- أن أبا عبد الله سُئِلَ عن الجفر، فقال: «هو جلد ثورٍ[(٢)] مملوء علمًا»[(٣)]، وتارة يذكرون أن هذا العلم مأثور عن آدَمَ -عليه السلام-؛ فقد نقل عن اليزيدي الحائري عن كتاب الينابيع: «أما آدَمُ -عليه السلام- فهو نبيٌّ مرسل خلقه الله -تعالى- بيده، ونفخ فيه من روحه، فأنزل عليه عَشْرَ صحائفَ، وهو أول من تكلم في علم الحروف، وله كتاب سفر الخفايا، وهو أول كتاب كان في الدنيا في علم الحروف، ثم ذكر أن آدم -عليه السلام- وَرَّثَهُ لأبنائه من بعده، وأبناؤه وَرَّثوهُ لمن بعدهم»، وهكذا إلى أن قال: «ثم وَرِثَ هذا العلمَ عن أبيه جعفر الصادقُ، وهو الذي حَلَّ مَعَاقِدَ رموزه، وفك طلاسم كنوزه».

ثم ذكر أن له كتابَ الجفرِ الأكبر، والجفر الأصغر، وأن الجفرَ الأكبرَ إشارة إلى المصادر الوفقية التي هي من أ، ب، ت، ث، ... إلى آخرها، وأنها أَلفُ وفق، وأن الجفر الأصغر إشارة إلى المصادر الوفقية التي هي مركبة من أبجد إلى قرشت، وهي سبعمائة وفق[(٤)].

---

(١) «الأصول من الكافي»، (١/ ١٨٦).

(٢) هذا مخالف لأصل التسمية؛ إذ إن الجفر ولد الماعز، لا الثور، انظر: «الصحاح»، (٢/ ٦١٥).

(٣) «الأصول من الكافي»، (١/ ١٨٧).

(٤) انظر «إلزام الناصب»، (١/ ٢٣٢-٢٣٥)، «رسالة شريفة» للصنعاني ص(٢٠-٢٨).

وهذا كلُّهُ من أكاذيب الرافضةِ على آل بيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وهذا الكتابُ كما ذكرتُ آنفًا نُسبَ كَذِبًا إلى جعفَر الصادق -رحمه الله تعالى- وليس لهم برهان على إثباته سوى القول المجرد عن الدليل، بل قد نفى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أن يكون هو وذريته مخصوصين بشيء من الوحي دون الناس، وذلك فيما رواه البخاري -رحمه الله تعالى-: «أنه قيل لعلي -رضي الله عنه- هل عندكم شيء من الوحي، إلا ما في كتاب الله؟ قال: لا، والذي فلق الحبة، وبرأ [(١)] النسمة ما أعلمه، إلا فَهْمًا يعطيه الله رجلًا في القرآن، وما في هذه الصحيفة، قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل [(٢)]، وفكاك الأسير، وأن لا يُقْتَلَ مسلمٌ بكافر» [(٣)]

أما نسبة هذا العلم إلى آدَمَ -عليه السلام- فليست صحيحة، إذ إن كل ما رُوي في ذلك عن آدَمَ -عليه السلام- من أنه كان عالمًا بحروف أبي جاد، وأن الله أنزلها عليه، فقد نُقِلَتْ عن أخبار إسرائيلية، لا يُوثَقُ بها، وقد أجمع المسلمون على أن ما روي عن بني إسرائيل في الأنبياء المتقدمين لا يُجْعَلُ عُمدَةً في ديننا، ولا يجوز التصديقُ بصحتها إلا بحجة صحيحة واضحة [(٤)]، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة: «**لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ، وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ**، و﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾...» [(٥)].

---

(١) أي: خلق، انظر: «الصحاح»، (١/ ٣٦).
(٢) العقل: الدية، «النهاية في غريب الحديث»، (٣/ ٢٧٨).
(٣) أخرجه البخاري، (١٦٠٤)، كتاب الجهاد والسير.
(٤) انظر: «مجموع الرسائل والمسائل» (١/ ٣٨٣).
(٥) أخرجه البخاري، (٩/ ٢٨٠)، كتاب التوحيد.

وما رواه البخاري أيضًا- عن ابن عَبَّاس -رضي الله عنهما- قال: **«يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عن شيء، وَكِتَابُكُم الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أَحْدَثُ الْأَخْبَارِ بِاللهِ؟! تَقْرَءُونَهُ مَحْضًا، لَمْ يُشَبْ، وَقَدْ حَدَّثَكُمْ اللَّهُ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ بَدَّلُوا كتاب اللَّهُ، وَغَيَّرُوه، وكتبوا بِأَيْدِيهِم الْكِتَابَ، وَقَالُوا: هذا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، أَفَلَا يَنْهَاكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِن العِلمِ عَن مُسَاءَلَتِهِمْ؟ وَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلًا قَطُّ يَسْأَلُكُمْ عَن الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ»**[١].

وبهذا يتبين أن ما ذُكِرَ عن آدمَ عليه السلام من ذلك لا يجوز تصديقه، وكذلك ما روي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحث على تعلم أبي جاد، وتعلم تفسيرها، لا يصح أيضًا؛ وذلك لأن هذا الحديث رُوِيَ من طريقين كلاهما لا يَصِحُّ عن النبي -صلى الله عليه وسلم-:

أولهما: ما ذكره ابن تيمية -رحمه الله تعالى- أن أبا بكر النَّقَّاش[٢] رواه في تفسيره، وغيره من المفسرين، كما ذكره ابن جرير الطبري في آخر تفسيره، ورد عليه، فذكر أن أبا بكر النَّقَّاش روى بسنده من طريق

---

(١) انظر تخريجه ص(١٧٩).

(٢) هو محمد بن الحسين بن محمد بن زياد بن هارون، أبو بكر النقاش، عالم بالقرآن وتفسيره، توفي سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة، قال الخطيب البغدادي: «في أحاديثه مناكير بأسانيد مشهورة»، وقال أبو القاسم اللالكائي: «تفسير النقاش إشقاء الصدور، وليس بشفاء الصدور»، وقال البرقاني: «كل حديث النقاش منكر»، وقال الذهبي: «فيه ضعف».

انظر: «تاريخ بغداد»، (٢/ ٢٠١)، و«ميزان الاعتدال»، (٣/ ٥٢٠)، و«لسان الميزان»، (٥/ ١٣٢).

محمد بن زياد الجزري[١]، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**تعلموا أبا جاد وتفسيرها، ويل لعالم جهل تفسير أبي جاد . . .**».

وذكر ابن تيمية -رحمه الله تعالى- أن ابن جرير الطبري -رحمه الله تعالى- قال بعد إيراد هذا الحديث: «لو كانت الأخبار التي رُوِيَتْ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في ذلك صِحَاحَ الأسانيد، لم يُعدل عن القول بها إلى غيرها، ولكنها واهية الأسانيد، غير جائز الاحتجاج بمثلها، وذلك أن محمد بن زياد الجزري غير موثوق بنقله».

وقال ابن تيمية -رحمه الله تعالى- بعد ذلك: «الحديث فيه فرات بن السائب، وهو ضعيف لا يُحْتَجُّ به، وهو فُرَاتُ بن أبي الفرات[٢]، ومحمد بن زياد الجزري ضعيف أيضًا»[٣].

أما الطريق الثاني: فقد رواه الصدوق القمي الرافضي بسنده عن الأصبغ بن نُبَاتَةَ[٤]، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «تعلموا تفسير أبجد؛ فإن فيه الأعاجيبَ كلها، ويل لعالم جهل تفسيره . . .»[٥].

---

(١) انظر: «كتاب الضعفاء الصغير»، رقم (٣١٧)، و«الضعفاء»، لأبي زُرعة، (٢/ ٤٤٧)، و«تهذيب التهذيب»، (٩/ ١٧٠)، و«التقريب»، (٥٨٩٠).

(٢) انظر: «الجرح والتعديل»، (٧/ ٨٠)، و«ميزان الاعتدال»، (٣/ ٣٤٣)، و«لسان الميزان»، (٤/ ٤٣٢).

(٣) انظر: «مجموعة الرسائل والمسائل»، (١/ ٣٨٤-٣٨٦).

(٤) هو الأصبغ بن نُبَاتَةَ الحنظلي المجاشعي الكوفي، قال النسائي: «متروك الحديث»، وقال ابن معين: «ليس بشيء»، وقال عنه -أيضًا-: «ليس بثقة»، وقال ابن حمدان: «متروك»، وقال أبو بكر بن عياش: «كذاب»، وقال ابن عدي: «بيِّنُ الضعف»، وقال ابن سعد: «كان شيعيًّا، وكان يضعف في روايته».

انظر: «الضعفاء والمتروكين»، للنسائي، ص١٥٦، و«الجرح والتعديل»، (٢/ ٣١٩)، و«ميزان الاعتدال»، (١/ ٢٧١)، و«تهذيب التهذيب»، (١/ ٣٦٢).

(٥) «التوحيد»، لابن بابويه القمي، ص(٢٣٧).

والأصبغ بن نُباتة لا يُحتَجُّ بروايته.

وقد ورد أن هذه الصناعةَ مأثورةٌ عن فلاسفة اليونان الصابئة الذين يعبدون الأوثان، فقد جعل أرسطو في آخر كتاب «السياسة» فصلًا في حساب الجُمَّل، وادعى أنه يعرف بها الغالب من المغلوب، ونحو ذلك من أمور الغيب[١].

والذي ينبغي أن يُعْلَمَ في هذا الموضع أن هذه الحروفَ ليست أسماء لمسميات، ولا علاقةَ لها بمستقبل الإنسان ولا بحياته، وإنما أُلِّفَتْ لِيُعْرَفَ تأليف الأسماء من حروف المعجم، بعد معرفة حروف المعجم، ثم إن كثيرًا من أهل الحساب صاروا يجعلونها علامات على مراتب العدد، فيجعلون الألِف واحدًا، والباء اثنين، والجيم ثلاثة ... وهكذا، ثم أخذ هؤلاء هذا الاصطلاح، ولفقوا عليه الأباطيل وادَّعوا أَنَّهُ علم، وأن به تُعْرَفُ الأمورُ الغيبية، وربطوه بالتنجيم؛ لخفاء بطلان التنجيم على كثير من الناسِ، والعلم لا يُؤْخَذُ عن مثل هذه النظريات الفاسدة، ولا من هذه العقليات الجاهلية الباطلة، بل لابد فيه من عقل مُصَدَّقٍ، ونقل مُحَقَّقٍ[٢]، وهذا الذي يزعمون ما هو إلا ادعاء علم استأثر الله به، وهذا بلا شك من أعظم الشرك في الربوبية، ومن صَدَّقَ به، واعتقد فيه كفر -والعياذ بالله[٣]-؛ كما قال ابن عباس -رضي الله

(١) انظر: «مقدمة ابن خلدون»، ص(١١٤).

(٢) انظر: «مجموعة المسائل»، (١/ ٣٨٦-٣٨٧).

(٣) انظر: «معارج القبول»، (١/ ٣٢٦)، و«كفر من ادعى علم الغيب» لمؤلفه أبي هارون عيسى بن يحيى، نشر مكتبة الصحابة - جدة - ١٤١٥هـ.

عنهما- مُنْكِرًا على الذين يتخذون هذه الصناعة: «إن قومًا يحسبون أبا جاد، وينظرون في النجوم، ولا أرى لمن فعل ذلك من خلاق»[(١)].

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى-: «وقد ثبت عن ابن عباس -رضي الله عنهما- الزجر عن عدِّ أبي جاد، والإشارة إلى أن ذلك من جملة السحر، وليس ذلك ببعيد؛ فإنه لا أصل له في الشريعة»[(٢)].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن مُحَمَّد بن عبد الوهاب -رحمهما الله تعالى-: «وكتابة أبي جاد، وتعلمها لمن يدعي بها علم الغيب، هو الذي يسمى علم الحرف، وهو الذي فيه الوعيد، فأما تعلمها للتهجي وحساب الجُمل، فلا بأس به»[(٣)]. اهـ.

---

(١) أخرجه عبد الرازق في «المصنف»، (١١/ ٢٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف»، (٥/ ٢٤٠)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق»، ص(٣٠٩)، رقم (٧٧٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى»، (٨/ ١٣٩)، ورواه الطبراني في «المعجم الكبير»، (١٠٩٨٠) مرفوعًا، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» «وفيه خالد بن يزيد العمري، وهو كذاب»، (٥/ ١١٧).

(٢) «فتح الباري» (١١/ ٣٥١).

(٣) «فتح المجيد»، (٢/ ٤٩٧)، وانظر: «الدين الخالص»، (٢/ ٣٤٠).

وقول الشيخ رحمه الله: «فأما تعلمها للتهجي وحساب الجُمَّل، فلا بأس به»؛ يقصد به استعماله في التأريخ للمعارك والوفيات والأبنية ونحو ذلك كما شاع عند بعض المسلمين، حيث إن لكل حرف قيمة عددية وفق الترتيب الأبجدي هكذا:

أ	ب	ج	د	هـ	و	ز
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
ح	ط	ي	ك	ل	م	ن
٨	٩	١٠	٢٠	٣٠	٤٠	٥٠

=

وقال الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله تعالى-: «وزعم بعضهم أن الساعة تقوم سنة ١٤٠٧هـ؛ بناء على أن عدد حروف «بغتة» في قوله تعالى: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ ١٤٠٧»[1]، وبيَّن -رحمه الله تعالى- أن

= س	ع	ف	ص	ق	ر	ش
٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	٢٠٠	٣٠٠
ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ
٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠

ومن أمثلة تطبيقه في التأريخ للوفاة:

- عندما توفى السلطان «برقوق» وهو من سلاطين المماليك، قاموا بصياغة عبارة طريفة تحدد تاريخ وفاته، وهي: «في المشمش» وقيمته العددية طبقًا لحساب الجمل = (٨٠١) هـ.

وقال الشاعر يرثي الشاعر الدلنجاوي:

سألت الشِّعْرَ هل لك من صديق   وقد سكن الدلنجاويُّ لحْدَهْ
فصاح وخَرَّ مغشيًّا عليه   وأصبح راقدًا في القبر عنده
فقلت لمن يقول الشعر: أقصِر   لقد أرَّختُ: مات الشِّعْرُ بعده

فعبارة: «مات الشعر بعده» تشير إلى تاريخ وفاة الشاعر الدلنجاوي:

فمجموع

م	ا	ت	ا	ل	ش	ع	ر	ب	ع	د	هـ
٤٠	١	٤٠٠	١	٣٠	٣٠٠	٧٠	٢٠٠	٢	٧٠	٤	٥

يساوي: ١١٢٣هـ.

وكثيرًا ما يستعمل في التأريخ للفراغ من نظم المتون وتصنيف الكتب، ومثاله: قول ناظم «تحفة الأطفال»: (تاريخها بُشْرى لمن يتقنها)، أي: ١١٩٨هـ.

ومن اللطائف قول الشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن السرائي: «كان أول خروج (تمرلنك) فِي سنة (عذاب) يشير إلى أن ظهوره سنة (٧٧٣)، كما فِي «شذرات الذهب» (٤/ ١٣).

(١) «تفسير المنار» (٩/ ٤٠١).

بعض الناس حاول تحديد عمر هذه الأمة عن طريق «عدد أبي جاد»، ثم قال: «وقد ثبت عن ابن عباس الزجر عن عَدِّ أبي جاد، والإشارة إلى أن ذلك من جملة السحر، وليس ذلك ببعيد؛ فإنه لا أصلَ له في الشريعة»[(١)]، وقال -أيضًا-: «وأما عَدَدُ أبي جاد فليس بِلُغَوِيٍّ، ولا شرعي، بل هو اصطلاح يهودي»[(٢)].

أَصْلُ طَرِيقَةِ «حِسَابِ الْجُمَّلِ»

التي اعتمد عليها البعض في تحديد عمر الدنيا، وبعض أشراط الساعة، وبيان بدعية اعتمادها في تفسير فواتح السور:

رُوِيَ أن أول من أدخل حساب الجُمَّل في تأويل حروف المعجم التي وردت في أوائل السور هم اليهود -لعنهم الله- كيدًا للإسلام وأهله، وأن حُيَيَّ بن أخطبَ عَدَّ جملة السنين التي تدل عليها هذه الحروف، وحسب عمر الأمة المحمدية؛ طبقًا لحساب الجُمَّل، غير أن هذا الحديث ضعيف[(٣)]، ولو صح؛ فكيف يكون لنا في هذا اليهودي أسوةٌ؟

---

(١) «نفسه» (٩/ ٣٩٦).

(٢) «نفسه» (٩/ ٣٩٧).

(٣) رواه -مختصرًا- البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٢/ ٢٠٨)، والطبري في «التفسير» (١/ ٢١٦) رقم (٢٤٦) من طريق ابن إسحاق بأسانيد ضعيفة مضطربة، وقال ابن كثير: «وهذا الحديث مداره على محمد بن السائب الكلبي؛ وهو ممن لا يُحتج بما انفرد به، بل قد رُمي بالكذب»، وقال الإمام الطبري -رحمه الله تعالى- عند ذكره الخلاف في تفسير الحروف المقطعة في أوائل السور: «وقال بعضهم: هي حروف من حساب الجُمَّل، كرهنا ذكر الذي حُكي ذلك عنه؛ إذ كان الذي رواه ممن لا يُعتمد على روايته ونقله». اهـ من تفسير الطبري (١/ ٢٠٨).

ولقد ذهب البعض إلى أن «المتشابهات» الواردة في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ الآية [آل عمران: ٧]، يُرَادُ بِهَا «الحروف المقطعة في أوائل السور»، وحكى الإمام ابنْ جرير الطبري -رحمه الله تعالى- قَوْلَ من ذهب إلى أن الحروف المقطعة في أوائل السور من «المتشابه» وقولهم في تعليل ذلك: «لأنهن متشابهات في الألفاظ، وموافقات حروف حساب الجُمَّل»، ثم قال -رحمه الله تعالى-: «وكان قوم من اليهود على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- طَمِعوا أن يدركوا مِن قِبَلها معرفة مدة الإسلام وأهله، ويعلموا نهاية أُكْلِ[١] محمد -صلى الله عليه وسلم- وأمته؛ فأكذب الله أحدوثتهم بذلك، وأعلمهم أن ما ابتغوا علمه من ذلك من قِبَل هذه الحروف المتشابهة لا يدركونه، ولا من قبل غيرها، وأن ذلك لا يعلمه إلا الله».

ثم قال الإمام الطبري -رحمه الله تعالى-: «وهذا القول أشبه بتأويل الآية»[٢].

وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى- في شرح قوله -صلى الله عليه وسلم-: «**فَإِذَا رَأَيْتِ**[٣] **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ؛ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ؛ فَاحْذَرُوهُمْ**»:

---

(١) الأُكْل: مدة العُمُر.

(٢) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (٦/ ١٧٩، ١٨٠).

(٣) بكسر التاء؛ لأنه كان يخاطب أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-.

«والمراد التحذير من الإصغاء إلى الذين يَتَّبِعُونَ المُتَشَابِهَ من القرآن، وأول ما ظهر ذلك من اليهود؛ كما ذكره ابن إسحاق في تأويلهم الحروف المقطعة، وأن عددها بالجُمَّل مقدار مدة هذه الأمة»(١).

وإن مما يُؤْسَفُ له أن فكرة «حساب الجمَّل» هذه انتقلت إلى بعض كتب التفسير التي تَقَبَّلَتْهَا دون رَوِيَّةٍ؛ ولهذا استخرج بعض أئمة المغرب من: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾ [الروم: ١، ٢] فتح بيت المقدس، واستنقاذه من يد العدو في سنة معينة(٢).

وقال العز بن عبد السلام عند تفسيره ﴿الٓمٓ ۝١﴾ [البقرة: ١]: «هي حروف من حساب الجُمَّل»، ثم ذكر حكاية حُيَيٍّ بن أخطب مع النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وقال السهيلي: «لعل عدد الحروف التي في أوائل السور مع حذف المكرر؛ للإشارة إلى بقاء هذه الأمة»(٣).

ونقل السيوطي عن أبي الفضل المرسي قوله في الحروف المقطعة: «وإن فيها ذكر مدد، وأعوام لتواريخ أمم سالفة، وإن فيها تاريخ بقاء هذه الأمة، وتاريخ مدة أيام الدنيا، وما مضى وما بقي مَضْرُوبٌ بعضها في بعض»(٤).

(١) «فتح الباري» (٨/ ٢١١).
(٢) «الحروف المتقطعة» ص(٥٦)، نقلًا عن «البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن» ص(٦٠).
(٣) «الإتقان في علوم القرآن» (٢/ ١٠).
(٤) «نفسه» (٢/ ١٢٨).

ويقول السهيلي[1] كذلك تعليقًا على الحساب اليهودي: «وهذا القول من أحبار يهود، وما تأولوه من معاني هذه الحروف محتمل -حتى الآن- أن يكون من بعض ما دلت عليه الحروف المُقَطَّعَة...».

ولقد أدى تَسَرُّبُ هذه الفكرة إلى أن توقع بعضُ العلماء انقضاء هذه الأمة المحمدية بعد الخمس مائة سنة الأولى، وها نحن الآن في عام ١٤٢٨هـ، والأمة باقية بحمد الله -تعالى-، ومَنِّه، وكرامته، وهي تزيد عددًا، ويكثر أتباع دين الحق.

يَقُولُ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ أَبُو فراخ مُعَلِّقًا عَلَى هَذَا المسْلَكِ:

«وإني لأعجب أشد العجب من قوم يَعْلَمُون أن الله -تعالى- قد استأثر بعلم الغيوب، ورأوا أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم يثبت عنه أنه قال في شيء من ذلك كلامًا صريحًا؛ كيف يشقون على أنفسهم، ويتجملون العناء؛ ليذكروا من هذا ما لا يقبله العقل، ولا يطمئن إليه، ثم إنهم إذا أرادوا أن يجعلوا الحروف التي وقعت في أوائل السور تدل -فيما تدل عليه- على ذلك المعنى، لماذا اقتصروا على بعضها دون بعض؟ وَهَلَّا جمعوها كلها؛ سواءٌ أتكررت، أم لم تتكرر، ثم ذهبوا إلى أن مجموع جميعها هو المقصود» إلى أن قال: «وبعد؛ فإنَّا لا نسيغ لأنفسنا، ولا نرضى لأحدٍ سوانا أن يخوض في هذا، وفيما أشبه هذا؛ فإن علم ذلك كله عند الله وحده»[2].

---

(١) وعلَّق الحافظ ابن حجر على موقف السهيلي هنا بقوله: «ولم أذكر ذلك -أي تطبيق حساب الجمَّل على الحروف المقطعة -ليُعتمد عليه؛ إلا لأبين أن الذي جنح إليه السهيلي لا ينبغي الاعتماد عليه لشدة التخالف فيه». اهـ من الفتح (١١/ ٣٥٢).

(٢) «الحروف المتقطعة» ص(٥٩).

ثم قال: «قال الخويبي: وقد استخرج بعضهم من ﴿الٓمٓ ①﴾ [الروم: ١] فتح بيت المقدس؛ يفتحه المسلمون في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، ووقع كما قاله»، ويوضح ابن عربي الكيفية التي تَمَّ بها ذلك الحساب الغريب، فَارْجِعْ إلى «روح المعاني» في ذلك إن شئت».

وذكر بعضهم أن «طه» معناه: يا بدر؛ لأن الطاء بتسعة، والهاء بخمسة؛ فذلك أربع عشرة؛ إشارةً إلى البدر؛ لأنه يتم فيها، وقريب من هذا ما عُنِيَ به بعض الشيعة من حذف المكرر من هذه الحروف، وصياغة جمل مما بقي منها في عليٍّ -رضي الله عنه-، أو تفضيله، وترجيح خلافته؛ كقولهم: «صراط عليٍّ حق نمسكه»، ولكنهم قوبلوا بجمل أخرى مثلها من بعض السنيين تنقض ما قالوه؛ كقولهم: «صح طريقك مع السنة»[١]، إلى غير ذلك من الأقوال الغريبة الأخرى، ليس هذا موضع بسطها[٢].

ولقد نهى ابن عباس -رضي الله عنهما- عن مثل هذا المسلك، الذي اعتبره من جملة السحر، واعتبر أصحابه من الذين يتبعون المتشابه؛ لما في قلوبهم من الزيغ، والفتنة، والضلال، وذكر ابن حجر أن حساب الجمل: «باطلٌ لا يُعْتَمدُ عليه، ولا أصل له في الشريعة»[٣].

وقال ابن كثير: «وأما من زعم أنها دَالَّةٌ على معرفة المدد، وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث، والفتن الملاحم؛ فقد ادَّعى ما ليس

---

(١) وقال بعضهم: «نصٌّ حكيمٌ قاطعٌ له سِرٌّ»، وما صح معناه من ذلك فإنما هو من «المُلَح»، وليس من «صُلْب» العلم.

(٢) انظرها في «الإتقان» (٢/ ٨-١٣)، «روح المعاني» (١/ ١٠٤)، «المنار» (١/ ١٢٣)، «سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم-» لابن هشام (٢/ ١٧٢).

(٣) «فتح الباري» (٨/ ٢١١)، وانظر: «الإتقان» (٢/ ١١).

له، وطار في غير مطاره»[١]، وفي «تفسير المنار»: «أضعف ما قيل في هذه الحروف وأسخفه: إن المراد بها الإشارة بأعدادها في حساب الجملة إلى مدة هذه الأمة، أو ما شابه ذلك».

وقال القاضي أبو بكر: «ومن الباطل علم الحروف المقطعة في أوائل السور، وقد تحصل لي فيها عشرون قولًا وَأَزْيَدُ، ولا أعرف أحدًا يحكم عليها بعلم، ولا يصل منها إلى فَهْم، والذي أقوله: إنه لولا أن العرب كانوا يعرفون أن لها مدلولًا متداولًا عندهم؛ لكانوا أول من أنكر ذلك على النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ تلا عليهم ﴿حمٓ ۝١﴾ [فصلت: ١]، ﴿صٓ﴾ وغيرها، فلم ينكروا ذلك، بل صرحوا بالتسليم له في بالبلاغة، والفصاحة مع تشوقهم إلى عثرة، وحرصهم على زلة؛ فدل على أنه كان أمرًا معروفًا بينهم لا إنكار فيه»[٢].

إنه لم يُعْرَفْ عن هؤلاء العرب مثل هذه الحسابات العددية لتلك الحروف المقطعة في أوائل السور القرآنية؛ فوجب رد هذه التأويلات التي لم يقصد بها وجه الحق، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦][٣].

وممن استروح لمنهج حساب الجمل الشيخ «طنطاوي جوهري» الذي زَعَمَ إمكانية الرمز، والإشارة بالحروف إلى حساب الجمل، وقد نزل القرآن بذلك؛ ليأخذ الناس في فَهْمِهَا؛ «حيث كان اليهود والنصارى

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٣٨).
(٢) انظر: «الإتقان» (٢/ ١١).
(٣) «الحروف المتقطعة» ص (٦٠-٦٢).

يتخذون رموزًا، وإشاراتٍ مشهورةً في دينهم، فنزل القرآن بهذه الرموز؛ ليكون مفهومًا لجميع الطوائف؛ لأنه نزل للعرب، والعجم جميعًا».

قال الشيخ في ذلك: «اعلم أن القرآن كتابٌ سماويٌّ، والكتب السماوية تُصَرِّحُ تارَةً، وترمز أخرى، والرمز والإشارة من المقاصد السامية، والمعاني والمغازي الشريفة، وقديمًا كان ذلك في أهل الديانات؛ ألم ترَ إلى اليهود الذين كانوا منتشرين في المدينة، وفي بلاد الشرق أيام النبوة، كيف كانوا يصطلحون فيما بينهم على أعداد الجُمَّل المعروفة اليوم في الحروف العربية؛ فيجعلون الألف بواحدٍ، والباء باثنين، والجيم بثلاثة، والدال بأربعة، وهكذا مارِّين على الحروف الأبجدية إلى الياء بعشرة، والكاف بعشرين، وهكذا إلى القاف بمائة، والراء بمائتين، وهكذا إلى الغين بألف، كما ستراه في هذا المقام؛ كذلك ترى أن النصارى في إسكندرية، ومصر، وبلاد الروم، وفي سوريا قد اتخذوا الحروف رموزًا دينية معروفة فيما بينهم أيام نزول القرآن، وكانت اللغة اليونانية هي اللغة الرسمية في مصر، وكانوا يرمزون بلفظ «اكسيس» لهذه الجملة: «يسوع المسيح ابن الله المخلص» فالألف من «اكسيس» هي الحرف الأول من لفظ «ايسوس» يسوع، والكاف منها هي الحرف الأول من «كرستوس» المسيح، والسين منها هي حرف الثاء التي تبدل منها في النطق في لفظ «ثيو» الله، والياء منها تدل على «ايوث» ابن، والسين الثانية منها تشير إلى «ثوتير» المخلص، ومجموع هذه الكلمات «يسوع المسيح ابن الله المخلص»(١)، ولفظ «اكسيس» اتفق أنه يدل على معنى سمكة؛ فأصبحت السمكة عند هؤلاء رمزًا لإلههم.

---

(١) تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

فانظر، كيف انتقلوا من الأسماء إلى الرمز بالحرف، ومن الرمز بالحرف إلى الرمز بحيوانٍ دلت عليه الحروف، قال الحَبْرُ الإنجليزي «صموئيل مونتج»: «إنه كان يوجد كثيرًا في قبور رومة صور أسماك صغيرة مصنوعة من الخشب، والعظم، وكان كل مسيحي يحمل سمكة؛ إشارةً للتعارف فيما بينهم»[(١)].

وجنح الشيخ «محمد عبد العظيم الزرقاني» صاحب «مناهل العرفان» إلى تفسير الحروف المقطعة في أوائل السور بالرموز التي تعارفت عليها الطوائف اليهودية من حساب الجمل، وأن القرآن قد جاء بها؛ لتتفق مع مذاهبهم، قال الشيخ: «إذا كان من طبائع الأمم التي أحاطت بالبلاد العربية، وتغلغلت فيها، ونزل القرآن لجميع الناس من عربٍ، وعجمٍ، كان لابد أن يكون على منهج تَلَذُّهُ الأمم، ويكون فيه ما يألفون».

ثم ذكر الشيخ حكاية حييٍّ بن أخطب اليهودي؛ الذي عَدَّ فيها عُمر الأمة الإسلامية[(٢)]، وانتهى الشيخ بعد أن ذكر هذه الرواية -دون أن ينبه على ضعفها- إلى أن حساب الجمل كان للتعارف عند اليهود، وهو نوع من الرموز الحرفية؛ فكانت هذه الحروف لابد من نزولها في القرآن[(٣)].

ويعلق الدكتور «محمد محمد أبو فراخ» -حفظه الله- قائلًا: «إن هذه الحروف لم تأتِ على منهجٍ يَلَذُّهُ اليهود، أو غيرهم؛ وإنما جاءت على منهج القرآن العظيم المتلائم المتناسب، فيما قدمه من حروف وكلمات،

---

(١) «الجواهر في تفسير القرآن الكريم» (٢/ ٥).
(٢) تقدم تضعيفها ص(٢١٨).
(٣) «مناهل العرفان» (١/ ٢٢٤، ٢٢٥).

ومع المعاني المرادة منها، والمقاصد التي أتى بها؛ لإثبات الحق، ونفي الباطل بأعظم وجه، وأتم بيان»[١] اهـ.

(١) «الحروف المتقطعة» ص(٦٦).

الفصل الرابع

تحديد عُمُر الدنيا

باديً ذي بَدْءٍ نُقَرِّرُ أن الخوض في هذه القضية مما لا يترتب عليه عمل؛ إذ يشبه السؤال عنها قول السائل لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «مَتَى السَّاعَةُ؟»، فأجابه -صلى الله عليه وسلم- جوابَ الحكيم، بخلاف ما يترقب[١] فقال: «وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟»[٢]، فلكلٍّ إنسانٍ ساعته، وقيامته[٣]، والذي يعنيه: أن يستعد للقاء الله إذا حضر أجله بالعمل الصالح.

قال الإمام العلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني الأمير -رحمه الله تعالى-: «اعلم أن مقدار الدنيا لا يعلمه إلَّا الله، ولم يرد نص من كتاب ولا سنة في بيان ذلك، ووردت أحاديث وآثار ما يحصل بها جزم بأنه مقدار معين»[٤] اهـ.

ومع هذا، فقد خاض البعض في هذا الأمر وغلطوا؛ كما فعل الحافظ السيوطي -رحمه الله تعالى- في كتابه «الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف»[٥]، احتج فيه بأحاديث لم تصح؛ منها ما رواه الضحاك بن زمل

---

(١) ووجهه أنه سأله عن الساعة بالمعنى الأول، وهي الساعة الكبرى، فأجابهم بالساعة الوسطى إشارة إلى أن الأهم هو ذلك، وإعلامًا بأن الساعة الكبرى قد طوى الله سبحانه عن عباده تعيينها، وأنه لا يعلمها إلَّا هو، ولا يُجَلِّيها لوقتها إلَّا هو سبحانه.

(٢) انظر تخريجه، ص(٤٤)، هامش رقم(٤).

(٣) انظر: «تفسير المنار» (٩/ ٣٨٧)، وانظر: هنا ص(١٩-٢١).

(٤) «رسالة شريفة» ص(٣٠).

(٥) ضمن «الحاوي» (٢/ ٨٦).

الجهني[١]، قال: رأيت رؤيا، قصصتها على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فذكر الحديث، وفيه: إذا أنا بك يا رسول الله على منبر فيه سبع درجات، وأنت في أعلاها درجة، فقال -صلى الله عليه وسلم-: «**أَمَّا الْمِنْبَرُ الَّذِي رَأَيْتَ سَبْعَ دَرَجَاتٍ، وَأَنَا أَعْلَاهَا دَرَجَة؛ فَالدُّنْيَا سَبْعَةُ آلَافِ سَنَة، وَأَنَا فِي آخِرِهَا أَلْفًا**»[٢].

وذكر الإمام المحقق ابن قيم الجوزية -رحمه الله تعالى- في «المنار المنيف» أمورًا كلية، يُعْرَفُ بها كونُ الحديث موضوعًا؛ منها: «مخالفته صريحَ القرآن؛ كحديث مقدار الدنيا، وأنها سبعة آلاف سنة، ونحن الآن في الألف السابعة، وهذا من أبين الكذب؛ لأنه لو كان صحيحًا، لكان كل واحد عالمًا أنه بقي للقيامة من وقتنا هذا مائة وإحدى وخمسون سنة»[٣] اهـ. علمًا بأن ابن القيم عاش في القرن الثامن الهجري.

وقال ابن كثير في «النهاية في الفتن والملاحم»: حديث (أن النبي -صلى الله عليه وسلم- يُؤَلِّفُ تحت الأرض) لا أصل له[٤]، وحديث «**الدُّنْيَا جُمُعَةٌ مِنْ جُمَعِ الآخِرَةِ، سبعة آلاف سنة**»[٥] لا يصح إسناده، وكذا كل حديث ورد فيه تحديد وقت القيامة على التعيين، لا يثبت إسناده[٦].

---

(١) انظر: «فتح الباري» (١١/ ٣٥١).

(٢) وهذا حديث موضوع، انظر: «ضعيف الجامع الصغير» (٣/ ١٦٠) رقم (٣٠١٣).

(٣) «المنار المنيف» ص(٨٠).

(٤) «نهاية البداية والنهاية» (١/ ١٩)، ومعنى يؤلِّف هنا: يُكَمِّل ألف سنة.

(٥) أخرجه ابن جرير في «التاريخ» (١/ ٨) بسنده، وفيه يحيى بن يعقوب بن مدرك بن سعيد الأنصاري، قال البخاري: «منكر الحديث» كما في «التاريخ الكبير» (٤/ قسم٢/ ص٣١٣)، وشيخه حماد بن أبي سليمان فيه مقال، وشيخ ابن جرير محمد بن حميد الرازي كذَّبه أبو زرعة كما في «ميزان الاعتدال» (٣/ ٥٣٠).

(٦) «نهايةالبداية والنهاية» (١/ ٢٢)، بتصرف.

واحتج السيوطي -رحمه الله تعالى- بآثار فيها تحديد عمر الدنيا، وأغلبها إسرائيليات، وقال -رحمه الله تعالى-: «الذي دَلَّت عليه الآثار أنَّ مدة هذه الأمة تزيد على ألف سنة، ولا تبلغ الزيادة عليها خمسمائة سنة».

تَعْلِيقُ الْعُلَمَاءِ عَلَى كَلَامِ السُّيُوطِيِّ رَحِمَهُ اللهُ

قال الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني الأمير -رحمه الله تعالى-:

«إذا أحطت علمًا بجميع ما سقناه؛ علمت بأن القول بتعيين مدة الدنيا من أولها إلى آخرها بأنه سبعة آلاف سنة لم يثبت فيه نصٌّ يُعْتَمَدُ عليه؛ وغاية ما فيه آثار عن السلف، وإن كانت لا تقال إلا عن توقيف؛ فلعلها مأخوذة عن أهل الكتاب، وفي أسانيدها مقال، وقد عُلم تغييرهم لما لديهم عن الله تعالى، وعن رسله -عليهم السلام-»[1] اهـ.

وممن تعقب السيوطي -رحمه الله تعالى- الشيخ مرعي الكرمي في «بهجة الناظرين» قائلًا: «وهذا مردود؛ لأنَّ كل من يتكلَّم بشيء من ذلك؛ فهو ظنٌّ، وحسبانٌ، لا يقوم عليه برهان»[2].

وقد بيَّن الصنعاني -رحمه الله تعالى- أن السيوطي أقام رسالته «الكشف» على آثار بواطيل، وجمع ما تضمنته من تواريخ، وحسابات؛ فبلغت معه مائتي سنة وثلاثًا وستين سنة، ثم قال الصنعاني: «ونحن الآن في القرن الثاني عشر، ويضاف إليه مائتان وثلاث وستون سنة؛ فيكون الجميع

---

(١) «رسالة شريفة» ص(٥٠).

(٢) نقله عنه في «السابق» ص(١٨٩).

أربعة عشرة مائة وثلاثة وستين»، ثم قال متعقبًا السيوطي: «وعلى قوله: إنه لا يبلغ خمسمائة سنة بعد الألف، يكون منتهى بقاء الأمة بعد الألف أربعمائة سنة وثلاثًا وستين سنةً، ويتخرَّج منه أن خروج الدَّجَّال -أعاذنا اللهُ من فتنته- قبل انخرام هذه المائة التي نحن فيها؛ وهي المائة الثانية عشرة من الهجرة النبوية»(١).

وعَقَّبَ عَلَى قَوْلِ الصَّنْعَانِيِّ هَذَا القَنَّوجي؛ فَقَالَ:

«وقد مضى إلى الآن على الألف نحوٌ من ثلاثمائة سنة، ولم يظهر المهدي! ولم ينزل عيسى! ولم يخرج الدَّجَّال!! فدلَّ على أن هذا الحساب ليس بصحيح»(٢).

وممن انتقد رسالة السيوطي -رحمه الله تعالى- الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله تعالى-؛ إذ قال في «المنار»: «فكأن رسالته كلها مستنبطة من الخبرين الموضوعين، أي: المكذوبَيْن على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فتأمل -هداك الله تعالى- ما يفعل الغرور بظاهر الروايات حتى في أنفس المشتغلين بالحديث؛ كالسيوطي الذي عُدَّ من الحفاظ، وأنكر ذلك زميله السخاوي، وكلاهما من تلاميذ الحافظ ابن حجر»(٣).

وكان قد انتقد الآثار التي أوردها السيوطي، والتي فيها أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة، فقال: «وقد اغتر بها من لا ينظرون في نقد الروايات إلا من جهة أسانيدها؛ حتى استنبط بعضهم منها ما بقي من عمر الدنيا،

---

(١) «رسالة شريفة» ص(٤٥)، وتاريخ كتابتها سنة (١١٦٧هـ) كما صرح بذلك الصنعاني نفسه ص(٤٠).

(٢) «الإذاعة» ص(١٨٤).

(٣) «تفسير المنار» (٩/ ٣٩٨).

وللجلال السيوطي في هذا رسالة قد هدمها عليه الزمان؛ كما هدم أمثالها من التخرصات، والأوهام، وما بُثَّ في الإسرائيليات من الكيد للإسلام»[(١)].

وقال الشيخ يوسف بن عبد الله الوابل -حفظه الله-:

«وكما أنه لا يعلم أحد متى تقوم الساعة، فكذلك لا يعلم أحد متى تظهر أشراط الساعة، وما ورد أنه في سنة كذا يكون كذا، وفي سنة كذا يحصل كذا فهو ليس بصحيح؛ فإن التاريخ لم يوضع في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم-، وإنما وضعه عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-؛ اجتهادًا منه، وجعل بدايته هجرة النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة»[(٢)].

ذِكْرُ نُصُوصٍ عَنِ الْعُلَمَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ عَلَى السُّيُوطِيِّ فِي قَضِيَّةِ «تَحْدِيْدِ عُمرِ الدُّنْيَا»

أَوَّلًا: الإمام أبو محمد علي بن حزم (ت٤٥٦) -رحمه الله تعالى-:

لم يعبأ بشيء من تلك الروايات المأثورة في هذه المسألة على طول باعه، وسَعة حفظه للآثار، وقد سبق القاضي عياضًا، والقاضي أبا بكر بن العربي، وابن خلدون في رفضه لما قيل في عمر الدنيا، والعجب أن الحافظ فاته إيرادُ ما قاله ابن حزم في هذه المسألة على سعة اطلاعه.

---

(١) «نفسه» (٩/ ٣٩٣).

(٢) «أشراط الساعة» ص(٦٥).

قال -رحمه الله تعالى- في «الفِصَل»:

مطلب بيان كذب من ادَّعى لمدة الدنيا عددًا معلومًا

قال (أبو محمد): «وأما اختلاف الناس في التاريخ فإن اليهود يقولون: للدنيا أربعة آلاف سنة ونيف، والنصارى يقولون: للدنيا خمسة آلاف سنة، وأما نحن فلا نقطع على عدد معروف عندنا، وأما من ادَّعَى في ذلك سبعة آلاف سنة، أو أكثر، أو أقل؛ فقد كذب، وقال ما لم يأتِ قط عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيه لفظة تصح، بل صح عنه -صلى الله عليه وسلم- خلافُه، بل نقطع على أن للدنيا أمدًا لا يعلمه إلا الله تعالى، قال الله -سبحانه-: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١]، وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«مَا أَنْتُم فِي الأُمَم قَبْلَكُم إِلَّا كَالشَّعْرَةِ البيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ أَوْ الشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ»**، هذا عنه عليه السلام ثابت، وهو عليه السلام لا يقول إلا عين الحق، ولا يسامح بشيء من الباطل، وهذه نسبة مَن تدبرها، وعرف مقدار أعداد أهل الإسلام، ونسبة ما بأيديهم من معمور الأرض، وأنه الأكثر؛ علم أن للدنيا عددًا لا يحصيه إلا الله الخالق تعالى، وكذلك قوله -صلى الله عليه وسلم-: **«بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»** وضم أصبعيه المقدستين السبابة، والوسطى، وقد جاء النص بأن الساعة لا يعلم متى تكون إلا الله -تعالى- لا أحد سواه؛ فصح أنه -صلى الله عليه وسلم- إنما عنى شدة القرب، وله -صلى الله عليه وسلم- منذ بُعث أربعمائة عام ونيف، والله -تعالى- أعلم بمقدار ما بقي من عمر الدنيا؛ فإذا كان هذا العدد العظيم لا نسبة له عندما

سلف؛ لقلته وتفاهته، بالإضافة إلى ما مضى، فهذا الذي قاله -صلى الله عليه وسلم- من أننا فيما مضى كالشعرة في الثور، أو الرقمة في ذراع الحمار» ا هـ. كلام ابن حزم -رحمه الله تعالى-[١].

ثَانِيًا: الْقَاضِي عِيَاضٌ -رحمه الله تعالى-:

فقد نقل عنه الحافظ ابن حجر أثناء شرحه لحديث: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَة كَهَاتَيْنِ**» قوله: حاول بعضهم في تأويله أن نسبة ما بين الأصبعين؛ كنسبة ما بقي من الدنيا بالنسبة إلى ما مضى، وأن جملتها سبعة آلاف سنة، واستند إلى أخبار لا تَصِحُّ، وذكر ما أخرجه أبو داود في تأخير هذه الأمة نصف يوم، وفسَّره بخمسمائة سنة؛ فيؤخذ من ذلك أن الذي بقي نصفُ سُبع، وهو قريب مما بين السبابة، والوسطى في الطول.

قال: وقد ظهر عدم صحة ذلك؛ لوقوع خلافه، ومجاوزة هذا المقدار، ولو كان ذلك ثابتًا؛ لم يقع خلافه.

ثُمَّ قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ -رحمه الله تعالى-:

«قلت: وقد انضاف إلى ذلك منذ عهد عياض إلى هذا الحين ثلاثمائة سنة، وقال ابن العربي: قيل: الوُسْطَى تزيد على السبابة نصف سبعها، وكذلك الباقي من الدنيا من البعثة إلى قيام الساعة، قال: وهذا بعيدٌ، ولا يُعلَم مقدار الدنيا؛ فكيف يتحصل لنا نصف سبع أمدٍ مجهول؟ فالصواب الإعراض عن ذلك»[٢] ا هـ.

---

(١) «الفِصَل في الملل والأهواء والنحل» (٢/ ٨٤، ٨٥).

(٢) «فتح الباري» (١١/ ٣٥٠).

ثَالِثًا: الإِمَامُ القُرْطُبِيُّ:

قال -رحمه الله تعالى-: «إن ما أخبر به النبي -صلى الله عليه وسلم- من الفتن، والكوائن أن ذلك يكون، وتعيين الزمان في ذلك من سنة كذا، يحتاج إلى طريق صحيح يقطع العذر، وإنما ذلك كوقت قيام الساعة؛ فلا يعلم أحدٌ أيَّ سنة هي؟ ولا أيَّ شهر؟ أما أنها تكون في يوم الجمعة في آخر ساعة منه، وهي الساعة التي خلق الله فيها آدم عليه السلام، ولكن أي جمعة؟ لا يعلم تعيين ذلك اليوم إلا الله وحده لا شريك له، وكذلك ما يكون من الأشراط تعيين الزمان لها لا يُعْلم، والله أعلم»(١).

رَابِعًا: شيخ الإسلام ابن تيمية:

قال -رحمه الله تعالى-: «... ومن تكلم في وقتها المعين، مثل الذي صنف كتابًا سمَّاه «الدر المنظم في معرفة الأعظم» وذكر فيه عشر دلالات بيَّن فيها وقتها، والذين تكلموا على ذلك من «حروف المعجم»، والذي تكلم في «عنقاء مغرب»، وأمثال هؤلاء، فإنهم -وإن كان لهم صورة عظيمة عند أتباعهم- فغالبهم كاذبون مفترون، وقد تبين لديهم من وجوه كثيرة أنهم يتكلمون بغير علم؛ وإن ادَّعَوْا في ذلك الكشف ومعرفة الأسرار، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾»(٢) اهـ.

---

(١) «التذكرة» للقرطبي، ص(٦٢٨).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٤٢).

خَامِسًا: الإِمَامُ الحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ:

قال -رحمه الله تعالى-: «والذي في كتب الإسرائيليين، وأهل الكتاب؛ من تحديد ما سلف بألوفٍ، ومِئين من السنين، قد نص غير واحد من العلماء على تخطئتهم فيه، وتغليطهم، وهم جديرون بذلك، حقيقون به، وقد ورد في حديث: «**الدُّنيَا جُمُعَةٌ مِنْ جُمَعِ الآخِرَةِ**»، ولا يصح إسناده أيضًا، وكذا كل حديث ورد فيه تحديد لوقت يوم القيامة على التعيين لا يثبت إسناده»(١).

سَادِسًا: الحافظ ابن رجب الحنبلي:

قال -رحمه الله تعالى- بعدما سرد جملة من النصوص التي استدل بها من يحددون ما تبقى من عمر الدنيا:

«وأخذُ بقاء ما بقي من الدنيا على التَّحديد من هذه النصوص لا يصح، فإن الله استأثر بعلم الساعة، ولم يُطْلِع عليه أحدًا من خلقه، وهو من مفاتح الغيب الخمسة التي لا يعلمها إلا الله؛ ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**ما المَسْئُولُ عَنْهَا بأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**»، وإنما خرج هذا من النبي -صلى الله عليه وسلم- على وجه التقريب للساعة بغير تحديد لوقتها.

وقد قدمنا أن المراد بهذا الحديث مدة أمةِ محمد -صلى الله عليه وسلم- مع مدة أمةِ موسى وعيسى عليهما السلام.

---

(١) «نهاية البداية والنهاية» (١/ ٢٢).

فمدة هذه الأمم الثلاثِ كيوم تام، ومدة ما مضى من الأمم في أول الدنيا كليلة هذا اليوم، فإن الليل سابقٌ للنهار، وقد خُلِقَ قبلَه -على أصح القولين- وتلك الليلة السابقة كان فيها نجوم تضيء، ويُهتدى بها، وهم الأنبياء المبعوثون فيها، وقد كان -أيضًا- فيهم قمرٌ منيرٌ وهو إبراهيم الخليل عليه السلام، إمام الحنفاء، ووالد الأنبياء، وكان بين آدم ونوح ألف سنة، وبين نوح وإبراهيم ألف سنة، وبين إبراهيم وموسى عليه السلام ألف سنة، قال ذلك غير واحد من المتقدمين، حكاه عنهم الواقدي. . .

وأما ابتداء رسالة موسى عليه السلام فكانت كابتداء النهار، فإن موسى وعيسى ومحمدًا -صلى الله عليه وسلم- هم أصحاب الشرائع، والكتب المتبعة، والأمم العظيمة. وقد أقسم الله بمواضع رسالاتهم في قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ [التين: ١-٣]، وفي التوراة: «جاء الله من طور سيناءَ، وأشرقَ مِنْ سَاعير، واستعلنَ من جبال فاران» ولهذا سَمَّى محمَّدًا -صلى الله عليه وسلم- سِرَاجًا منيرًا؛ لأنَّ نوره للدنيا كنورِ الشَّمس، وأعمُّ، وأعظَمُ، وأنفَعُ، فكانتْ مدةُ عمل بني إسرائيلَ إلى ظهور عيسى كنصف النَّهارِ الأولِ، ومدةُ عملِ أُمَّةِ عيسى كما بينَ الظُّهرِ والعصر، ومُدَّةُ عملِ المسلمينَ كما بينَ العصرِ إلى غروبِ الشمسِ، وهذا أفضلُ أوقات النَّهار، ولهذا كانت الصَّلاةُ الوسطى العصرَ على الصحيح، وأفضل ساعاتِ الجمعةِ، ويوم عرفةَ مِنَ العصر إلى غروب الشَّمْسِ؛ فلهذا كان خيرُ قرونِ بني آدم القرنُ الذي بُعِثَ فيه محمَّدٌ -صلى الله عليه وسلم-، وقد خرَّجَ البخاريُّ ذلك من حديثِ أبي هريرةَ مرفوعًا»[1]. اهـ

---

(١) «فتح الباري» لابن رجب (٤/ ٣٣٨-٣٤٠).

وقال أيضًا -رحمه الله تعالى- مشيرًا إلى حديث: «**إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ مِن الْأُمَمِ قبلكم؛ كَمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، أُوتِيَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ التَّوْرَاةَ، فَعَمِلُوا، حَتَّى إذا انْتَصَفَ النَّهَارُ؛ عَجَزُوا**» الحديث-:

«وهذا الحديث إنما ساقه النبي -صلى الله عليه وسلم- مساق ضرب الأمثال، **والأمثال مظنة التوسع فيها**»(١). اهـ

وقال أيضًا -رحمه الله تعالى-: «مدة الماضي من الدنيا إلى بعثة محمد -صلى الله عليه وسلم-، ومدة الباقي منها إلى يوم القيامة؛ لا يعلمه على الحقيقة إلا الله -عز وجل-، وما يُذكر في ذلك فإنما هو ظنون لا تفيد علمًا»(٢).

سَابِعًا: الحافِظُ ابْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلاَنِيُّ -رحمه الله تعالى-:

قال في شرح حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- مرفوعًا: «**ما أَجَلُكُمْ فِي أَجَلِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ إِلَّا مِن صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ**».

قال الحافظ: «وله محملان: أحدهما: أن المراد بالتشبيه التقريب، ولا يُرَادُ حقيقة المقدار.

وَالثَّانِي: أن يحمل على ظاهره، ويكون فيه دلالة على أن مدة هذه الأمة قدر خمسِ النهار تقريبًا»(٣).

---

(١) «نفسه» (٤/ ٣٤١).

(٢) «نفسه»، (٤/ ٣٤٤).

(٣) انظر «فتح الباري» (١١/ ٣٥١).

وقال -رحمه الله تعالى- في شرح حديث: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ**»، مُبيِّنًا وجه الشبه: «هل المراد به قرب إحداهما من الأخرى، أم التفاوت الذي بينهما في الطول؟ وما المراد به؟ والأرجح المختار عندنا من هذه الأقوال أنه ليس بينه -صلى الله عليه وسلم-، وبين الساعة نبي آخر؛ فهي تليه»(١) اهـ.

ثامنًا: العلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني:

قال -رحمه الله تعالى-: (والإخبار عن قربها من مبعثه -صلى الله عليه وسلم- يحتمل أنه إخبار عن قربها عند الله -تعالى- وإن كانت بعيدة في المدة ردًّا لقول المشركين بأنه لا قيام لها، وإليه أشار قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝﴾ فإنه أخرج عبد بن حميد عن الأعمش: ﴿يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا﴾ قال: «الساعة».

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝﴾ قال: تكذيبهم، ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝﴾ قال: «صدقًا كائنًا»، ويحتمل أن المراد: قرب أشراطها من بعثته -صلى الله عليه وسلم-)... إلى أن قال: (وما وقع من الأشراط وغيره من الأحاديث مما يدل على أن المراد أنه صلى الله عليه وآله وسلم بُعثَ وقد قربت أشراط الساعة، وتقدير المضاف للقرائن ثابت لغة كتابًا وسنةً لا نكير فيه... ثم إنه يدل لتقدير المضاف أمر آخر، وهو أنه قد مضى بعد وفاته -صلى الله عليه وسلم- قريب من اثنتي عشرة مائة، ولم تقم الساعة، فلا قرب لقيامها ببعثته؛ بل بأشراطها، والله أعلم)(٢) اهـ.

---

(١) نقله عنه في «المنار» (٩/ ٣٩٤).

(٢) «رسالة شريفة» ص(٥٣، ٥٥).

والحاصل أن تحديد عمر الدنيا بشيء؛ لم يثبت فيه نص في حكم المرفوع[١] أبدًا، وكيف يُعقل أن يحدد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عمر الدنيا، وقد أوحى الله تعالى إليه: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقال -عز وجل-: ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الزخرف: ٨٥]، والصادق المصدوق الذي تنسب إليه الروايات الواهية في تحديد عمر الدنيا وهو -صلى الله عليه وسلم- منها براء، هو هو القائل لجبريل عليه السلام لما سأله: «متى الساعة؟»: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل»، وقد قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال -صلى الله عليه وسلم-: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها لا الله.. ولا يعلم متى تقوم الساعة إلَّا الله» متفق عليه.

---

(١) أما الآثار المروية في ذلك عن بعض السلف فإنها -مع معارضتها القرآن الكريم- قد دخلت على بعض التابعين أو بعض الصحابة من قِبل مسلمي أهل الكتاب ككعب الأحبار ووهب بن منبه.

فَصْلٌ

وممن خاض في هذا البحث «أمين محمد جمال الدين» في كتابه «عمر أمة الإسلام» وانتهى إلى أننا نعيش حقبة ما قبل النهاية، وهي مرحلة الاستعداد للفتن، والملاحم الأخيرة التي تسبق ظهور العلامات الكبرى.

ومما استدل به: ما رواه ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إِنَّما بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِن الْأُمَمِ**(١) **كَمَا بَيْنَ**

(١) قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله تعالى-: وقوله -صلى الله عليه وسلم-: «إنما بقاؤكم فيما سلف من الأمم قبلكم» إنما أراد به -والله أعلم- أتباع موسى وعيسى عليهما السلام، وقد سمى الله بني إسرائيل بانفرادهم أممًا فقال: ﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٨]؛ ولهذا فسر النبي -صلى الله عليه وسلم- ذلك بعمل أهل التوراة بها إلى انتصاف النهار، وعملِ أهل الإنجيل إلى العصر، وعمل المسلمين بالقرآن إلى غروب الشمس.
ويدلُّ على ذلك -أيضًا- حديثُ أبي موسى الذي خرَّجَه البخاريُّ بعد هذا، ولفظُه: «مثلُ المسلمينَ، واليهود، والنصارى كمثلِ رجل استأجرَ قومًا يعملون له إلى الليل»، وذكرَ الحديثَ كما سيأتي إن شاءَ اللهُ تعالى، وإنما قلنا: إنَّ هذا هو المرادُ من الحديث؛ لأنَّ مدة هذه الأمة بالنسبة إلى مدة الدنيا من أولها إلى آخرها لا يبلغُ قدرَ ما بيَن العصر إلى غروب الشمسِ بالنسبة إلى ما مضى من النَّهار؛ بل هو أقلُّ من ذلكَ بكثيرٍ.
ويدلُّ عليه صريحًا: ما خرَّجه الإمامُ أحمدُ، والترمذيُّ من حديث أبي سعيد أن النَّبيَّ -صلى الله عليه وسلم- صلَّى بهم صلاة العصر يومًا بنهارٍ، ثم قامَ خطيبًا، فلم يدع شيئًا يكونُ إلى قيام الساعة إلا أخبرنَا به، فذكرَ الحديثَ بطولِهِ، وقال في آخره: قال: وجعلنا نلتفتُ إلى الشَّمسِ هل بقي منها شيء؟ =

. . . .

= فقالَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ألا إنَّه لم يبقَ من الدنيا فيما مَضَى إلا كما بَقِي من يومِكم هذا فيما مضى منه».

وقالَ الترمذيُّ: حديثٌ حسنٌ.

وخرَّجَ الإمامُ أحمدُ من حديثِ ابنِ عُمَرَ قال: كُنَّا جلوسًا عندَ النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- والشَّمسُ على قُعَيقِعانَ بعد العصر، فقالَ: «ما أعمارُكم في أعمارِ مَن مَضَى إلا كَمَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ فيما مَضَى منه».

ومن حديث ابنِ عُمَرَ أَنَّه كَانَ واقِفًا بعرفاتٍ ينظرُ إلى الشَّمسِ حينَ تَدَلَّتْ مِثلَ التُّرسِ للغروبِ، فبكى، وقالَ: ذَكَرتُ رسولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- وهو واقفٌ بمَكاني هذا، فقالَ: «أيها الناس لم يبقَ من دنياكم فيما مضى إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه».

ويشهدُ لذلك من الأحاديثِ الصحيحةِ: قولُ النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم-: «بعثتُ أنا والسَّاعة كهاتينِ»، وقرنَ بين أصبعيه: السَّبَّابةِ والوسطى.

خرَّجَاهُ في الصحيحين من حديثِ أنسٍ.

وخرَّجَاه -أيضًا- بمعناه من حديثِ أبي هريرةَ، وسهلِ بنِ سعدٍ.

وخرَّجَه مسلمٌ بمعناه من حديثِ جابرٍ.

وخرَّجَ التِّرمذيُّ من حديث المستورد بنِ شدَّادٍ عن النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قال: «بُعِثْتُ في نَفَسِ السَّاعةِ فسبقتُهَا كما سبقت هذه هذه» لأصبعيه: السَّبَّابةِ والوسطى.

وفي «مسند الإمامِ أحمدَ» عن بُرَيدةَ، عن النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قال: «بعثتُ أنا والسَّاعةُ جميعًا إن كادت لَتَسبقُني».

ورَوىَ الإمامُ أحمدُ -أيضًا- حَدَّثنا أبو حمزةَ: حَدَّثني أبو حازم: لا أعلمُه إلا عن سهلِ بنِ سعدٍ، عن النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم-، قال: «مَثلي وَمَثَلُ السَّاعةِ كهاتين»، وفرَّقَ كذا بينَ أصبعيهِ الوسطى والتي تلي الإبهامَ، ثم قال: «مَثلي وَمَثَلُ السَّاعةِ كمثلِ فَرسي رِهَانٍ»، ثُمَّ قالَ: «مَثلي وَمَثَلُ السَّاعةِ كمثلِ رَجُلٍ بَعَثَه قومٌ طليعةً، فلمَّا خَشِي أن يُسْبَقَ ألاحَ بثوبه: أُتيتم أُتيتم»، ثُمَّ يقولُ رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: «أَنَا ذَاكَ». =

صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، أُوتِيَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ التَّوْرَاةَ فَعَمِلُوا، حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ عَجَزُوا، فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُوتِيَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ الْإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا إلى صَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ عَجَزُوا، فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُوتِينَا الْقُرْآنَ، فَعَمِلْنَا إلى غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَأُعْطِينا قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ؛ فقَالَ أَهْلُ الكِتَابِ: أَيْ رَبَّنَا أَعْطَيتَ هَؤُلَاءِ قِيرَاطَينِ قِيرَاطَينِ، وَأَعطَيتَنَا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ونَحْنُ أَكْثَر عَمَلًا؟ قَالَ: قَالَ الله -عز وجل-: هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فهو فَضْلِي أُؤتِيهِ مَنْ أَشَاءُ».

وفي رواية «إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِيمَا خَلَا مِن الْأُمَمِ، كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغَارِبِ الشَّمْسِ، وَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى،

= وكلُّ هذه النصوص تدلُّ على شدَّة اقتراب السَّاعةِ كما دلَّ عليه قولُهُ تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ①﴾ [القمر: ١]، وقولُهُ تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١]، وقد فُسِّرَ قولُه -صلى الله عليه وسلم-: «بُعِثْتُ أنا والسَّاعةَ كهاتينِ»، وقرنَ بين السَّبَّابةِ والوسطى، فَقُربُ زمانِهِ من السَّاعةِ كقربِ السَّبَّابةِ من الوسطى، وكأن زمنَ بعثتِه يعقُبُه الساعةُ من غير نبيٍّ آخرَ بينه وبين الساعة، كما قال في الحديث الصحيح: «أَنَا الحاشِرُ يُحشرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وأنا العاقبُ».

فالحاشر: الذي يَحشرُ النَّاسَ لبعثِهِم يومَ القيامةِ على قدمِهِ، يعني أن بعثَهم وحَشرَهم، يكونُ عَقِيب رسالتِهِ فهو مبعوثٌ بالرِّسالةِ، وعقيبه يُجمعُ النَّاسُ لحشرِهم.

والعاقبُ: الذي جاء عَقيبَ الأنبياء كلِّهم، وليس بعدَه نبيٌّ، فكان إرسالُه من علاماتِ السَّاعةِ.

وفي «المسند» عن ابن عمرَ، عن النَّبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «بعثتُ بالسَّيفِ بينَ يدي الساعة، حَتَّى يُعبَدَ اللهُ وحدهُ لا شريكَ له».اهـ من «فتح الباري شرح صحيح البخاري» لابن رجب (٤/ ٣٣٤-٣٦٦).

كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ من غُدوةٍ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ، ثم قال: مَنْ يَعْمَلُ مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتْ النَّصَارَى، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ مِنْ العَصْرِ إلى أَنْ تَغِيبَ الشمسُ عَلَى قِيرَاطين قِيرَاطين؟ فَأَنْتُم هُمْ، فَغَضِبتِ اليَهُودُ والنَّصَارَى، وَقَالُوا: مَا لَنا أَكْثَر عَمَلًا، وَأَقَلُّ عَطَاءً؟ قَالَ: هَلْ ظَلَمْتُكُم مِنْ حَقِّكُم شَيئًا؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَذَلكَ فَضلي أُؤتيه مَنْ أَشَاءُ»[١].

وعن أبي موسى -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «مَثَلُ المسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا يَعْمَلُونَ لَهُ عَمَلًا إِلَى اللَّيْلِ، فَعَمِلُوا إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ، فَقَالُوا: لَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى أَجْرِكَ؛ فَاسْتَأْجَرَ آخَرِينَ، فَقَالَ: أَكْمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِكُمْ، وَلَكُمْ الَّذِي شَرَطْتُ، فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا كَانَ حِينَ صَلَاةِ الْعَصْرِ قَالُوا: لَكَ مَا عَمِلْنَا، فَاسْتَأْجَرَ قَوْمًا، فَعَمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حَتَّى غَابَتْ الشَّمْسُ، وَاسْتَكْمَلُوا أَجْرَ الْفَرِيقَيْنِ»[٢].

قال الحافظ في «الفتح»: «واستُدِلَّ به على أن بقاء هذه الأمة يزيد على الألف؛ لأنه يقتضي أن مدة اليهود نظير مدتي النصارى والمسلمين، وقد اتفق أهل النقل على أن مدة اليهود إلى بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم-

---

(١) رواه البخاري (٥٥٧)، (٢/ ٣٨-فتح)، (٢٢٦٨)، (٢٢٦٩)، (٣٤٥٩)، (٥٠٢١)، (٧٤٦٧)، والترمذي (٢٨٧٥).

(٢) رواه البخاري (٥٥٨)، (٢/ ٣٨-الفتح).

كانت أكثر من ألفي سنة(١)، ومدة النصارى من ذلك ستمائة -وقيل: أقل- فتكون مدة المسلمين أكثر من ألفٍ قطعًا»(٢).

ثم إن صاحب كتاب «عمر أمة الإسلام» يقول: «إن مدة عمر اليهود تساوي مدتي عمر النصارى والمسلمين مجتمعتين، ومدة عمر النصارى هي

---

(١) ينبغي التنبه إلى أن هذا لا يعني أن مدة اليهود أكثر من ألفي سنة؛ لأن عمر أي أمة يكون منذ بعثة نبيها إلى بعثة النبي الذي بعده، فعمر أمة اليهود من بعثة موسى إلى بعثة عيسى عليهما السلام، وعليه فإن عمر أمة اليهود = ٢٠٠٠ - ٦٠٠= ١٤٠٠سنة.

وبما أن عمر اليهود = عمر النصارى والمسلمين معًا؛ إذًا:

عمر المسلمين = عمر اليهود - عمر النصارى.

أي: ١٤٠٠ - ٦٠٠= ٨٠٠ عامًا فقط.

وهذه النتيجة تتناقض مع زعم أن مدة المسلمين أكثر من ألف عام كما ادعى المستدل المجهول الذي نقل عنه الحافظ، وكذا مقلِّدُه أمين جمال الدين، الذي وقع في ورطة، وإزاء إصراره على أن الأمة في النزع الأخير، وأننا الآن في حقبة ما قبل النهاية، وجد مخرجًا يسمح له بزيادة خمسمائة سنة، وذلك في حديث: «إني لأرجو ألا تعجز أمتي عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم»، فاتكأ على الزيادة الضعيفة، واستنتج أن عمر الأمة ٨٠٠ مضافًا إليها خمسة مائة سنة، فيكون المجموع ٨٠٠ مضافًا إليها ٥٠٠ = ١٣٠٠ سنة.

وكان قد ظفر بقول نُسب إلى أهل النقل أنهم اتفقوا على أن مدة اليهود إلى بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم- (أكثر) من ألفي سنة، فالتقط كلمة (أكثر)، وزعم أنها تقدر بحوالي مائة سنة.

وبهذا صار عمر أمة الإسلام ١٣٠٠ سنة مضافًا إليها ١٠٠ سنة = ١٤٠٠ سنة.

وبهذا يتضح افتقار «بحثه» إلى الموضوعية والمصداقية؛ لأنه خاضع لهوى النفس، مُنقاد لرغبة جامحة تلح عليه في كل سطر بأن تكون النتيجة -وبكل سبيل- أن الأمة الآن تلفظ أنفاسها الأخيرة!!

(٢) «فتح الباري» (٤/ ٤٤٩).

ستمائة سنة[١]؛ فإذا طرحنا مدة عمر النصارى ٦٠٠ سنة من ألفين -وهي مدة أهل الكتاب إلى بعثة محمد -صلى الله عليه وسلم- كان الناتج عمر أمة اليهود.

٢٠٠٠ - ٦٠٠= ١٤٠٠ سنة، وتزيد قليلًا.

وذكر أهل النقل والتاريخ[٢] أن هذه الزيادة تزيد عن المائة قليلًا، إذًا وبالتقريب؛ فإن عمر أمة اليهود يساوي ١٥٠٠سنة.

وحيث إن عمر أمة الإسلام يساوي عمر أمة اليهود مطروحًا منه عمر أمة النصارى؛ فيكون عمر أمة الإسلام ١٥٠٠ - ٦٠٠ = ٩٠٠ سنة، وتزيد قليلًا.

وعن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: **«إِنِّي لَأَرْجُو أَلَّا تَعْجزَ أُمَّتِي عِنْدَ رَبِّهَا أَنْ يُؤَخِّرَهُم نِصْفَ يَومٍ، قِيلَ لِسَعْدٍ -رضي الله عنه-: كَمْ نِصْف يَوم؟ قَالَ خَمسمائَة سَنَة»**[٣].

فعمر أمة الإسلام = ٩٠٠ مضافًا إليها ٥٠٠ = ١٤٠٠ سنة، وتزيد قليلًا.

---

(١) بناء على قول سلمان -رضي الله عنه-: «فترة بين عيسى ومحمد -صلى الله عليه وسلم- ستمائة سنة» عزاه في «الفتح» (٢/ ٤٠) إلى صحيح البخاري.

(٢) ولم يذكر مَنْ هؤلاء؟ ولا: أين قالوا ذلك؟

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٧٠)، وأبو داود «صحيح أبي داود» (٣/ ٨٢١)، وصححه الألباني أيضًا في «الصحيحة» رقم (١٦٤٣)، دون زيادة: «قيل لسعد: كم نصف يوم؟ قال: خمسمائة سنة»، فإن في إسنادها انقطاعًا، كما قال الحافظ في الفتح (١١/ ٣٥١).

ثم يستند إلى قول الإمام السيوطي في رسالته المسماة «الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف» في بيان خروج المهدي: «الذي دلت عليه الآثار أن مدة هذه الأمة تزيد على الألف، ولا تبلغ الزيادة خمسمائة سنة أصلًا».

ثم يقول: «ونحن الآن في سنة **١٤١٨**من الهجرة، ولكننا في سنة **١٤٣٠** من البعثة، فنحن نعيش حقبة ما قبل النهاية، وفي مرحلة الاستعداد للفتن، والملاحم الأخيرة التي تسبق ظهور العلامات الكبرى»(١).

وَالجوَابُ عَنْ هَذَا:

أن الأحاديث التي استدل بها مجرد مثال، وقد قال إمام الحرمين: «**إن الأحكام لا تُؤْخَذُ من الأحاديث التي تأتي لضرب الأمثال**»(٢)، وقال الحافظ ابن رجب: «وهذا الحديث إنما ساقه النبي -صلى الله عليه وسلم- مساق ضرب الأمثال، **والأمثال مظنة التوسع فيها**»(٣). اهـ.

ولا يلزم من التمثيل والتشبيه التسويةُ من كل جهة، قال الحافظ -رحمه الله تعالى-: «لا يلزمهم من كونهم أكثر عملًا أن يكونوا أكثر زمانًا؛ لاحتمال كون العمل في زمنهم كان أشق؛ ويؤيده قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

---

(١) «عمر أمة الإسلام» ص(٤٣، ٤٥، ٤٨).
(٢) نقله عنه الحافظ في «الفتح» (٢/ ٣٩).
(٣) «فتح الباري» للحافظ ابن رجب (٤/ ٣٤١).

ومما يؤيد كون المراد كثرة العمل وقلته، لا بالنسبة إلى طول الزمان، وقصره: كونُ أهل الأخبار متفقين على أن المدة التي بين عيسى ونبينا -صلى الله عليه وسلم- دون المدة التي بين نبينا -صلى الله عليه وسلم- وقيام الساعة؛ لأن جمهور أهل المعرفة بالأخبار قالوا: إن مدة الفترة بين عيسى ونبينا -صلى الله عليه وسلم- ستمائة سنة، وثبت ذلك في صحيح البخاري عن سلمان، وقيل: إنها دون ذلك؛ حتى جاء عن بعضهم أنها مائة وخمس وعشرون سنة، وهذه مدة المسلمين بالمشاهدة أكثر من ذلك، فلو تمسكنا بأن المراد التمثيل بطول الزمانين وقصَرهما؛ للزم أن يكون وقت العصر أطول من وقت الظهر، ولا قائل به؛ فَدَلَّ على أن المراد كثرة العمل وقلته، والله -سبحانه وتعالى- أعلم»[(١)] اهـ.

وخلاصة القول في هذا: أن هذه الأحاديث إنما تدل على أنه ما بقي بالنسبة لما مضى شيء يسير، لكن لا يعلم مقدار ما مضى وما بقي إلا الله تعالى، ولم يَجِئْ فيه تحديدٌ يصح سنده.

قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله تعالى-: «مدةُ الماضي من الدنيا إلى بعثة محمد -صلى الله عليه وسلم-، ومدةُ الباقي منها إلى يوم القيامة لا يعلمُهُ على الحقيقةِ إلاَّ اللهُ -عز وجل-، وما يُذْكَرُ في ذلكَ؛ فإنَّما هو ظنونٌ لا تفيدُ علمًا»[(٢)]. اهـ

---

(١) «فتح الباري» (٢/ ٤٠).

(٢) «فتح الباري» لابن رجب (٤/ ٣٤٤).

قال بعض العلماء: المرادُ تشبيه من تقدم بأول النهار إلى الظهر والعصر، في كثرة العمل الشَّاقِ والتكليف، وتشبيه هذه الأمة بما بين العصر والليل في قلة ذلك وتخفيفه، وليس المراد طول الزمن وقصره؛ إذ مدة هذه الأمة أطول من مدة أهل الإنجيل.

وكان لهذه الأمة قيراطان من الأجر؛ لإيمانهم بموسى وعيسى مع إيمانهم بمحمد -صلى الله عليه وسلم-؛ لأن التصديقَ عَمَلٌ.

ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [المائدة: ٥٩].

ونختم هذا المبحث بما قالهُ شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في سياق ذم الفلاسفة والمنجِّمين، إذ قال -رحمه الله تعالى-:

«ولهذا لا تزال أحكامهم كاذبة متهافتة، حتى إن كبير الفلاسفة الذي يسمونه «فيلسوف الإسلام» يعقوب بن إسحاق الكندي عملَ تسييرًا لهذه الملة: زعم أنها تنقضي عام ثلاث وتسعين وستمائة، وأَخَذَ ذلك منه مَن أخرج «مخرج الاستخراج» من حروف كلام ظهر في الكشف لبعض من أعاده، ووافقهم على ذلك مَن زعم أنه استخرج بقاء هذه الملة من حساب الجمل، الذي للحروف التي في أوائل السُّور» إلى أن قال -رحمه الله تعالى-:

«فهذه الأمور التي توجد في ضُلَّال اليهود والنصارى وضُلَّال المشركين والصابئين من المتفلسفة والمنجمين: مشتملة من هذا الباطل على ما لا يعلمه إلا الله تعالى.

وهذه الأمور وأشباهها خارجة عن دين الإسلام، مُحَرَّمَةٌ فيه، فيجب إنكارها، والنهي عنها على المسلمين، على كل قادر: بالعلم والبيان، واليد واللسان، فإن ذلك من أعظم ما أوجبه الله من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهؤلاء وأشباههم **أعداء الرسل، وسُوسُ الملل**»[١]. اهـ

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/١٨٩ - ١٩٠).

الباب الرابع

ضوابط التعامل مع نصوص الفتن وأشراط الساعة

ضوابط التعامل مع نصوص الفتن وأشراط الساعة

«المنهجية» شرط لقيام العلم على ساقه، ومعناها أن تكون هناك طريقة صحيحة يلتئم تحتها شتات الوقائع والمفردات المبعثرة هنا وهناك؛ بغية تفسير ما بينها من روابط أو علاقات تنظمها قوانين محددة.

و«المنهجية» تحفظ للعلم نظامه واتساقه، وتضبط العقل البشري، والوظائف الذهنية بقواعد ثابتة تعينه على الوصول إلى الحقيقة، وفهمها على ما هي عليه.

إن «المنهج» السلفي قد امتاز بخصائص فائقة، أهمها: وحدة مصدر التلقي وهو مشكاة النبوة، لا غير، ثم إنه منهج توقيفي يقوم على التسليم لنصوص الوحيين الشريفين دون منازعتها بما يخالفها، بل يقف حيث تقف النصوص، بجانب أنه لا يهدر وظيفة العقل، بل يضعه موضعه اللائق به.

وفي هذا الفصل محاولة لاستخراج ضوابط كلية تضبط تعاملنا مع نصوص الكتاب والسُّنَّة الصحيحة الواردة في الفتن وأشراط الساعة عسى أن تبصرنا بالطريق الأمثل لفهمها أو تطبيقها في الواقع دون إفراط ولا تفريط.

الضَّابِطُ الأول: لاَ يُسْتَنْكَرُ تَوَقعُ حُصُولِ شَيْءٍ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ بِشُرُوطٍ

إن ترقُّبَ حصول أشراط الساعة التي تقع بإرادة الله -عز وجل- الكونية القدرية ليس بدعة ولا خطأ؛ خاصَّةً إذا تعاقبت الإرهاصات، والمقدمات التي جاءت بها الأخبار؛ ودليل ذلك أن الصحابة -رضي الله عنهم- لما سمعوا رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- يُحَدِّثُهُمْ عن الدَّجال فَخَفَّضَ فيه ورفَّع؛ ظنوا أنه في طائفة النخل[١]، وشَكُّوا في ابن صيَّادٍ أنه المسيحُ الدجال، بل منهم من أقسم لرسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- على ذلك؛ كما في الأحاديث الصحيحة عن عمر وجابر -رضي الله عنهما- ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم ينكر على عُمَرَ، بل قال -صلى الله عليه وسلم-: «إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فيكم؛ فَأَنَا حَجِيجُه دُونكُم»، وكذلك شَكَّت فيه حفصة وابن عمر، وغيرهما من الصحابة -رضي الله عنهم-[٢].

ويُرْوَى عن أبي ذرٍّ الغِفاري -رضي الله عنه-، قال: «ما تؤيسني رقة عظمي، ولا بياض شعري أن ألقى عيسى ابن مريم»[٣].

ولا يزال العلماء في كل عصر ومَصرٍ يتكلمون بذلك، ويتوقعون قربَ حصولِ بعضِ الأشراط، قال القرطبي -رحمه الله تعالى-: «كل ما وقع في حديث معاوية هذا فقد شاهدناه بتلك البلاد، وعاينَّا معظمَه إلا خروج المهدي»[٤]. اهـ.

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٩٣٧)، وأبو داود رقم (٤٣٢١)، (٤٣٢٢)، والترمذي رقم (٢٢٤١).
(٢) انظر: «جامع الأصول» (١٠/ ٣٦٢-٣٧٥).
(٣) «طبقات ابن سعد» (٤/ ٢٣).
(٤) «التذكرة» ص(٧٢٥).

وقال محمد صديق حسن خان -رحمه الله تعالى-: «... وهذه الجملة من الأشراط موجودة تحت أديم السماء؛ وهي في التزايد يومًا فيومًا، وقد كادت أن تبلغ الغاية، أو قد بلغت، ولم يبقَ إلا الأشراط الكبرى التي أوَّلُها ظهورُ المهديِّ عليه السلام»[(١)].

ولا شك أننا الآن أقرب إلى هذه العلامة من أي وقتٍ مضى.

أَمَّا شُرُوطُ هَذَا الضَّابِطِ:

فَأَوَّلُهَا: أن تبقى هذه الأشراط في دائرة التوقع المظنون دون أن نتكلف إيجادها بإجراءاتٍ من عند أنفسنا؛ لأنها أمور كونية قدرية واقعة لا محالة، ولم نخاطَب باستخراجها من عالَم الغيب إلى عالم الشهادة.

وَثَانِيهَا: أن يُراعَى الترتيبُ الزمني لتسلسل الأشراط؛ طبقًا لما دلت عليه نصوص الوحي الشريف، وعدم القطع بزمان أو ترتيب ما لا دليل على زمنه وترتيبه إلا الظن والتخمين[(٢)].

---

(١) «الإذاعة» ص(١١٠، ١١١).

(٢) فمن أشراط الساعة ما قطعت النصوص بتعيين ترتيبها؛ مثل: الدجال، يليه نزول المسيح، يليه يأجوج ومأجوج. ومثل قوله -صلى الله عليه وسلم-: «عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال»، رواه أبو داود رقم (٤٢٩٤)، وحسَّنه الألباني في «صحيح أبي داود» رقم (٣٦٠٩).
ومنها: مقدمات إجمالية ذُكِرَتْ دون تعيين ترتيبها بالنسبة لما يتوقع من الأشراط؛ كانحسار الفرات عن جبل من ذهب، وعودة أرض العرب مروجًا وأنهارًا، ونحو ذلك.

=

= **فَائِدَةٌ:**

أَشْرَاطُ السَّاعَةِ قِسْمَانِ: صغرى تُؤْذِنُ بقرب الساعة، وكبرى تُؤْذِنُ بوقوع الساعة. وقد اختلف العلماء في عددها وترتيبها، واختلافهم في العدد يعود إلى سببين:

الأَوَّل: اختلافهم في صحة سند الحديث؛ فمَن تساهل، زاد في عددها، ومن تشدد ودقق، وجدها أقل.

والثَّانِي: اختلافهم في تصنيف بعض الأشراط بين الصغرى والكبرى؛ فظهور المهدي -مثلاً- عدَّه بعضهم من الصغرى، ورآه آخرون من الكبرى؛ كما ذهب قوم إلى أن طلوع الشمس من مغربها أول الأمارات الكبرى، ورأى آخرون أن أولها الدجال.

وكثيرًا ما يحدث لدى الكلام عن الساعة وأشراطها، وعما يكون بعدها؛ أن يطويَ بعضُ الرواة بعضَ المشاهد، أو يَفهم بعضُهم عمن حدَّثه فَهمًا خاصًا، فيصوغه بعبارته؛ فيحدث لبس أو وهم.

أما اختلافهم في تسلسل وقوع بعضها -أحيانًا- فسببه عدم وجود نص صريح يبين ترتيبها حسب وقوعها، ولا سيما الكبرى، وقد جاء ذكرها في الأحاديث مجتمعة بدون ترتيب غالبًا، فقد عطفت بالواو، أو بـ«أو»؛ وكلاهما لا يفيد الترتيب، بل إن الحديث الواحد ليختلف ترتيبه بين رواية ورواية؛ فحديث حذيفة بنِ أَسِيد الغفاري -رضي الله عنه- وفيه قوله -صلى الله عليه وسلم-: «**إنها** -أي: الساعة- **لن تقوم حتى ترونَ قبلها عَشْرَ آياتٍ**، فذكر الدخانَ، والدجالَ، والدابة» الحديث رواه مسلم عنه بلفظين مختلفين في الترتيب، رقم (٢٩٠١) (٤/ ٢٢٢٥)، وكذلك حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- «**بادروا بالأعمال ستًّا**» الحديث رواه مسلم (٢٩٤٧) (٤/ ٢٢٦٧)، وإحدى الروايتين بالواو، والأخرى بـ«أو»، وهما لا يدلان على الترتيب، إلا أن تسلسل بعضها يقيني؛ فقد ذكرَتْ بعضُ الروايات الأشراطَ مرتبةً حسب وقوعها؛ كما في حديث النواس بن سمعان -رضي الله عنه- رواه مسلم رقم (٢٩٣٧)، (٤/ ٢٢٥٠)، ومن ناحية أخرى فإن بعض الروايات ذكرت أن أول الآيات كذا، وبعضها ذكر أن أول الآيات غير ذلك، وقد حاول العلماء الجمع والتوفيق بين الروايات؛ بأن الأولية بينها نسبية، أو من ناحية مخصوصة؛ ففي حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما-: «إن أول الآيات خروجًا طلوع=

تنبيه:

اعلم -رحمك الله تعالى- أن كون الشيء من أشراط الساعة لا يستلزم الحكم عليه بحكم تكليفي؛ فإن أشراط الساعة تشتمل على: المحرم، والواجب، والمباح، والخير، والشر، فالحكم التكليفي يؤخذ من دليل آخر؛ لأن النصوص الواردة في الفتن وأشراط الساعة قد تخبر بأمور واقعة لا محالة كونًا وقدرًا، لكنها محظورة شرعًا؛ كسفر المرأة بغير محرم -مثلًا- ممنوع شرعًا، لكنه واقع قدرًا، كما في الحديث:

عن عدي بن حاتم -رضي الله عنه- قال: بينا أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم، إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: «**يا عدي، هل رأيت الحِيرةَ؟**» قلت: لم أرها، وقد أنبئت عنها، قال: «**فإن طالت بك حياة لَتَرَيَنَّ الظعينة**[1] **ترتحل من الحِيرة حتى تطوف بالكعبة، لا تخاف أحدًا إلا الله**»، قلت -فيما بيني وبين نفسي-: «فأين دُعَّارُ طيِّءٍ الذين قد سعَّروا البلاد؟» الحديث[2].

= الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى» الحديث؛ أي: أول الآيات التي ليست مألوفة، وهي مخالفة للعادات المستقرة، فطلوع الشمس من مغربها أول الآيات السماوية، وخروج الدابة أول الآيات الأرضية، وهما العلامة الأولى لتغيير أحوال الكون، وقرب قيام الساعة.

وأكثر الخلاف إنما هو في الأشراط الكبرى، أما الصغرى؛ فأكثرها يُعرف ترتيبه من خلال حدوث بعضها إثر بعض. وانظر: «المسيح المنتظر ونهاية العالم» ص(٨، ٩).

(١) الظعينة -هنا-: المرأة، انظر «النهاية» (٣/ ١٥٧).

(٢) رواه البخاري (٦/ ٤٥٠-فتح)، والإمام أحمد (٤/ ٢٥٧).

وعليه فلا يصح الاستدلال بمثل هذا النص على إباحة سفر المرأة بدون محرم، الذي دلت الأحاديث الصحيحة على تحريمه.

وَثَالِثُهَا: أن لا يُؤَثِّرَ هذا الترقبُ سلبًا على أداء واجب الوقت، وتكاليف الشرع.

والدليل على ذلك أن صحابة رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم، ورضي الله عنهم أجمعين-، قد صدَّقوا بهذه الأشراط، وكانوا أول المؤمنين بها، ولم يهدروا التكاليف الشرعية كالدعوة، وطلب العلم، والجهاد انتظارًا لوقوعها؛ بل كان تصديقهم بها أكبر حافز لهم على التنافس في القربات، والاجتهاد في الطاعات؛ امتثالًا منهم لأمر نبيهم -صلى الله عليه وآله وسلم-: «**بادِرُوا بالأعْمَال سِتًّا**»، وذكر من أشراط الساعة: «**طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، والدَّجَّالَ، والدُّخَانَ، ودَابَّةَ الأَرْضِ، وخَاصَّةَ أَحَدِكُم، وَأَمْرَ العَامَّة**»(١).

ونزل بين ظهرانيهم قولُ الله -عز وجل-: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: ١]، وقوله سبحانه: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾ [الأنبياء: ١]، وقوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، وقوله -عز وجل-: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ۝١٧ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾ الآية [الشورى: ١٧، ١٨].

---

(١) رواه من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- مسلمٌ، رقم (٢٩٤٧) في الفتن، باب في بقية من أحاديث الدجال، وفي بعض الروايات: «خُوَيْصة» تصغير خاصة الإنسان، وهي ما يخصه دون غيره، وأراد به الموت؛ الذي يخصه، ويمنعه من العمل، إن لم يبادر به قبله؛ كما في «جامع الأصول» (١٠/ ٤١٢).

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣](١)، وقد أثنى الله -عز وجل- على الصحابة -رضي الله عنهم-، وامتدح من اتَّبَعَهُمْ بإحسانٍ؛ فمن خالف هديهم؛ فقد ضَلَّ ضلالًا بعيدًا، واتَّبع غير سبيل المؤمنين(٢).

فَائِدَةٌ

عن أبي موسى -رضي الله عنه- قال: خَسَفَتِ الشَّمْسُ، فَقَامَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَزِعًا يَخْشَى أَنْ تَكُونَ السَّاعَةُ، فَأَتَى المسْجِدَ فَصَلَّى بِأَطْوَلِ قِيَامٍ وَرُكُوعٍ وَسُجُودٍ، مَا رَأَيْتُهُ قَطُّ يَفْعَلُهُ، وَقَالَ: «**هَذِهِ الْآيَاتُ الَّتِي يُرْسِلُ اللَّهُ لَا تَكُونُ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ وَلَكِنْ يُخَوِّفُ اللهُ بِها عِبَادَهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ**»(٣).

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى-: «يُشْكِل هذا الحديث مِن حيث إن للساعة مقدِّماتٍ كثيرةً لم تكن وقعت؛ كفتح البلاد، واستخلاف الخلفاء، وخروج الخوارج، ثم الأشراط؛ كطلوع الشمس من مغربها، والدابة، والدجال، والدخان، وغير ذلك.

وَيُجَابُ عَنْ هَذَا:

- باحتمال أن تكون قصة الكسوف وقعت قبل إعلام النبي -صلى الله عليه وسلم- بهذه العلامات.

- أو لعله خشي أن يكون ذلك بعض المقدمات.

---

(١) ولا يَستبعدُ وقوعَ الساعة، واقترابَ أشراطِها إلا الغارقون في الشهوات؛ فمِن ثَمَّ جاءت هذه الآياتُ واعظة لهم ومخوِّفة.

(٢) وانظر تفصيل هذا الشرط الثالث ص (٢٩٧-٣٠٥).

(٣) رواه البخاري (٢/ ٥٤٥).

- أو أن الراويَ ظن أن الخشية لذلك، وكانت لغيره؛ كعقوبةٍ تحدث؛ كما كان يخشى عند هبوب الريح[١]؛ هذا حاصل ما ذكره النووي تبعًا لغيره، وزاد بعضهم:

- أن المراد بالساعة غير يوم القيامة؛ أي: الساعة التي جُعلت علامة على أمرٍ من الأمور؛ كموته -صلى الله عليه وسلم- أو غير ذلك»، ثم طفق الحافظ -رحمه الله تعالى- يُعَلِّقُ على هذه الأقوال، فقال: «وفي الأول نظر؛ لأن قصة الكسوف متأخرة جدًّا؛ فقد تقدم أن موت إبراهيم كان في العاشرة؛ كما اتَّفَقَ عليه أهل الأخبار، وقد أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- بكثير من الأشراط، والحوادث قبل ذلك.

- وأما الثَّالِثُ؛ فتحسين الظن بالصحابي يقتضي أنه لا يجزم بذلك إلا بتوقيف.

- وأما الرابع، فلا يخفى بُعْدُه.

---

(١) وفي حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: وكان -صلى الله عليه وسلم- إذا رأى غيمًا -أو ريحًا- عُرِف ذلك في وجهه، قالت: يا رسول الله، الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرفتُ في وجهك الكراهية؟ فقال: **«يا عائشة، ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب، قد عُذِّب قوم بالريح، وقد رأى قومٌ العذاب فقالوا: هذا عارض ممطرنا»** رواه البخاري (٨/ ٤٤١) ومسلم (٢/ ١٦) ص(٦١٦).

وعنها -رضي الله عنها- قالت: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا عصفت الريح، قال: **«اللهم، إني أسألك خيرها، وخير ما فيها، وخير ما أُرسلت به، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به»**، قالت: وإذا تخيَّلت السماء تغيَّر لونه، وخرج ودخل، وأقبل وأدبر، فإذا مطرت سُرِّي عنه، فعرفت ذلك عائشة، فسألته، فقال: **«لعله يا عائشة كما قال قوم عاد: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾»**.

أخرجه مسلم (٢/ ١٥/ ص٦١٦)، تخيَّلت السماء: تغيَّمت، وتهيأت للمطر.

- وأقربها الثاني، فلعله خشي أن يكون الكسوف مقدمة لبعض الأشراط؛ كطلوع الشمس من مغربها، ولا يستحيل أن يتخلل بين الكسوف والطلوع المذكور أشياء مما ذكر، وتقع متتاليةً بعضها إثر بعض، مع استحضار قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾ [النحل: ٧٧].

- وقيل: لعله قدَّر وقوع الممكن، لولا ما أعلمه الله تعالى بأنه لا يقع قبل الأشراط؛ تعظيمًا منه لأمر الكسوف؛ ليتبين لمن يقع له من أمته ذلك كيف يخشى ويفزع، لا سيما إذا وقع لهم ذلك بعد حصول الأشراط، أو أكثرها.

- وقيل: لعل حالة استحضار إمكان القدرة غلبت على استحضار ما تقدم من الشروط؛ لاحتمال أن تكون تلك الأشراط كانت مشروطة بشرطٍ لم يتقدم ذكره؛ فيقع المخوف بغير أشراطٍ؛ لفقد الشرط، والله سبحانه وتعالى أعلم»[(١)]. اهـ. كلامه رحمه الله تعالى.

وعن جابر -رضي الله عنه- قال: هاجت ريحٌ حمراءُ بالكوفة، فجاء رجلٌ ليس له هِجِّيرَى إلا: يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة، قال: فقعد -وكان متكئًا- فقال: «إن الساعة لا تقوم حتى لا يُقْسَمَ ميراثٌ، ولا يُفْرَحَ بغنيمة»، ثم قال بيده هكذا، ونحَّاها نحو الشأم، فقال: «عَدُوٌّ يجمعون لأهل الإسلام، ويَجمع لهم أهلُ الإسلام»، قلت: الرومَ تعني؟ قال: «نعم»... الحديث[(٢)].

فتأمل كيف أنكر ابن مسعود -رضي الله عنه- غلُوَّه في توقع قيام الساعة إلى حدِّ الْقَطْعِ بأنها «جاءت» بالفعل، دون اعتبار لما قبلها من الأشراط.

---

(١) «فتح الباري» (٢/٥٤٦).

(٢) رواه مسلم في «صحيحه»، (١٨/ ٢٣، ٢٤ - نووي).

الضَّابِطُ الثَّانِي: الانْتِبَاهُ إِلَى النِّسْبِيَّةِ الزَّمَانِيَّةِ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى اقْتِرَابِ السَّاعَةِ

إن ما ورد في نصوص الوحيين من قرب قيام الساعة، وظهور أماراتها لا يعني أنها على الأبواب؛ فإن القرب والبعد كلاهما أمرٌ نسبي، ومن يدري لعل بيننا وبينها آلافًا من السنين لا يعلمها إلا الله، ولعلها أقرب مما نتصور؟!

قال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧]، وقال -عز وجل-: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣]، وفي معناهما قوله تعالى في سياق الرد على منكري البعث والإعادة: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٥١]، وفي التعبير عن قربه بـ«العل»، و«عسى» ما يناسب عدم إطْلاعِ اللهِ رسولَه -صلى الله عليه وسلم- على وقته، ولا شك أن قرب ذلك اليوم الذي مقداره من مبدئه إلى غايته خمسون ألف سنة مناسب له، ولما تقدم من عمر الدنيا، وبقي منه؛ فالقرب والبعد من الأمور النسبية، والمراد: قربها بالنسبة إلى ما مضى من عمر الدنيا، ولا يعلمه إلا الله تعالى(١).

قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [القتال: ٨]، وعن سهل بن سعد -رضي الله عنه- قال: «رأيت رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- قال بأصبعيه هكذا، الوسطى والتي تلي الإبهام، وقال: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**»(٢).

---

(١) انظر: «تفسير المنار» (٩/ ٣٩٣).

(٢) رواه البخاري (٦٥٠٣)، (١١/ ٣٤٧ - فتح)، ومسلم (٢٩٥٠)، والمعنى: أننا لو قدرنا عمر الزمن بالأصبع الوسطى؛ فإن ما بقي منه عند مبعث رسول الله =

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ؛ كَفَضْلِ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى، وَضَمَّ السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى**»[١].

إن بعثة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من أشراط الساعة، وكذلك موته -صلى الله عليه وسلم-، فقد قال -صلى الله عليه وسلم- لعوف بن مالك -رضي الله عنه-: «**أُعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ: مَوْتِي**»[٢] الحديث.

وقال الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: ١]، وقد تواترت الأحاديث بوقوع انشقاق القمر[٣]، وعن خالد بن عمير -رضي الله عنه-، قال: خطبنا رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-؛ فحمِد الله، وأثنى عليه، ثم قال: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِصَرْمٍ**»[٤]،

= -صلى الله عليه وسلم- يكون بمقدار ما تزيد الوسطى عن السبابة، وما مضى منه بمقدار السبابة من الأصبع الوسطى، قد يكون الباقي في حسِّ البشر طويلا؛ لأن إدراكهم محدود، ولكنه في ميزان الله سبحانه قريب وقصير؛ قال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، وقال -عز وجل-: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧].

(١) رواه البخاري (٦٥٠٤)، (١١/ ٣٤٧ - فتح)، ومسلم، (٢٩٥١)، والترمذي (٢٢١٤، ٢٢١٥).

(٢) رواه البخاري (٣١٧٦)، (٦/ ٢٧٧).

(٣) انظر: «شرح النووي» (١٧/ ١٤٣)، «تفسير القرآن العظيم» (٧/ ٤٧٧) ط. دار الحديث- القاهرة- ١٤٢٣هـ.

(٤) صَرْم: انقطاع وانقضاء وذَهاب. حَذَّاء: خفيفة سريعة. الصُّبابة: البقية اليسيرة من الشراب، تبقى في أسفل الإناء.

وَوَلَّتْ حَذَّاءَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلا صُبَابَةٌ؛ كَصُبَابَةِ الإِنَاءِ؛ يَتَصَابُّهَا صَاحِبُهَا» الحديث[١]، فإذا كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد قال هذا قبل أكثر من أربعةَ عشرَ قرنًا؛ فهمنا من هذه النصوص وغيرها أن قرب الساعة قُرْبٌ نِسْبِيٌّ؛ أي: هي قريبة بالنسبة إلى عُمر الدنيا كلها، وقد رَوَى المطلب بن عبد الله، عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أنه كان واقفًا بعرفات، فنظر إلى الشمس حين تدلت مثل التُّرْس للغروب، فبكَى واشتد بكاؤه، فقال له رجلٌ عنده: يا أبا عبدِ الرحمن، قد وقفتَ معي مرارًا لم تصنع هذا، فقال: ذكرت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وهو واقفٌ بمكاني هذا، فقال: **«أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ دُنْيَاكُمْ فِيمَا مَضَى مِنْهَا إِلَّا كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا فِيمَا مَضَى مِنْهُ»**[٢].

وقال الله -تعالى- في شأن الساعة: ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٧٨].

وهذا يُفَسِّرُهُ قولُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في اقتراب الساعة، وقرب وقوعها: إِنَّهَا **«كَالحَامِلِ الْمُتِمِّ الَّتِي لَا يَدْرِي أَهْلُهَا مَتَى تَفْجَؤُهُمْ بِوِلَادِهَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا»**[٣].

«والقول الجامع للآية، والحديث: إن الثِّقَلَ هو الاقتراب بصورةٍ ثابتةٍ للحق على الرغم من تغير مراحل هذا الاقتراب؛ تمامًا مثل الجنين الذي

---

(١) رواه الإمام أحمد رقم (١٧٥٧٥) (٢٩/ ١١٤)، ومسلم رقم (٢٩٦٧) (١٤).

(٢) رواه الإمام أحمد، (٦١٧٣)، (٩/ ٢٧)، وقال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده صحيح».

(٣) عَجُز حديثٍ رواه الإمام أحمد (٣٥٥٦)، (٥/ ١٨٩)، وقال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده صحيح».

يَتَغَيَّرُ كل يوم من حالٍ إلى حال، ولكنه مُتَّجِهٌ نحو الولادة؛ فلا يخرج التغير اليومي على التوجه للولادة، وكما لا تنفصل الولادة عن لحظة الجماع الأولى؛ لا تنفصل الساعة عن بدء الخلق»(١) .

كل ما هو آتٍ قريب
والبعيد: ما ليس بآتٍ

قال العلَّامة محمد بن إسماعيل الصنعاني -رحمه الله تعالى-:

«والإخبار عن قربها -أي: الساعة- من مبعثه صلى الله عليه وسلم يحتمل أنه إخبار عن قربها عند الله تعالى، وإن كانت بعيدة في المدة، ردًّا لقول المشركين بأنه لا قيام لها، وإليه أشار قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ [المعارج: ٦، ٧]، فإنه أخرج عبد بن حميد عن الأعمش: «يرونه بعيدًا، قال: الساعة».

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦﴾ قال: «تكذيبهم»، ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ قال: «صدقًا كائنًا».

ويحتمل أن المراد قربُ أشراطها من بعثته صلى الله عليه وسلم...»(٢) . اهـ.

ثم ذكر بعض ما وقع من الأشراط، وبيَّن أن المراد من قوله -صلى الله عليه وسلم-: «**بُعثت أنا والساعة كهاتين**» أي: «أنا وأشراط

---

(١) «علامات الساعة» ص(٢٩).
(٢) «رسالة شريفة» ص(٥٣).

الساعة»، وقال: «وتقدير المضاف للقرائن ثابت لغة كتابًا وسُنَّةً لا نكير فيه» إلى أن قال -رحمه الله تعالى-: «ثم إنه يدل لتقدير المضاف أمر آخر، وهو أنه قد مضى بعد وفاته -صلى الله عليه وسلم- قريب من اثنتي عشرة مائة، ولم تقم الساعة، فلا قرب لقيامها ببعثته بل بأشراطها، والله أعلم»[(١)]. اهـ.

إن القرون -التي يستطيلها الإنسان الذي خُلق مِن عَجَل- ما هي في عمر الدنيا إلَّا لحظات، وقيام الساعة قريبٌ في علم الله تعالى، وتقديره، وإن كانت المقاييس البشرية -لو اطلعت عليه- تراه بعيدًا، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ [المعارج: ٦، ٧]؛ فكل ما هو آتٍ قريب، والبعيد ما ليس بآت[(٢)]، وإن عامة نصوص الوحيين التي تدل على اقتراب الساعة، وأشراطها الكبرى -يجب أن تُفْهَمَ في ضوء هذه «النسبية» بين ما مضى من عمر الدنيا، وبين ما بقي منه؛ وَلَمَّا كنا لا ندري كم عمر الدنيا؛ صِرْنَا لا نستطيع الجزمَ بموعد انتهائه؛ لكننا نستطيع فقط أن نستنتج من تلك النصوص أن ما بقي بالنسبة إلى ما مضى شيء يسير، لكن لا يَعْلَمُ مقدارَ ما مضى، وما بقي إلَّا علَّامُ الغيوب، الذي وسع كل شيء علمًا- سبحانه وتعالى-.

---

(١) «نفسه» ص(٥٤، ٥٥).

(٢) ولو أنك أجَّلتَ مَن استدان منك أجلًا طويلًا -كأن تؤجله خمسين سنة مثلًا- فعند انقضاء خمس وأربعين سنة، تقول: إن موعد السداد قد اقترب؛ أي: بالنسبة لما مضى من الموعد المضروب.

وقد كَثُرَ ضرب الأمثال لهذه «النسبية» في الأحاديث النبوية الشريفة؛ ومن المعلوم أن الأحكام لا تؤخذ من الأحاديث التي تَرِدُ لضرب الأمثال؛ كما قال إمام الحرمين -رحمه الله تعالى-(١).

قال الأستاذ سعيد حوى -رحمه الله تعالى- في معرض حديثه عن علامات الساعة: «وبعض الناس تَغْلِبُ عليهم أغلاطٌ في فَهْمِ بعض هذه العلامات، أو في تقدير وقتها؛ إذ إن:

- منها ما يكون قرب الساعة بقليل جدًّا قبل المسيح بسنوات أو معه، ومنها ما يكون قبل ذلك بكثير جدًّا؛ فيغلطون بالجمع بينهما.

- ومنها ما لا تدل عليه المقدمات الحاضرة، فيغلطون في تأويلها.

- ومنها ما جعلهم عصرنا الحاضر، ومخترعاته يفهمونها فَهْمًا عاديًّا وهي خوارق.

ومنها ما هو دليلٌ على الخيرية يظنونه مذمومًا.

فمثلًا: يَظُنُّ الناس أن الدين إلى انحسارٍ حتى خروج المهدي، مع أن المهدي قبل عيسى بقليل، وقبل ذلك يعم الإسلام العالم، وتفتح روما(٢)،

(١) نقله عنه المناوي في «الفيض» (٢/ ٥٦٦).

(٢) يشير إلى ما رواه الإمام أحمد (٢/ ١٧٦)، والدرامي (١/ ١٢٦)، والحاكم (٣/ ٤٢٢)، (٤/ ٥٠٨)، وصححه، ووافقه الذهبي عن أبي قبيل، قال: «كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وسئل: «أي المدينتين تفتح أوَّلًا: القسطنطينية أو رومية؟»، فدعا عبد الله بصندوق له حِلَق، قال: فأخرج منه كتابًا، قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- نكتب؛ إذ سُئِلَ رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-: «أي المدينتين تُفتح أولًا: أقسطنطينية أو رومية؟»، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**مَدِينَةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أَوَّلًا**»؛ يعني «قسطنطينية». و«رومية»: هي «روما» عاصمة إيطاليا، و«قسطنطينية» هي «بيزنطة» و«إسطنبول». والحديث صححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٤).

والقسطنطينية اليوم مسلمة، وكانت كافرة، ففتحت[(١)]، وقد أخبر الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وسلم- بالفتح الأول، ولكن يبدو أن القسطنطينية سترجع كافرةً مَرَّةً ثانية[(٢)]، وتفتح من جديد[(٣)]، وفتحها الثاني يكون قُبيل المسيح بقليل، والناس لا يفرقون بين فتحَيْها الأول والثاني.

(١) وذلك بعد أكثر من ثمانمائة سنة من إخبار النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وسلم- بالفتح؛ أي في سنة (٨٥٧هـ)، (١٤٥٣م)، على يد السلطان محمد الفاتح العثماني -رحمه الله تعالى-.

(٢) قال الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله تعالى-: «وورد أن من أشراط الساعة فتحَ القسطنطينية، وهو في الصحاح، قال شيخ شيوخنا العلَّامة الشيخ محمود نشابة: (معناه: أن العرب يفتحونها من أشقياء الترك)، ولم يكن الشيخ من أهل السياسة، ولا كان في زمنه شيءٌ من التعادي بينهم وبين العرب، دع ما فعلته الحكومة التركية في هذا الزمان، من ترك شريعة الإسلام، وكان مسلمو الترك يحملون الأحاديث على فتح السلطان محمد لها، ولكنها صريحة في أن فتحها يتلوه في عهده ظهور الدجال». اهـ. من «تفسير المنار» (٩/ ٤٠٦).

وقال العلَّامة أحمد شاكر -رحمه الله تعالى-: «فتح القسطنطينية المبشر به في الحديث سيكون في مستقبل قريب أو بعيد، يعلمه الله -عزَّ وجلَّ- وهو الفتح الصحيح لها؛ حين يعود المسلمون إلى دينهم الذي أعرضوا عنه، وأما فتح الترك الذي كان قبل عصرنا هذا؛ فإنه كان تمهيدًا للفتح الأعظم، ثم هي قد خرجت بعد ذلك من أيدي المسلمين، منذ أعلنت حكومتهم هناك أنها حكومة غير إسلامية وغير دينية، وعاهدَت الكفارَ أعداءَ الإسلام، وحُكمت أمتها بأحكام القوانين الوثنية الكافرة، وسيعود الفتح الإسلامي لها -إن شاء الله- كما بشر به رسول الله -صلى الله عليه وسلم-». اهـ. من حاشية «عمدة التفسير» (٢/ ٢٥٦).

(٣) كأن الشيخ -رحمه الله تعالى- يقصد الإشارة إلى ما ورد في صحيح مسلم؛ من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- (١٨/ ٢١، ٢٢- نووي)، وفيه التصريح بفتح «القسطنطينية» من جديد، وقد يكون قد قصد -رحمه الله تعالى- الإشارة إلى حديثه -رضي الله عنه- الذي قد رواه مسلم أيضًا (٢٩٢٠)، عنه قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم-: =

. . . .

= «سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ؛ جَانِبٌ مِنْهَا في الْبَرِّ، وَجَانِبٌ مِنْهَا في الْبَحْرِ؟»، قالوا: نعم، يا رسول الله، قال: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ، فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا، فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ، وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ، قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا»، الحديث، وعلق الأستاذ عادل زكي على هذا الحديث، فقال: «ومعنى ذلك: أن هذه المدينة -وهي القسطنطينية على الأرجح- ستفتح رعبًا، والنصر بالرعب مما أكرم الله تعالى به نبي هذه الأمة، ففي الحديث: «نُصرتُ بالرعب مسيرة شهر» متفق عليه، وإلقاء الرعب في قلوب أعداء المسلمين مما يكرم الله تعالى به هذه الأمة، فالله تعالى يقول: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ [الأنفال: ١٢]». اهـ.

وقال -وفقه الله تعالى-: (المعروف أن القسطنطينية أو استانبول حاليًا ترتبط بالبحرين الأسود ومرمرة، وتطل في الوقت نفسه على البحر المتوسط، كما أن خليج البوسفور يقسمها إلى قسمين أوروبي وآسيوي، والوصف الموجود في الحديث للمدينة قد ينطبق على غير القسطنطينية، بل إنه قد يكون أشد انطباقًا على مدن أخرى، فالوصف الذي وصفه القزويني لروما قديمًا كما لو كان مصممًا ليدل على الوصف الموجود في الحديث.. فهو يقول في «آثار البلاد وأخبار العباد» ص (٥٩١): «روما هي مدينة لها ثلاثة جوانب في البحر والرابع في البر» وأستطيع أن أفهم أن القزويني ربما عني بروما إيطاليا كلها الآن فهي على هذه الصفة، وربما كانت روما قديمًا على البحر بهذه الصفة وذلك لأنها الآن ليست على البحر، وربما عني مدينة البندقية الإيطالية التي ينتقل الناس بين شوارعها بالقوارب). اهـ. من «المهدي: دولة الإسلام القادمة» ص(١٧٢، ١٧٣).

وقال الدكتور عمر الأشقر -حفظه الله تعالى-: «ذهب العلماء إلى أن هذه المدينة هي (القسطنطينية)، وإن لم يسمها رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم- وقد خطر ببالي أن هذه المدينة قد تكون «البندقية» في إيطاليا؛ فإن جزءًا كبيرًا من بيوتها مبنيٌّ في داخل البحر، وجزء في البر، وقد نظرت إلى المدينتين خلال زيارتي لكل واحدةٍ منهما؛ فرأيت «البندقية» أقربَ إلى المراد بالحديث، والله أعلم». اهـ. من «القيامة الصغرى» ص(٢٣٠)، وعلي أي حال فلا يمكن الجزم في مثل هذا، والعلم عند الله تعالى.

والظاهر كما أن مدنياتٍ قديمةً كثيرة قد اندرست على مر العصور؛ فإن مدنيتنا الحاضرة لن تستمر؛ إذ إن النصُوص الكثيرة تفيد أن الناس قبل قيام الساعة لن يكونوا على شيء من العلم[١] ، وهذا يؤكد أن بيننا، وبين القيامة شيئًا من الفترة الزمنية الله أعلم به، ولكن أشراطًا كثيرة وردت في السنة الثابتة لم تقع، ويبدو أن وقوعها يحتاج إلى زمان طويل، والمسألة -بعد ذلك كله- هكذا:

- ما ورد من علامات الساعة؛ إن كان وقع، فهو معجزة، وقد رأينا نماذجه في النبوءات.

- وما ورد من علاماتها مما لم يقع؛ فالإيمان به واجب، والله أعلم بزمانه، وظروفه، وكيفية وقوعه.

- ولن تقوم الساعة حتى تستنفد علاماتها، وأشراطها التي وردت في الكتاب، والسُّنَّة. وشيء ننبه إليه هو: أن لا يدفعنا واقع عصرنا إلى تأويل شيء من علامات الساعة التي لم تقع؛ لأن واقع عصرنا، وما فيه قد ينتهي بحرب ذرية تعود الإنسانية فيها إلى بدايتها الأولى، ولا يبقى فيها إلَّا الجاهلون»[٢] . اهـ.

---

(١) انظر: «القيامة الصغرى» للدكتور/ عمر الأشقر -حفظه الله تعالى- (ص٢٧٤، ٢٧٥).

(٢) «الإسلام» (٤/ ٨٥).

الضَّابِطُ الثَّالث: لا يُمْكِنُ إِسْقَاطُ النُّصُوصِ الَّتِي يَطْرُقُهَا الِاحْتِمَالُ عَلَى وَاقِعٍ مُعَيَّنٍ إِلَّا بَعْدَ وُقُوعِهَا وَانْقِضَائِهَا

إن تنزيل النصوص الشرعية المتعلقة بالفتن والملاحم على ما يقع من النوازل مع القطع بذلك دون شك ولا تردد؛ من الرجم بالغيب، ومن القول على الله بغير علم، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾.

وعن جُنْدَبٍ - رضي الله عنه- قال: جئتُ يوم الجَرَعَة[1] فإذا رجلٌ جالسٌ، فقلتُ: «لَيُهَرَاقَنَّ اليومَ ها هنا دماءٌ»، فقال ذاك الرجل: «كلا، والله!»، قلتُ: «بلى، والله!»، قال: «كلا، والله!»، قلت: «بلى، والله!»، قال: «كلا، والله! إنه لحديثُ رسولِ الله -صلى الله عليه وسلم- حَدَّثنيه»، قلت: «بئس الجليسُ لي أنت منذُ اليومِ، تسمعني أخالفك[2]، وقد سمعتَه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فلا تنهاني؟»، ثم قلت: «ما هذا الغضبُ؟» فأقبلتُ عليه وأسألُه، فإذا الرجل حذيفةُ»[3].

فتأمل! كيف خطَّأَ حذيفة جندبًا؟ لما جزم جندب بوقوع الأمر، وكيف سارع جندب إلى الرجوع عن قوله عندما تبين له أنه جزم بالأمر بدون علم[4].

---

(١) الجَرَعَةُ: موضع بقرب الكوفة على طريق الحِيرة، ويوم الجرعة يوم خرج فيه أهلُ الكوفة يتلقون واليًا ولاه عليهم عثمان -رضي الله عنه-، فردوه، وسألوا عثمان أن يولي عليهم أبا موسى الأشعري -رضي الله عنه- فولَّاه. قاله النووي في «شرح صحيح مسلم» (١٨/ ١٨).

(٢) ورُوي: أحالفك بالحاء المهملة من الحَلِف الذي هو اليمين، وكلاهما صحيح، لكن المهملة أظهر لتكرر الأيمان بينهما.

(٣) رواه مسلم في «صحيحه» رقم (٢٨٩٣) (٤/ ٢٢١٩).

(٤) انظر: «معالم في أوقات الفتن والنوازل» للشيخ عبد العزيز السدحان ص(٥٥).

وعن يُسَيْر بن جابر قال:

هاجت ريح حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هِجِّيرَى إلا: «يا عبد الله بن مسعود! جاءت الساعة، قال: فقعد، وكان متكئًا، فقال: إن الساعةَ لا تقوم حتى لا يُقْسَمَ ميراث، ولا يُفرحَ بغنيمة، ثم قال بيده هكذا -ونحَّاها نحو الشأم- فقال: عدو يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهل الإسلام»(١) الحديث.

قال القرطبي -رحمه الله تعالى-:

«والذي ينبغي أن يُقال به في هذا الباب أنما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من الفتن والكوائن أن ذلك يكون، وتعيين الزمان في ذلك من سنة كذا يحتاج إلى طريق صحيح يقطع العذر»(٢). اهـ.

لقد كان من هدي السلف -رحمهم الله تعالى- أنهم لا يُنَزِّلون أحاديث الفتن على واقع حاضر؛ وإنما يَرَوْنَ أصدق تفسير لها، وقوعها مطابقة لخبر النبي(٣) -صلى الله عليه وسلم-؛ ولذلك نلاحظ أن عامَّة

---

(١) تقدم ص(٢٦١).

(٢) «التذكرة» ص(٧٣٦).

(٣) ومما يستأنس به في هذا المقام ما رواه مسلم رقم (٢٤٥٢)، بسنده إلى أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**أسرعُكنَّ لِحاقًا بي: أطولكن يدًا**»، قالت: «فكُنَّ يتطاولْنَ أيتهن أطول يدًا»، قالت: «فكانت أطولنا يدًا زينب؛ لأنها كانت تعملُ بيدها وتَصَدَّقُ». فقولها -رضي الله عنها-: «فكانت أطولنا يدًا زينب» معناه: أنهن ظننَّ أن المراد بطول اليد طول اليد الحقيقية، وهي الجارحة، فكن يذرعن أيديهن بقصبة، فكانت سودة أطولهن جارحة، وكانت زينب أطولهن يدًا في الصدقة وفعل الخير، فماتت زينب أولهن، فعلموا أن المراد طول اليد في الصدقة والجود. قال أهل اللغة: «فلان طويل اليد، وطويل الباع»، إذا كان سَمْحًا جوادًا، وضده: قصير اليد والباع، وجَعْدُ الأنامل، أي: البخيل اللئيم.

شارحي الأحاديث الشريفة كانوا يُفيضون في شرحها، واستنباط الأحكام منها، حتى إذا أتوا على أبواب الفتن، وأشراط الساعة، أمسكوا أو اقتصدوا في شرحها للغاية، وربما اقتصروا على تحقيق الحديث، واكتفوا بشرح غريبه؛ بخلاف ما يحصل من بعض المتعجلين المتكلفين اليوم؛ فإنه بمجرد ظهور بوادرَ لأحداث معينة؛ سياسية كانت، أو عسكرية، محلية، أو عالمية تستخفهم البُداءات[1]، وتستفزهم الانفعالات، فيُسقطون الأحاديث على أشخاص معينين، أو وقائع معينة، ثم لا تلبث الحقيقة أن تبين، ويكتشفوا أنهم تهوروا، وتعجلوا.

وربما كان دافعهم نبيلًا؛ فهم يحسبون أن إسقاط النبوءات على الواقع مما يزيد يقين المسلمين، ويقوي إيمانهم، ويمكنهم من إقامة الحجة على المكذبين بنبوة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وفي هذا تأييدٌ لدين الحق. نقول: نعم، ولكن بالشرط المذكور آنفًا؛ لأنْ العجلة في مثل ذلك قد تأتي بعكس ما يشتهون؛ إذ لو خيبت الأحداث -إذا اكتملت- ظنهم، فربما جاءت النتيجة عكسية عند الكفار، وعند ضعاف المسلمين.

ولا بد من أن تكون النصوص التي يطبق عليها هذا الضابط مما يطرق دلالتَه الاحتمالُ، بخلاف النصوص المحكمة التي دلَّ الدليل على المراد منها؛ بحيث لا تلتبس على أحد؛ فإنها لا تخضع لهذا الضابط؛

---

(١) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن القيم ص(١٦٩، ١٧٠) ط. دار الحديث- القاهرة- ١٤١٤هـ.

مثل نزول المسيح -عليه السلام- من السماء عند المنارة البيضاء بدمشق، وصلاته الصبح خلف المهدي، ومثل خروج الدجال بصفته التي أخبر بها النبي -صلى الله عليه وسلم-.

استطراد:

قال الشيخ فيصل بن حيان آل صبحان -وفقه الله تعالى-:

[اعلم أن تنزيل ما ورد من أحاديث الفتن على الأزمان المعينة أو الأشخاص المعينين على قسمين:

القسم الأول: تنزيل تام: بأن يقول: إن المقصود بالحديث الفلاني هو هذا الزمان بالذات، أو إن المقصود بالشخص الفلاني المذكور في حديث كذا هو: فلان بن فلان، ونحو ذلك.

وهذا النوع من التنزيل لا يجوز؛ لما يترتب على ذلك من العواقب الوخيمة والآثار الجسيمة، ولو لم يكن في ذلك إلا حصول فتن جديدة ليست هي المقصود بالنص لكفى، ...[1].

القسم الثاني: تنزيل جزئي، وإن شئت فقل: «تنزيل معنى»، بأن يُقال: إن معنى ما ورد في النص الفلاني قد وقع شيء منه في زماننا هذا؛ كحديث: «يُرفع العلم، وينزل الجهل، ويلقى الشح»، فإن قائلًا لو

---

(١) وقد رأينا كيف أن محاولات مطابقة الأحاديث الواردة في «المهدي» على أشخاص بعينهم بدون التزام الضوابط في هذا، قد أدَّى إلى حدوث فتن جسيمة على يد مدعي المهدية، وانظر تفصيل ذلك في «المهدي» للمؤلف، وانظر فيه -أيضًا-: «فصل ضوابط الحكم على مدعي المهدية».

قال: إن زماننا هذا قد وقع فيه شيء مما ذكر فيه لما أنكر عليه أحد، ولكان قوله مقبولًا لا يرد، ومن نظر في كلام الأئمة عند شرحهم لمثل هذه الأحاديث؛ لرأى ذلك واضحًا جليًّا... والحمد لله.

فإن قال قائل: فإنه قد وُجِد في أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مَنْ نَزَّل بعضَ الأحاديث على بعض الأشخاص تنزيلًا تامًّا، كما ورد عن عمر-رضي الله عنه- أنه كان يحلف أن الدجال هو ابن صياد، وتبعه على ذلك جابر -رضي الله عنه- كما في «صحيح مسلم»، وابنه عبد الله كما عند أبي داود، ولو كان الأمر كما ذكرت لما جاز لهم ذلك؟

فالجواب: أن ذلك لم يكن من عمر -رضي الله عنه- ومن معه من الصحابة اجتهادًا مِن عند أنفسهم، بل كان اعتمادًا على إقرار رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما في نفس الحديث المذكور، فإن جابرًا -رضي الله عنه- لما سُئل عن يمينه قال: «سمعت عمر يحلف بين يدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلا ينكره».

فالذي يريد أن ينزل الأحاديث على الزمن وأهله، يحتاج إلى مثل ذلك الإقرار، وأنَّى له ذلك؟!

ثم على فرض التسليم بعدم الإقرار منه -صلى الله عليه وسلم- لعمر، وأن ذلك كان منه اجتهادًا؛ فأي الناس كعمر الذي وصفه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالمحدَّث الملهم، والذي وافق ربَّه في مسائلَ كثيرةٍ، هذا مما لا يكون بحال.

فإن قيل: فهل يعني ذلك أن الأحاديث الواردة في وصف الفتن ليس لها معنى معين (خاص) وإنما هي أمور عامة مشتركة بين الأزمنة والأمكنة والأشخاص؟

فالجواب: لا.. فإن كل ما صحَّ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في فتنة من الفتن لا بدَّ واقع لا محالة كما أخبر؛ فإن كان المخبَرَ عنه أشخاصٌ يكونون في الأمة: ظهر أولئك الأشخاص بأعيانهم كما أخبر؛ وعندها يعرفهم الناس بالعلامات الدالَّة عليهم الواردة في النصوص في وصفهم؛ كذي الثديَّة المذكور في قتال الخوارج(١)، والدجال وغيرهما.

وإن كان المذكور في النص أحوالٌ وأوصافٌ للناس عامة أو لبعضهم خاصة، أو للأزمنة أو الأمكنة: وقعت تلك الأوصاف، واستحكمت، وغلبت حتى تكون مطابقة لما ورد، فيعرفها الناس حينئذٍ، كما في «الصحيحين» من حديث حذيفة -رضي الله عنه- قال: «قام فينا رسول الله

(١) وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- قد أخبر أصحابه -رضي الله عنهم- عن صفات الخوارج، فقال: «**لا والذي نفسي بيده! ليخرجن قوم من أمتي تحقرون أعمالكم مع أعمالهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية**»، قالوا: فهل من علامة يُعرفون بها؟ قال: «**فيهم رجلٌ ذو يُدَيَّة أو: ذو ثُدَيَّة محلقي رءوسهم**»، ولما قاتلهم أمير المؤمنين علي -رضي الله عنه- بالنهروان التمس هذا الرجل الذي نعته النبي -صلى الله عليه وسلم- فوجده في حفرة مما يلي الأرض في أربعين أو خمسين قتيلًا، فلما وجده وفق نعت النبي -صلى الله عليه وسلم- كَبَّر، وقال: «صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم». وانظر: «البداية والنهاية» (٧/ ٢٩٠-٣٠٥).

-صلى الله عليه وسلم- مقامًا، ما ترك شيئًا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حَدَّث به، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته، فأراه، فأذكره كما يذكر الرجلُ وجهَ الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه»(١).

فإن قيل: فإذا كان الأمر كما ذكرتَ فما وجه هذا التقسيم كله؟

فالجواب: أن في ذلك سدًّا للذريعة على كلِّ متقوِّل ومتخرص وراجم بالغيب، حتى لا يقع الاختلاف، وتعمَّ الفتن، ويُكذَّبَ الشرعُ.. والله أعلى وأعلم](٢). اهـ.

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٦٠٤)، ومسلم (٢٨٩١/٢٣) في «الفتن»، واللفظ له.

(٢) «مسائل في الفتن» ص(٥٣-٥٥) بتصرف.

الضَّابِطُ الرَّابع: «يتعين على من يتكلم على الأحاديث:
أن يجمع طرقها، ثم يجمع ألفاظ المتون إذا صحَّت الطرق،
ويشرحَها على أنه حديث واحد،
فإن الحديث أولى ما فُسِّرَ بالحديث»[(١)]

فلا بد -للوقوف على المراد من الحديث- من جمع الروايات الواردة في الموضوع الواحد:

- لأن ما أُجمل في رواية قد يُفَسَّر في أخرى، وما أُبهم هنا قد يُبين هناك، وما أُطلق في موضع قد يقيد في موضع آخر.

- قال الإمام أحمد -رحمه الله تعالى-: «الحديث إذا لم تجتمع طرقه لم تفهمه، والحديث يفسر بعضه بعضًا»[(٢)].

وقال الإمام ابن حزم -رحمه الله تعالى-: «تأليف كلام رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وضم بعضه إلى بعض، والأخذ بجميعه؛ فرضٌ لا يحل سواه»[(٣)].

وقال الإمام ابن دقيق العيد -رحمه الله تعالى-: «الحديث إذا اجتمعت طرقه؛ فسَّر بعضُها بعضًا»[(٤)].

وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى-: «الأحاديث إذا ثبتت وجب ضم بعضها إلى بعض؛ فإنها في حكم الحديث الواحد، فيُحمل

---

(١) قاله الحافظ بنصِّه في «الفتح» (٦/ ٤٧٥).
(٢) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي (٢/ ٢١٢).
(٣) «المحلى» (٣/ ٢٤٠). (٤) «إحكام الأحكام» (١/ ١١٧).

مطلقها على مقيدها، ليحصل العمل بجميع ما في مضمونها، وبالله التوفيق»[١].

ومن الأمثلة التطبيقية لهذا الضابط:

ما رواه ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا**»، قالوا: يا رسول الله، وفي نجدنا! قال: «**اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يَمننا**»، قالوا: يا رسول الله، وفي نجدنا! -فأظنه قال في الثالثة-: «**هنالك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان**»[٢].

فقد رأينا من لم يُحكم هذه القاعدة يفسر الحديث بأن نجدًا هنا هي نجد اليمامة، ثم يفسر طلوع «قرن الشيطان» بدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب التوحيدية التجديدية، ويصف أتباعه بالقرنيين، ولو خلُصت منهم النية، واحترموا القواعد العلمية، لعلموا أن «النجد» ليس اسمًا لبلد خاص، ولا لبلدة بعينها، بل يُقال لكل قطعة من الأرض مرتفعة عما حواليها: نجد، ونجود العرب عديدة.

قال الكرماني -رحمه الله تعالى-: «ومن كان بالمدينة الطيبة -صلى الله على ساكنها- كان نجده بادية العراق ونواحيها، وهي مشرق أهلها»[٣].

---

(١) «فتح الباري» (١١/ ٢٧٠).
(٢) البخاري (١٣/ ٤٩- فتح)، والترمذي (٥/ ٧٣٣)، رقم (٣٩٥٣).
(٣) «صحيح البخاري بشرح الكرماني» (٢٤/ ١٦٨).

وإليه ذهب الخطابي، وابن حجر، والقسطلاني، والعيني، والمباركفوري، وقد ادعى البعض أن نجد اليمامة هي المقصودة بالحديث، مع أن النبي -صلى الله عليه وسلم- دعا لنجد اليمامة -وهي من اليمن؛ لأنها واقعة بينها وبين مكة- بالبركة حين قال: «**اللهم بارك لنا في يَمننا**»، وقال -صلى الله عليه وسلم-: «**الإيمان يمانٍ، والحكمة يمانية**»[1].

وفي بعض الروايات تفسير (نجدنا) بالعراق: حيث قالوا: يا رسول الله، وفي عراقنا، قال: «**إن بها الزلازلَ والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان**»[2].

وفي حديث سالم عن ابن عمر مرفوعًا بلفظ: فقال رجل: يا رسول الله، وفي عراقنا! فأعرض عنه، فرددها ثلاثًا، كل ذلك يقول الرجل: وفي عراقنا! فقال: «**بها الزلازل والفتن، وفيها يطلع قرن الشيطان**»[3].

وعن سالم بن عبد الله بن عمر قال: يا أهل العراق! ما أسألكم عن الصغيرة، وأركبكم للكبيرة! سمعتُ أبي عبد الله بن عمر، يقول: سمعت رسول -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**إن الفتنة تجيء من ها هنا**، وأومأ بيده نحو المشرق، **من حيث يطلع قرن الشيطان**»[4].

---

(١) رواه البخاري (٤/ ٢١٧)، (٥/ ٢١٩)، ومسلم رقم (٥٢)، والترمذي رقم (٢٢٤٤).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ٣٨٤) رقم (١٣٤٢٢)، وانظر: «فتح الباري» (١٣/ ٤٧).

(٣) أخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٧٤٦، ٧٤٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٣٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ١٣٠، ١٣١).

(٤) رواه مسلم (٢٩٠٥).

أضف إلى هذا كله أدلة الواقع التاريخي؛ حيث هبَّت من العراق رياح فتن كثيرة:

- منها: الجماعة الذين تألَّبوا على قتل ذي النورين عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، وقد استتبع ذلك حرب الجمل وصفين.

- ومنها: قتل الحسين -رضي الله عنه- شهيدًا بكربلاء بعد أن خذله الشيعة، وتخلوا عنه.

- ومنها: تحزُّب الخوارج، والحرورية.

- ومنها: ظهور القدرية، والجهمية، والمعتزلة.

- ومنها: فتنة ابن الأشعث، وثورة الزنج.

- ومنها: فتنة المختار الذي ادعى النبوة.

- ومنها: ما جرى في ولاية الحجاج من القتال وسفك الدماء.

- ومنها: خروج التشيع والإرجاء من الكوفة، وخروج القدر، والاعتزال، والنسك الفاسد، وحركة القرامطة من البصرة.

- ومنها: غزو التتار للمسلمين في القرن السابع بقيادة هولاكو.

أما الفتن التي تخرج في المستقبل -إن شاء الله تعالى-:

- فمنها: المقتلة التي تقع عندما يُحسر الفرات عن جبل من ذهب.

- ومنها: خروج الدجال ويأجوج ومأجوج.

أما فتن العصر الحديث:

-فمنها قتال العراق وإيران الذي دام ثماني سنوات.

- ومنها: غزو «صدام حسين» الكويت، وما جرَّه من بلايا ومحن على المسلمين.

- ومنها: تسلط الرافضة على أهل السُّنَّة في العراق، وإراقة دمائهم.

تنبيه خطير

ليس يعني ما تقدم أن أهل الشرق لا خير فيهم، فإن الواقع أيضًا يشهد -في الجهة المقابلة- أن الله سبحانه وتعالى- أخرج من تلك البلاد جهابذة وفحولًا من العلماء الراسخين، والأئمة المجتهدين، والنساك الصالحين، ويكفي أن كثيرًا من كبار الصحابة -رضي الله عنهم- رحلوا إليها واستوطنوها، ومنها خرج كبار أئمة التابعين من الكوفة و البصرة وبغداد، وانتقل الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى- من مكة إلى العراق؛ لنشر الكتاب وخدمة السنة، حتى لُقِّب هناك بناصر السنة، وفي العراق وُلد إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، وكبار مشايخ العلم وأئمة الزهد كالجنيد، وغيره، وأكثر أئمة الجرح والتعديل من العراق.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله تعالى-:

«الذم إنما يقع في الحقيقة على الحالِّ لا على المحل،... ويكون في حال دون حال، ووقت دون وقت، بحسب حال الساكن؛ لأن الذم إنما يكون للحالِّ دون المحل، وإن كانت الأماكن تتفاضل، وقد تقع المداولة فيها، فإن الله يداول بين خلقه، حتى في البقاع، فمحل المعصية في زمن قد يكون محل طاعة في زمن آخر، وبالعكس».

ثم قال -رحمه الله تعالى-:

«فلو ذُمَّ نجدٌ بمسيلمة بعد زواله، وزوال من يصدقه، لذُمَّ اليمن بخروج الأسود العنسي ودعواه النبوة. . .، وما ضرَّ المدينةَ سكنى اليهود بها، وقد صارت مهاجَرَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه -رضي الله عنهم-، ومعقل الإسلام، وما ذُمَّت مكة بتكذيب أهلها لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- وشدة عداوتهم، بل هي أحب أرض الله إليه»[(١)]. اهـ.

(١) «مجموعة الرسائل والمسائل» (٤/ ٢٦٤، ٢٦٥) بتصرف.

الضَّابِطُ الخامِسُ: حصرُ مصادرِ التَّلقي فيما هو حجة شرعية، وإهدار ما عداه

كالأحاديث الضعيفة، والموضوعة، والإسرائيليات التي تعارض ما عندنا، أو التي أُمِرْنا بالتوقف فيها، وحساب الجُمَّل المسمى بعلم الحروف، ومرويات الرافضة، وجَفْرِهم المزعوم، والمناماتِ، والتحليلات السياسية الظنية، ونحوها؛ وذلك أن الأشراط التي لما تقع غيب، ولكنه غيب صادق، ولا يكون كذلك إلَّا إذا كان مصدره الكتاب والسُّنَّة الصحيحة.

وفي حديث جبريل المشهور أنه سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الإسلام والإيمان والإحسان وأشراط الساعة، وفيه قوله -صلى الله عليه وسلم-: «**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»، فعدَّ أمارات الساعة من جملة الدين، وأمور الدين توقيفية لا سبيل إلى معرفتها إلا عن طريق الوحي الشريف.

ومما يلاحظ انتشار القصص والروايات الواهية الضعيفة وقت الفتن، فيكثر القصاص الذين يوردون الحكايات الباطلة، والقصص التي لا أصل لها، روى ابن حبَّان عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: «لم يُقَصَّ في زمنِ النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- ولا أبي بكر، ولا عمر، ولا عثمان، إنما كان القصصُ زمن الفتنة»[١].

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» رقم (٦٢٦١) (١٤/ ١٥٦)، وابن أبي شيبة (٨/ ٧٤٥، ٧٤٦)، وابن ماجه (٣٧٥٤)، وقال محقق «الإحسان»: «إسناده صحيح».

تنبيهان:

الأول: إذا صحَّ الحديث فينبغي التفريق بين قول المعصوم -صلى الله عليه وسلم-، وبين اجتهاد العالم، أو الباحث في تفسيره، أو إسقاطه على الواقع؛ فقد يخطئ العالم في تحديد وقت حدوث شيء من الأشراط، أو يخطئ في ترتيبه الأحداث، أو يخطئ في فهم الحديث وتفسيره.

الثاني: قد ترد بعض الآثار الصحيحةِ أسانيدُها إلى أحد الصحابة أو التابعين، مع أنها تعارض القرآن الكريم وتناقضه، فينبغي أن يُعلم أنها دخلت عليهم مِن قِبل مُسلِمةِ أهل الكتاب الذين كانوا يحدِّثون بالإسرائيليات.

الضَّابِطُ السَّادِسُ: ما أُشْكِلَ عَلَيْكَ؛ فَكِلْهُ إلى عَالِمِهِ

قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ الآية: [النساء: ٨٣] وفي الخبر: «**إِنَّمَا شِفَاءُ العِيِّ السُّؤَالُ**»، وقال أبو حامد الغزالي -رحمه الله تعالى-: «لو سكت مَن لا يعرف؛ قلَّ الاختلاف، ومن قصر باعه، وضاق نظره عن كلام علماء الأمة والاطلاع؛ فما له وللتكلم فيما لا يدريه، والدخول فيما لا يعنيه؟! وحَقُّ مثلِ هذا أن يلزم السكوت»(١).

قال بعض السلف: «الأمور ثلاثة: أمر استبان رُشْدُه فاتبعْه، وأمر استبان غيُّه فاجتنبه، وأمر أُشكِلَ عليك، فَكِلْهُ إلى عالمه».

وقال الحسن عند قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١]: «يعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، ويَكِلون ما أشكل عليهم إلى عالمه»(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: «ما يجيء في الحديث نعمل بمحكمه، ونؤمن بمتشابهه»(٣).

والمتشابه من الحديث: ما يفتقر -للوصول إلى معناه المرادِ منه- إلى غيره، والمحكم: هو الذي لا يُحتاج -للوقوف على معناه المرادِ منه- إلى غيره.

---

(١) انظر: «الحاوي» (٢/ ١١٦).
(٢) «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٣٨٦).
(٣) «الرسالة التدمرية» ص(٩٦).

وحكم المتشابه أن يردَّ إلى المحكم ليبينه، ويزيل اشتباهه.

مثال الحديث المتشابه[١]:

ما رواه ابن مسعود -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**ما من نبيٍّ بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلُفُ مِن بعدِهم خُلوفٌ يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبَّةُ خردل**»[٢].

فقوله -صلى الله عليه وسلم-: «**فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن**» من المتشابه، إذ ظاهره غيرُ مراد، والنصوص الآمرة بالصبر على جور الأئمة، وترك الخروج عليهم كثيرة محكمة، فيرد المتشابه إليها، فإن ابن مسعود -رضي الله عنه- نفسه قد روى مرفوعًا: «**اصبروا حتى تلقوني**»، ولهذا بيَّن ابن رجب -رحمه الله تعالى- أن قوله: «**فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن**» لا يُراد به القتال، وإنما تغيير المنكرات التي فعلوها، أو المظالم التي يأمرون بها، لمن كان له قدرة على ذلك، وأَمِن تعديَ الأذى إلى غيره من أهل أو جيران، ونقل نصَّ الإمام أحمد على ذلك[٣].

---

(١) انظر: «منهج أهل السُّنَّة في التعامل مع نصوص الفتن والملاحم» للشيخ محمد بن عمر بازمول ص(٣١-٣٧).

(٢) أخرجه مسلم رقم (٥٠).

(٣) انظر: «جامع العلوم والحكم» (٢/٢٤٨، ٢٤٩).

تنبيه:

اعلم -رحمك الله- أنه ليس في نصوص الوحيين الشريفين ما هو مشكِل من حيث الواقع، بحيث لا يمكن أحدًا من الأمة أن يعرف معناه، وإنما الوضوح والإشكال في النصوص الشرعية أمر نسبي، يختلف فيه الناس بحسب ما عندهم من العلم والفهم، فما يكون مشكلًا عند شخص قد لا يكون كذلك عند آخر، بل يكون عنده واضحًا جليًّا[١].

وَهَاكَ أَمْثِلَةً لِمَا يُشْكِلُ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ فِي بَابِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَجَوَابِ الْعُلَمَاءِ عَنْهَا:

١- ذكر فتح القسطنطينية عقب الملحمة، وقبيل خروج الدجال؛ مع أنها فُتِحتْ على يد محمدٍ الفاتح العثماني؛ والجواب: أنه فتحٌ آخر غير الفتح الأول؛ كما تقدم قريبًا[٢].

٢- جفاف بحيرة طبرية الذي ذُكر في حديث الجساسة على أنه أحد مقدمات خروج الدجال، وقد جفت بحيرة طبرية الآن[٣]، أو كادت، وهذا لا يعني بالضرورة تحقق تلك العلامة؛ لأن من المحتمل أن تمتلئ البحيرة من جديد، ثم تجف قبل ظهور الدجال، أو قد تبقى جافَّةً مُدَّةً

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٣٠٧).

(٢) راجع ص(٢٦٧-٢٦٩).

(٣) وقد نشر في السبعينيات بجريدة الأخبار (٢٨/ ٩/ ٧٣) صورة فتاة تقف على أرض البحيرة الجافة وقد تشققت، وكتب عليها: «وجفت المياه في بحيرة طبرية».

يعلمها الله إلى ظهور الدجال، وعليه؛ فلا يشكل قول الدجال: **«أما إن ماءها يوشك أن يذهب»**[١]؛ لأن القرب هنا نِسْبِيٌّ؛ كما تقدم[٢].

بل قد ثبت في الحديث أن يأجوج ومأجوج: **«يَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيرَةِ طَبَرية، فَيَشرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُم، فَيَقُولُونَ: لَقَد كَانَ بِهذِهِ مَرَّةً**

---

(١) جزء من حديث الجساسة، الذي رواه مسلم (٢٩٤٢).

(٢) ومما يناسب إيراده في هذا المقام ما حكاه بعض الأفاضل؛ وأَقَرَّهُ بلهجة الاستحسان، عن شيخ صالح من الأردن يُدْعَى «الدباغ»، قال: «كان هذا الشيخ يقول للناس، ويقسم أن بريطانيا وحلفاءها سينتصرون في الحرب العالمية الثانية على ألمانيا! وكان الناس يعجبون من ذلك! بل لقد أسرَّ إليه بعض المقربين أن الشكوك بدأت تحوم حوله؛ بأنه يقوم بالدعاية لبريطانيا، وقد بيَّن الشيخ -رحمه الله- الأساس الذي بنى عليه يقينه؛ وهو أنه ربط بين حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- الذي بَيَّن أن المسلمين سيقاتلون اليهود قبل قيام الساعة، وبين أحداث عصره؛ فبريطانيا الدولة المنتدبة على فلسطين هي التي رعت فكرة قيام الدولة اليهودية منذ وعد بلفور، وما تلا ذلك من أحداث، ولن تقوم لليهود دولة إلَّا إذا انتصرت بريطانيا! ولو انتصرت ألمانيا؛ لتبدد الحلم اليهودي في الدولة! وقد كان ما فهمه الشيخ من حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وفسر به أحداث عصره، بل تنبأ بالشيء قبل أن يكون». اهـ. من مجلة «البيان» عدد (٣٣)، (١٤١١هـ)، ص(١٧)، وهذا الذي فهمه الشيخ الدباغ محتمل، ولم يكن مؤكدًا؛ لأنه يمكن -عقلًا- أن تتحول ألمانيا النازية عن عداء اليهود، وقد كان، بل صارت ألمانيا ما بعد النازية من أشد حلفاء الدولة اللقيطة، التي ابتزت أموالها بحجة التكفير عما سمي بمحارق النازية، وكان يمكن -عقلًا- أن تنتصر ألمانيا في هذه الحرب، ثم يشاء الله هزيمتها بعد ذلك، وإنما أوردتُ هذا الأنموذج التطبيقي؛ لندرك أهمية التمييز -في مثل هذه الكائنات- بين ما هو يقين يحلف الإنسان عليه، وبين ما هو ظن محتمل نقول فيه: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية: ٣٢].

مَاءٌ»[(١)]، ومعلوم أن خروجهم إنما يكون بعد نزول عيسى -عليه السلام- وقَتْلِهِ الدَّجَّالَ.

٣- ورد وصف الأسلحة التي تستعمل في حروب آخر الزمان؛ ففي الملحمة الكبرى خيولٌ وفوارسُ[(٢)]، وفي فتح القسطنطينية «الثاني»: «**قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُم بِالزَّيْتُونِ**»[(٣)]، وبعد هلاك يأجوج ومأجوج: «**سَيُوقِدُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ قِسِيِّهِم، وَنُشَّابِهِم**[(٤)]، **وَأَترِسَتهِم سَبعَ سِنينَ**»[(٥)].

وقد حاول بعض العلماء الإجابة عن هذا؛ فقالوا: «إن هذه الأحاديث، وأحاديث مشابهة كثيرة تدل على أن هذه الحضارة الهائلة التي اخترعت هذه القوة الهائلة من القنابل، والصواريخ؛ ستتلاشى، وتزول، وأغلب الظن أنها ستدمر نفسها بنفسها، وأن البشرية ستعود مرة أخرى إلى القتال على الخيول، واستعمال الرماح، والقسي، ونحو ذلك، والله أعلم»[(٦)].

في حين يرى البعض الآخر أن هذا لا يعني أن الحرب ستدور بالخيول والسيوف؛ لأن الخيول رمز المعدات الحربية أيًّا كان نوعها؛ ولأن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يخاطب أهل زمانه على قدر عقولهم وعلمهم.

---

(١) جزء من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-، رواه مسلم (٢٩٣٧)، وأبو داود (٤٣٢١)، (٤٣٢٢)، والترمذي (٢٢٤١).

(٢) كما في «صحيح مسلم» (٢٨٩٩)، (٤/ ٢٢٢٣).

(٣) كما في «صحيح مسلم» (٢٨٩٧)، (٤/ ٢٢٢١).

(٤) النُّشَّاب: النَّبْل، واحدته: نُشَّابة.

(٥) رواه ابن ماجه رقم (٤٠٧٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٩٤٠)، (٤/ ٥٧٩).

(٦) انظر: «القيامة الصغرى» ص(٢٧٥)، و«الأيام الأخيرة من عمر الزمن» ص(٤٩-٦٠).

وقد يُستدل لهذا بحديث «**أَسْرَعُكُنَّ لِحَاقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا**»[١]، إذ فُهم المرادُ منه بعد حصوله، والله تعالى أعلم.

٤- عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-، قالت: «كان الأعراب إذا قدموا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ سألوه عن الساعة، متى الساعة؟ فينظر إلى أحدث إنسانٍ منهم، فيقول: «**إنْ يَعِشْ هَذَا، لَمْ يُدْرِكْهُ الهَرَمُ؛ حَتى قَامَت عَلَيكُم الساعَةُ**»، قال هشام: «يعني: موتهم»[٢].

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن رجلًا سأل رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم-: متى الساعة؟ فسكت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هُنَيْهَةً، ثم نظر إلى غلام بين يديه من أَزْدِ شنوءَةَ، فقال: «**إنْ عُمِّرَ هَذَا الغُلَامُ، لم يُدْرِكْه الهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ الساعَةُ**»، قال أنس: وذلك الغلام مِن أترابي يومئذٍ[٣].

والمراد بقوله -صلى الله عليه وسلم-: «**الساعة**» في هذين الحديثين «ساعة المخاطبين»؛ لأن ساعة كل إنسان موته، وهذا الجواب من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعرف بأسلوب الحكيم، فإنه أجابهم بخلاف ما يترقبون، وأرشدهم إلى الاستعداد للموت، والتأهب للقاء الله؛ فإنه قريب قريب.

---

(١) انظر: ص (٢٧٢)، هامش رقم (٣).
(٢) رواه البخاري (٦٥١١)، ومسلم (٢٩٥٢).
(٣) رواه مسلم (٢٩٥٣)، والأتراب: جمع تِرْب، وهو المماثل في السن.

وعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: صلى بنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذاتَ ليلةٍ صلاة العشاءِ في آخر حياته، فلما سلَّم قام، فقال: «**أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ؟ فَإِنَّ عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ**»(١)، وإنما أراد النبي -صلى الله عليه وسلم- انقضاء القرن الذي هو فيه(٢)؛ أي: إنه بعد مائة عام يموت كل من كان حيًّا عندما نطق النبي -صلى الله عليه وسلم- بهذا الحديث.

ومما يدل على أنه -صلى الله عليه وسلم- لم يُرِدْ قيامَ الساعة: ما رواه جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: «سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِشَهْرٍ: **تَسْأَلُونِي عَنِ السَّاعَةِ، وَإِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ، وأُقْسِمُ بِالله مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ الْيَوْمَ يَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ، وهي حَيَّةٌ يومئذ**»(٣).

قال ابن الأثير -رحمه الله تعالى-: «والمعنى في الحديث: أن كل من هو موجود الآن -يعني ذلك الوقت إلى انقضاء ذلك الأمد المعين- يكونون

---

(١) رواه البخاري (١١٦)، ومسلم (٢٥٣٧)، -واللفظ له- والترمذي (٢٢٥٢)، وتتمته: قال ابن عمر: فَوَهَلَ الناس في مقالة رسول الله تلك، فيما يتحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة، وإنما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد**»، يريد بذلك أن ينخرم القرن؛ أي: ينقطع وينقضي، والقرن من الزمان: أهل زمان مخصوص، ووَهَلَ: غَلِط وذهب وَهْمُه إلى غير الصواب.

(٢) وهذا ما يُطلق عليه بعضهم «الساعة الوسطى»، كما في «المفردات» للراغب ص(٤٣٤، ٤٣٥) قال: «والساعة الوسطى، وهي موت أهل القرن الواحد».

(٣) رواه مسلم (٢٥٣٨)، والترمذي (٢٢٥١).

قد ماتوا، ولا يبقى منهم على الأرض أحد؛ لأن الغالب على أعمارهم لا يتجاوز ذلك الأمد الذي أشار إليه النبي -صلى الله عليه وسلم-، فتكون قيامة أهل ذلك العصر قد قامت»[١].

(١) «جامع الأصول» (١٠/ ٣٨٨).

الباب الخامس

الفصل الأول: مهدينا ليس مُنْتَظَرًا

الفصل الثاني: هل تعود الخلافة قبل ظهور المهدي؟

لا نُعَطِّلُ السُّنَنَ، وَالْأَسْبَابَ بِحُجَّةِ انْتِظَارِ الْمَهْدِيِّ

فمن الناس من يُعَطِّلُ العمل اكتفاءً بالأمل، ويهرب من إصلاح الواقع المرير للأمة بحجة أنه تسبب فيه مَن قبلنا، وسيصلحه من بعدنا، ويتوقف عن السعي للتمكين لدين الله؛ بحجة أن المهدي هو الذي سيفعل؛ مما حدا ببعض الأدباء إلى أن يتهكم بهم، وبمتابعتهم الرافضة في هذا النمط السلبي من التفكير؛ قائلًا:

فَلْنَدَعِ الأرضَ لمن غَصَبُوا
ولمن ظَلَمُوا في كل مكان
وَلْنَذْهَبْ نبتاعُ لنا فَرَسًا
ولنبحثْ أَيْضًا(١) عن سِرداب
وَلْنَضَعِ الْفَرَسَ المذكور
وجوالًا من فولٍ عند السِّرداب
ونَظَل وُقُوفًا وعكوفًا
كالفرسِ على رأسِ السرداب
فسيخرجُ يومًا مَهْدِينا... لكن من سامراء!

---

(١) يُعَرِّض الشاعر هنا باعتقاد الرافضة في مهديهم المعدوم الذي لم يُخْلَق أصلًا، والذي يقول فيه ابن القيم -رحمه الله تعالى-: «وهم ينتظرونه كل يوم، يقفون بالخيل على باب السرداب، ويصيحون به أن يخرج إليهم: «اخرج يا مولانا!»، ثم يرجعون بالخيبة والحرمان، فهذا دأبهم ودأبه»، ثم قال -رحمه الله تعالى-: «ولقد أصبح هؤلاء عارًا على بني آدم، وضحكة يسخر منهم كل عاقل». اهـ. من «المنار المنيف» ص(١٥٢، ١٥٣). =

إنه هروب إلى الأماني، مع تعطيل الأسباب الشرعية، والله تعالى يقول: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء: ١٢٣].

أَمَانِيُّ إِنْ تَكُ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ المنى وَإِلَّا فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغَدا

إن هذا الإغراق في ترقب ظهور المهدي مظهر سلبي يعكس الانحراف في فَهم العَلاقة بين الأمور الكونية القدرية، وبين الأمور الشرعية الإرادية؛ أما الأمور الكونية، والأحكام القدرية -والتي يقع ضمنَها الغُيوبُ المستقبلية- فهي واقعة لا محالة، وواجبنا حيالها التصديق بها قبل وقوعها، ثم امتثال الأحكام الشرعية المتعلقة بها إذا حضر وقتها. وأما الأحكام الشرعيةُ الإراديةُ الطلبية فنحن متعبدون في كل وقت بامتثالها.

وما أصدق ما نُسِبَ إلى جعفر الصادق -رحمه الله تعالى- من قوله -لمن خاض في الأحكام القدرية، وانشغل بها عن واجب الوقت-: «إن الله أراد بنا أشياء، وأراد منا أشياء، فما أراده بنا أخفاه عنا، وما أراده منا بينه لنا، فما بالنا ننشغل بما أراده بنا عما أراده منا؟!».

= ويقول الشاعر متهكمًا بهم:

ما آنَ للسردابِ أن يَلِدَ الذي كَلَّمتموه بجهلِكم ما آنا

فعلى عقولِكُمُ العَفاءُ فإنكم ثَلَّثتُمُ العنقاءَ والغِيلانا

ولقد ضاق الرافضة بهذه السخرية ذرعًا، حتى قالوا في مناشدتهم مهديَّهم الخرافي: «اخرج يا مولانا! فقد طال الانتظار، وشمت بنا الفجار» كما في «أصول مذهب الشيعة» للقفاري (٢/ ١٠٣٠).

مَهْدِيُّنا لَيسَ مُنْتَظَرًا

إذا كان مفهوم «الانتظار» في وصف المهدي بأنه «منتظر» يعني تأجيلَ كلِّ جَهْدٍ، وتعطيلَ كلِّ سعيٍ من شأنه التمكينُ للإسلام، ورفعُ رايته، وإعلاءُ كلمته -ترقبًا لميلاد المهدي، أو انتظارًا لخروجه- فإن مهدِيَّنا -أهلَ السنة- ليس منتظرًا.

أما إذا كان «الانتظار» يعني مجرد ترقب ظهوره كشرط من أشراط الساعة، والاستبشار بذلك كما روي عنه -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «**أبشركم بالمهدي**»(١)، ذلك الاستبشار الذي يزرع الأمل في صحراء اليأس(٢)؛ فلا حرج في ذلك بشرط عدم تعليق الأعمال الشرعية

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٧)، (٣/ ٥٢)، وإسناده ضعيف، كما في «الموسوعة في أحاديث المهدي الضعيفة والموضوعة» ص(٧١-٧٣).

(٢) وقد كان من هدي النبي -صلى الله عليه وسلم- تبشير المؤمنين بالنصر والتمكين وحسن العاقبة في وقت المحن، كما في حديث خباب بن الأرت -رضي الله عنه- قال: شكونا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو متَوسِّدٌ بُرْدَةً له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تدعو الله لنا؟ ألا تستنصر الله لنا؟ فجلس مُحْمارًّا لونه أو وجهه، فقال لنا: «**لقد كان مَن قبلكم يُؤْخَذُ الرجلُ، فيُحفَر له في الأرض، ثم يُجاء بالمِنشار، فيُجْعَلُ فوق رأسه، ثم يُجْعَلُ بفِرقتين ما يَصرفُه عن دينه، ويُمْشَطُ بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عَظمٍ وعَصَبٍ ما يصرفُه عن دينه، وليُتِمنَّ اللهُ هذا الأمرَ حتى يسيرَ الراكبُ منكم من صنعاء إلى حضرموتَ لا يخشى إلَّا الله، ولكنكم تعجلون**».

أخرجه البخاري (٦/ ٤٥٦- فتح)، وانظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ١٣٣، ١٣٤).

على خروجه[(١)]، فيكون حالنا كحال الجيش الذي يقاتل العدو، لكنه يتوقع رحمةَ الله بمجيء المدد ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى: ٢٨].

وهذا هو المقصود من وصف بعض علمائنا المهديَّ بأنه «منتظر»، عكس حال إخواننا الذين انتقلت إليهم عدوى «الانتظار» بالمفهوم الشيعي الرافضي[(٢)].

---

(١) كما مر آنفًا ص(٢٩٧).

(٢) يرى علماء الرافضة عدم شرعية أية راية ترفع قبل ظهور مهديهم الخرافة؛ فقد جاء في «الكافي» لشيخهم «المفيد»: «كل راية ترفع قبل راية القائم؛ فصاحبها طاغوت»، وقال المازندراني في شرح النص الآنف الذكر: «**وإن كان رافعها يدعو إلى الحق**». اهـ. من «شرح الكافي» (١٢/ ٣٧١).
وفي «الكافي» عن أبي عبد الله، قال: «القتال مع غير الإمام المفترض طاعته حرام مثل الميتة والدم ولحم الخنزير». اهـ. من «فروع الكافي» (١/ ٣٣٤). والإمام المفترض الطاعة على المسلمين -في زعمهم- اختفى منذ (١١٦٨) سنة، وقبل سنة (٢٦٠هـ) هم بقية أئمتهم الاثنى عشر؛ وعليه فالجهاد مع أبي بكر وعمر وعثمان -رضي الله عنهم- وبقية خلفاء المسلمين إلى اليوم هو حرام كحرمة الميتة والدم، ومجاهدو الصدر الأول عند الرافضة قتلة، وجهادهم باطل، لا أجر لهم فيه ولا ثواب، روى شيخهم الطوسي في «التهذيب»: عن عبد الله بن سنان، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جُعِلتُ فداك، ما تقول في هؤلاء الذين يُقتلون في الثغور؟ قال: فقال: «الويلَ يتعجلون، قتلة في الدنيا، وقتلة في الآخرة، والله ما الشهيد إلا شيعتنا، ولو ماتوا على فراشهم». اهـ. من «تهذيب الأحكام» (٢/ ٤٢).

الفَصْلُ الثاني

في وُجوبِ الأَخْذِ بِالأَسْبابِ، وَعَدَمِ مُنافَاةِ ذَلِكَ لِلتَّوَكُّلِ(١)

قال الله -عز وجل-: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ﴾ [النساء: ٧١]، وقال سبحانه: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ الآية [الأنفال: ٦٠]، وقال -عزَّ وجلَّ-: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الملك: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، وقال سبحانه: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات: ٦١]، وقال -جلَّ وعلا-: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وأمر الله مريم -عليها السلام- أن تأخذ بالأسباب، وهي في أشد ضعفها، فقال -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾ [مريم: ٢٥].

---

(١) التوكل شرعًا: هو الثقة بالله، والإيقان بأن قضاءه ماضٍ، واتباع سنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- في السعي فيما لابد منه من الأسباب، انظر «تفسير القرطبي» (١٨٩/٤).
ومن التوكل على الله: أن يراعيَ الإنسانُ الأسبابَ الظاهرة، ولكن لا يُعوِّل بقلبه عليها، بل يعول على الله تعالى.

ألم تـر أن الـلـه قـال لمريم وهُزِّي إليكِ الجِذْعَ يَسَّاقَطِ الرُّطَبُ
ولو شاء أن تجنيه مِن غيرِ هَزِّهِ جَنَتْهُ ولكنْ كلُّ شيءٍ له سببُ

وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يُعِدُّ لكل أَمْرٍ عُدَّتَهُ، ويرسم له خُطَّتَهُ، كما حدث في رحلة الهجرة؛ فقد أَعَدَّ الرواحِلَ والدليلَ، واختارَ الرَّفِيقَ، وَحَدَّدَ مكانَ الاختفاء إلى أن يهدأ الطلب، وأحاط ذلك كله بسياجٍ من الكتمان، وكذلك كانت سيرته في غزواته كُلِّهَا، وعليه رَبَّى أصحابه الكرام، فكانوا يَلْقَوْنَ عدوهم متحصنين بأنواع السلاح، ودخل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مكة، والبيضة على رأسه، مع أن الله -سبحانه وتعالى- قال: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧]، وكان إذا سافر في جهاد، أو حج، أو عمرة، حمل الزاد والمزاد.

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: «فحال النبي صلى الله عليه وسلم، وحال أصحابه، مَحَكُّ الأحوال، وميزانها، بها يُعْلَمُ صحيحُها من سقيمها، فإن هِمَمَهُمْ كانت في التوكل أعلى من همم مَن بعدهم»[١].

وقال سهل: «من قال: التوكل يكون بترك العمل، فقد طعن في سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-»[٢].

فقد بيَّن -صلى الله عليه وسلم- أن الأخذ بالأسباب لا يُنافي التوكل على الله سبحانه وحده؛ فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: جاء رجل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- على ناقة له، فقال: يا رسول الله، أَدَعُها، وأتوكل؟ فقال -صلى الله عليه وسلم-: «**اعْقِلْهَا، وَتَوَكَّلْ**»[٣].

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ١٣٥). (٢) «تفسير القرطبي» (٤/١٨٩).

(٣) رواه الترمذي رقم (٥٣٧)، (٤/ ٦٦٨)، وابن حبان في «صحيحه» رقم (٢٥٤٩)، «موارد» ص(٦٣٣)، وقال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار»: «إسناده جيد» (٤/ ٢٧٩)، بهامش «الإحياء».

وعن أمير المؤمنين عمر -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُم عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا**»[(١)]، وهو ظاهر في أن التوكل يكون مع السعي، لأنه ذكر للطير عملًا، وهو الذهاب صباحًا في طلب الرزق، وهي فارغة البطون، والرجوع وهي ممتلئتها.

قال الإمام أحمد -رحمه الله تعالى-: «ليس في الحديث دلالة على القعود عن الكسب، بل فيه ما يدل على طلب الرزق؛ لأن الطير إذا غدت فإنما تغدو لطلب الرزق»[(٢)].

وقيل للإمام أحمد -أيضًا-: ما تقول فيمن جلس في بيته ومسجده، وقال: لا أعمل شيئًا حتى يأتي رزقي؟

فقال أحمد: هذا رجلٌ جَهِل العلم، أما سمع قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «جُعِلَ رزقي تحت ظل رمحي»[(٣)]؟!

وقال -صلى الله عليه وسلم-: «لَأَنْ يأخذَ أحدُكم حبلَه فيأتي بحزمة حطبٍ على ظهره، فيبيعها فيكف الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناسَ أعطَوْه أو منعوه»[(٤)].

---

(١) رواه الإمام أحمد (١/ ٣٠، ٥٢)، والترمذي رقم (٢٣٤٤) (٤/ ٥٧٣)، وقال: «حسن صحيح لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه»، وابن ماجه رقم (٤١٦٤) (٢/ ١٣٩٤)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٨١)، وصححه، ووافقه الذهبي، ورواه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٦٩).

(٢) «شعب الإيمان» (٢/ ٦٦، ٦٧).

(٣) جزء من حديث رواه الإمام أحمد (٧/ ١٤٢) رقم (٥١١٤)، وصححه الشيخ أحمد شاكر.

(٤) أخرجه البخاري (٣/ ٣٣٥-سلفية)، ومسلم (٢/ ٧٢١).

وقال -صلى الله عليه وسلم-: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِالله، وَلَا تَعْجَزْ**»(١) الحديث.

وعن عوف بن مالك -رضي الله عنه-: «أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قضى بين رَجُلَيْنِ، فقال المقْضِيُّ عليه لما أَدْبَرَ: حَسْبُنَا اللهُ، ونِعْمَ الوَكِيلُ، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**مَا قُلْتَ؟**» قال: قلت: حَسْبِيَ اللهُ، وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ، فَإِنْ غَلَبَكَ أَمْرٌ، فَقُلْ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**»(٢).

ونَدَّدَ عمر -رضي الله عنه- بالكسالى القاعدين عن طلب الرزق، فقال: «لا يَقْعُدَنَّ أحدُكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تُمْطِرُ ذهبًا، ولا فِضَّةً، وإن الله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾» [الجمعة: ١٠].

قالوا جُدودٌ(٣) وأقسامٌ فقلتُ لهم ... بلى ولكن علينا السعيُ والطلبُ
وللمطالبِ أسبابٌ مُقدَّرةٌ ... وبعضُ سعيِكَ في مطلوبك السببُ

لقد كانوا يُدْرِكُونَ أن لله تعالى سُنَنًا في هذا الكون، وفي حياة البشر، غير قابلة للتغيير، ومع أن لله سبحانه سننًا خارقةً لا يعجزها شيء، إلَّا

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٦٦٤)، (٤/ ٢٠٥٢)، وابن ماجه في «المقدمة» رقم (٧٩)، (١/ ٣١)، والإمام أحمد (٢/ ٣٦٦، ٣٧٠).

(٢) رواه الإمام أحمد (٦/ ٢٤، ٢٥)، وأبو داود رقم (٣٦١٠)، وضَعَّفَهُ النووي في «الأذكار»، وقال المنذري: «في إسناده بقية بن الوليد، وفيه مقال»، وضَعَّفَهُ الألباني في «تحقيق الكلم الطيب» ص(٧٩).

(٣) الجُدود: جمع جَدٍّ، وهو الحظ والبخت.

أن الله -عز وجل- قضى أن تكون سنته الجارية هي الأصل الثابت في الحياة الدنيا، وأن تكون سُنَّته الخارقة استثناءً من هذا الأصل، وكلتا السُّنَّتين مرتبطة بمشيئته جل وعلا؛ ولذلك كان الصحابة -رضي الله عنهم- يحترمون السنن، ويأخذون بالأسباب دون تعليق القلوب بها، أو التوكل عليها؛ لأن الله -عز وجل- أمرهم بها، وعَلَّمهم أن الوصول إلى نتيجة معينة في واقع حياتهم مَنُوطٌ بالأخذ بالأسباب المؤدية إليها، وعلى ذلك جرت سُنَّة الله سبحانه في خلقه.

قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله تعالى-: «واعلم أن تحقيق التَّوَكُّلِ لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله سبحانه وتعالى المقدورات بها، وجرت سُنَّته في خلقه بذلك؛ فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعةٌ له، والتوكل بالقلب عليه إيمانٌ به»[1].

ولنا أن نتخيل الحال التي كان يمكن أن يئول إليها مصير الدعوة والأمة؛ لو أن الأجيال السابقة أصغوا إلى نداءات الاستسلام، وأحلام الانتظار حتى يخرج المهدي، هل كانوا سيهزمون التتار والصليبيين، ويفتحون القسطنطينية؟!

(١) «جامع العلوم والحكم» ص(٤٠٩).

الإِفرَاطُ فِي الإِحسَاسِ بالعَجزِ يَنشَأُ عَنهُ التَّفرِيطُ فِي إِزَالَةِ العَجزِ

حينما يحاول الناس ملء الفجوة بين الواقع المشهود، وبين الأمل المنشود، يختلف موقفهم تبعًا لنوعية مفاهيمهم، والذي نقصده هنا ذلك الفريق الذي إذا فكر في حل هذه المعضلة، وملء هذه الفجوة، وكان هناك اتجاهان:

أحدهما: إيجابي يَطْلُبُ منه مواجهة الواقع، ومجابهة الباطل، والمثابرة على الأخذ بأسباب نهوض الأمة.

والثاني: سلبيٌّ يَؤُزُّهُ على التخلي عن المسئولية الحاضرة، والفرار إلى الأماني المستقبلية، فإنه ينحاز بلا تردد، إلى الاتجاه السلبي[(١)].

قال الشاعر:

من عادة الإسلام يَنْصُرُ عالمًا ... ويُسَوِّدُ المِقدامَ والفَعَّالا
ظَلَمَتْهُ ألسنةٌ تؤاخِذه بكم ... وظلمتموه مقصِّرينَ كُسالى

---

(١) ولعل أوضح أنموذج لهذا الاتجاه «جماعة شكري مصطفى» المعتنقين لمذهب الخوارج، والذين كانوا يرسمون خططهم المستقبلية وكأنهم يعيشون في الدنيا وحدهم، وأن ما سوف يقررونه بتفكيرهم «الذاتي» ومن تلقاء أنفسهم، هو حتمًا سنة الله التي لا تتبدل ولا تتغير، وكأنما يمسكون بأيديهم عجلة قيادة الأقدار، (إذ ترى جماعة شكري أن دورهم يبدأ بعد تدمير الكافرين؛ أي: بعد حرب لا تُبقي ولا تذر بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي، ومن المستحيل -عندهم- قيام الخلافة الإسلامية قبل نشوب هذه الحرب، ويؤكدون أنه من سنن الله تعالى أن يكون القتال بالسلاح القديم؛ أي: بالسيوف، والحراب، والرماح، والخيول، =

. . . .

= ولا يكون هذا إلَّا بعد انقراض الأسلحة الحديثة؛ كالصواريخ، والقنابل الذرية، والطائرات الحربية، وغيرها.

جاء في رسالتهم «التوسمات»: «لا بد أن تُدمَّر الأرض بمن عليها، وتبقى القوة المؤمنة، ويبقى السلاح الفطري».

وجاء في الرسالة نفسها تحت عنوان: كيف تقوم دولة الإسلام؟ «إقامة دولة الإسلام على أنقاض دولة الكفر، ومن سننه تعالى الصراعات بين القوتين العظميين المختلفتين فكريًّا، وهذا قائم بين الروس والأمريكان، كما كان قائمًا بين الفرس والرومان، ومن سُنَّة الله في نشوء الدعوات أن تصطرع هاتان القوتان العظيمتان في حروب طاحنة تهلك بعضها بعضًا، والجماعة المسلمة ليست على مستوى هاتين القوتين؛ فتفكير الجماعات التي تزعم الانتساب للإسلام بالانقلابات العسكرية هو سذاجة وانحراف: أن نتصور أننا سنتفوق ماديًّا وعسكريًّا على الجاهلية، والنصر الجاد للجماعة المسلمة هو أن تعبد الله؛ وبعد هذا يُمكِّن الله تعالى لها بِقَدَرِه، وبأن تقضي القوتان المتصارعتان على بعضهما تمهيدًا لنصر المؤمنين، وهذا له صلة بأسلوب القتال وسلاحه، فتدمير الكافرين بتدمير سلاحهم، وأصول قتال المسلمين هو قتال رجل لرجل، وليس قتال الجاهلية في تدمير الأرض بمن فيها بالصواريخ والقنابل الذرية، ومن سنة الله أن يكون القتال بالسلاح القديم للجماعة المؤمنة: «الجنة تحت ظلال السيوف»، ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، و«يُحرِق أحدهم وَتَر قوسِه فيأكله» رواه أحمد (٤/ ٢١٧). ومن سنة الله تعالى أن يدمر الأرض بالكافرين يوم يملكون الأرض ويتبجحون فيها، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾». اهـ.

وفي كتابهم «الخلافة» تحدثوا عن الجهد البشري والإعداد وسنن الله في أرضه، فكان مما قالوه: «وأنا لا أقول ذلك لأثبت وجوب التسابق مع الشرق والغرب في عمل قنبلة أو صاروخ، وإنما على العكس من ذلك تمامًا؛ فلا يمكن أن يكون ذلك التسابق هو الحل؛ حيث إن العدو قد سبق في هذا المجال، مما لا يدرك حتى لو سرنا على درب السنن الذي قد سار هو عليها، وحتى لو سمح لنا بذلك، ولن يسمح».

وفي أقوال هذه الجماعة مغالطات كثيرة، من أهمها ما يلي: =

. . . .

= ١- لو قرءوا التاريخ الإسلامي جيدًا وسبروا أغواره، لعلموا أن الجماعة المسلمة الأولى لم تقعد عن الجهاد بعد أن أوجبه الله عليها، وتسوغ لنفسها الأعذار، وتنتظر هلاك الفرس والرومان، وإنما خاضت حربًا ضروسًا مع الدولتين، استخدمت فيها كل ما تمكنت من الحصول عليه من أسلحة عصرية حديثة، وقدمت قوافل الشهداء قافلة تلو الأخرى، وأكرمها الله بالنصر رغم أنها كانت أقل عددًا وعدة من عدوها، ورغم أن المسلمين كانوا يخوضون حربًا هجومية؛ ولهذا كان قياس جماعة شكري فاسدًا، وجميع النتائج التي انتهوا إليها ليست صحيحة.

٢- زعموا أن الجهاد الإسلامي لا يكون إلَّا بالسلاح القديم؛ كالسيف والقوس؛ ومن ثَمَّ فلا يصح أن يكون الجهاد الإسلامي المشروع -على حد زعمهم- إلَّا قتال رجل لرجل. ومن أدلتهم على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وهذا الدليل حجة عليهم، وليس لهم؛ فقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا﴾ الإعداد: تهيئة الشيء للمستقبل. ﴿مَّا اسْتَطَعْتُم﴾: ﴿مَّا﴾ من ألفاظ العموم والاستغراق؛ أي: كل ما تقدرون عليه من أسباب القوة المادية والمعنوية.

روى مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر -رضي الله عنه- قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم -وهو على المنبر- يقول: «﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي». وهذا كما قال بعض المفسرين من قبيل حديث «**الحج عرفة**» بمعنى: أن كلا منهما أعظم الأركان في بابه، وذلك أن رمي العدو عن بُعْدٍ بما يقتله أسلم من مصاولته على القرب بسيف أو رمح أو حربة، وإطلاق الرمي في الحديث يشمل كل ما يُرمى به العدو من سهم أو قذيفة منجنيق أو طيارة أو بندقية أو مدفع وغير ذلك، وإن لم يكن هذا معروفًا في عصره صلى الله عليه وسلم، فإن اللفظ يشمله، والمراد منه يقتضيه، ومن قواعد الأصول: أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالواجب على المسلمين في هذا العصر بنص القرآن صنع المدافع بأنواعها، والبنادق، والدبابات، والطيارات، والمناطيد، والصواريخ، والسفن الحربية، والغواصات، ويجب عليهم تعلم الفنون والصناعات التي يتوقف عليها صنع هذه الأشياء وغيرها من قوى الحرب، بدليل: =

فمنهم من يقول: فلننتظر على أمل أن تخرب الدنيا، وتقع حرب نووية شاملة تدمر معظم البشرية، وتقضي على كل أنواع الأسلحة المتطورة، وعندها يشير إلينا التاريخ برأسه: «أن هلموا! قد جاء دوركم»، إن هذا ليس رجاءً محمودًا، ولكنه «اليأس» الْمُقَنَّعُ.

ومن هؤلاء من يستبشر بانهيار المذاهب الملحدة؛ كالشيوعية، وإفلاس الرأسمالية، وتهافت الأديان الوثنية والْمُحَرَّفَة، ويحسب أن هذا وحده يعني انتصار الإسلام، كلا؛ إن هذا لا يعني التمكين للإسلام، حتى يعود المسلمون إلى دينهم، ويثوبوا إلى ربهم، ويؤدوا واجبهم في إبلاغ الإسلام إلى البشرية، ويبذلوا الجهد في النهوض من كبوتهم.

ومنهم من يترقب حصول خوارق عادات يترتب عليها التمكين لدين الله في الأرض، وهؤلاء يتناسون سُنَّة الله في الذين خلوا من قبلُ، وأن الابتلاء حتمي قبل التمكين؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤]، وقال -عزَّ وجلَّ-: ﴿الٓمٓ ۝١

= ما لا يتم الواجب المطلق إلَّا به، فهو واجب. وقد ورد أن الصحابة استعملوا المنجنيق مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في غزوة خيبر وغيرها. وكل الصناعات التي عليها مدار المعيشة من فروض الكفاية؛ كصناعات آلات القتال.

وقوله تعالى: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ رباط الخيل: حبسها واقتناؤها. ورَابَطَ الجيشُ: أقام في الثغر. والغرض من هذه المرابطة يُبَيِّنه قوله تعالى: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾، ولن نرهب أعداء الله بالخيل إذا كانوا يواجهوننا بالطائرات والصواريخ والمدرعات.

وجملة القول: إن قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ألا إن القوة الرمي**» ينسف أباطيلهم كلها، ولا يُبقي لها أثرًا). اهـ. بطوله من «الحكم بما أنزل الله وأهل الغلو» (ص٢٦٥-٢٦٨). وتجدر الإشارة إلى أن المؤلف دَوَّنَ في هذا الكتاب -بأمانة وموضوعية- ما كاد يندثر من وثائق تلك الجماعة وأخبارها.

أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾ [العنكبوت: ١-٢]، وقال سبحانه: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ الآية [آل عمران: ١٤٠]، وقال -عز من قائل-: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤].

لقد اقترن ميلاد الدعوة الإسلامية في غار حِرَاء بالإخبار عن حتمية جريان سُنَّة الابتلاء؛ إذ قال ورقة بن نوفل للنبي -صلى الله عليه وسلم-: «لم يَأْتِ رجلٌ قطُّ بمثل ما جئتَ به إلَّا عُودِيَ». وقال الراهب للغلام: «أيْ بُنَيَّ، إنك خيرٌ مني، وإنك سَتُبْتَلَى». وقال -صلى الله عليه وسلم-: «**أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ، فَالأَمثَلُ**»، ولما سُئِلَ الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى-: أَيُّهُمَا خيرٌ للرجل: أن يُمَكَّنَ أو يُبْتَلَى؟ قال: «لا تُمَكَّنُ حتى تُبْتَلَى».

فمع أن الله -عزَّ وجلَّ- قادرٌ على أن يجعل البشر جميعًا على أتقى قلب رجل واحد منهم بكلمة من حرفين: «كن»، فيكون؛ إلَّا أن حِكْمَتَهُ -جل وعلا- اقتضت أن يُبْتَلَى الناس بعضهم ببعض؛ لتكون العاقبة للتقوى.

واقتضت حكمته تعالى -أيضًا- أن تُربط المسبَّباتُ بأسبابها، والنتائج بمقدماتها، وقد أودع الله سبحانه في هذا الوجود قوانين وسننًا تحكمه، وهذه السنن تحترم من يحترمها، ولو كان كافرًا، ولا تحابي أحدًا إذا أهملها، ولو كان مؤمنًا.

ولو تصور مسلم أنه إذا ألقى نفسه من مبنى شاهق فإن سنَّة أو ما يسمى «قانون الجاذبية» سوف تحابيه لإيمانه، أو تجامله ليهبط بسلام؛ فهو واهم، لأن الأصل هو إعمال تلك السنن التي لا تتبدل ولا تتحول إلَّا أن يشاء الله تعالى أن يخرق العادة، وهذا استثناء، وليس الأصل.

إن كثيرًا من الجماعات الدعوية تبني خططها على أساس ترقب حصول هذا الاستثناء، وتهمل قانون السنن الإلهية الثابتة العادلة.

إن خرق العادة في كلِّ موقفِ محنةٍ للمسلمين -ينافي كون الدنيا دار عمل وامتحان، والإيمان الذي ينشأ نتيجة الاضطرار لا اعتداد به؛ كإيمان الكافر عند حضور ملك الموت، واليقين الذي ينشأ اضطرارًا لا عبرة به ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة: ١٢].

لقد أزعج هذا النمط العجيب من التفكير كثيرًا من الناصحين؛ فكتبوا يُصَحِّحُونَ المفاهيم، ويُحَذِّرُونَ الأمةَ من الذين ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾، وهاك مقالات بعضهم:

أولًا: قال العلَّامَةُ المجدِّد ناصر الدين الألباني -رحمه الله تعالى-:

«لا يجوز للمسلمين اليوم أن يتركوا العمل للإسلام، وإقامة دولته على وجه الأرض انتظارًا منهم لخروج المهدي، ونزول عيسى -عليهما السلام- يأسًا منهم أو توهمًا أن ذلك غير ممكن قبلهما، فإن هذا تَوَهُّمٌ باطل، ويأسٌ عاطل؛ فإن الله تعالى أو رسوله -صلى الله عليه وسلم- لم يخبرنا أن لا عودة للإسلام، ولا سلطان له على وجه الأرض إلَّا في زمانهما؛ فمن الجائز أن يتحقق ذلك قبلهما إذا أخذ المسلمون بالأسباب الموجبة لذلك؛ لقوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وقوله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

ولقد كان هذا التوهم من أقوى الأسباب التي حملت بعض الأساتذة المرشدين، والكتاب المعاصرين، على إنكار أحاديث المهدي وعيسى عليهما السلام، على كثرتها وتواترها؛ لما رأوا أنها عند المتوهمين

مَدْعَاةٌ للتواكل عليها، وترك العمل لعز الإسلام من أجلها؛ فأخطئوا في ذلك أشد الخطأ من وجهين:

الأول: أنهم أقرُّوهم على هذا التوهم؛ على اعتبار أن مصدره تلك الأحاديث المشار إليها؛ وإلا لم يبادروا إلى إنكارها.

والآخر: أنهم لم يعرفوا كيف ينبغي عليهم أن يعالجوا التوهم المذكور؟ وذلك بإثبات الأحاديث، وإبطال المفاهيم الخاطئة مِن حولها، وما مَثَلُهُمْ في ذلك إلا كَمَثَلِ من أنكر عقيدة الإيمان بالقدر خيرِهِ وشرِّهِ؛ لأن بعض المؤمنين به فَهِمُوا منه أن لازمه الجبر، وأنَّ المكلَّف لا كسب له، ولا اختيار، ولما كان هذا الفَهْمُ باطلًا بَدَاهةً سارعوا إلى إنكاره، ولكنهم أنكروا معه القدر أيضًا؛ لتوهمهم -أيضًا- مع المتوهمين أنه يعني الجبرَ، فوافقوهم في خطئهم في التوهم المذكور، ثم زادوا عليهم خطأً آخرَ -فِرَارًا من الأول- وهو إنكارهم للقدر نفسه؛ فلولا أنهم شاركوهم في فَهْمِهِمْ منه الجبرَ لما أنكروه.

وهذا عين ما صنعه البعض المشارُ إليه من الأساتذة والكُتَّاب؛ فإنهم لما رأوا تواكل المسلمين، إلا قليلًا منهم، على أحاديث المهدي وعيسى، بادروا إلى إنكارها لتخليصهم -بزعمهم- من التواكل المذكور، فلم يصنعوا شيئًا؛ لأنهم لم يستطيعوا تخليصهم بذلك من جهة؛ ولا هم كانوا على هُدًى في إنكارهم للأحاديث الصحيحة من جهة أخرى.

والحقيقة: أن هؤلاء المنكرين الذين يفهمون من هذه الأحاديث ما لا تدلُّ عليه من التواكل المزعوم؛ ولذلك يبادرون إلى إنكارها تَخلُّصًا منه، قد جمعوا بين المصيبتين: الضلال في الفَهم، والكفر بالنص، ولكنهم عَرَفُوا أن الفَهْمَ المذكورَ ضلال في نفسه؛ فأنكروه بإنكار النص الذي فهموا ذلك منه.

وعَكَسَ ذلك العامَّةُ، فآمنوا بالنص مع الفَهْم المذكور، فمع كلٍّ مِن الفريقين هدًى وضلال. والحق: الأخذ بهُدَى كلٍّ منهما، ونبذ الضلال الذي عندهما؛ وذلك بالإيمان بالنص دون الفهم الخاطئ.

وما مثل هؤلاء وهؤلاء إلا كمثل المعتزلة من جهة، والمشبِّهة من جهةٍ أخرى؛ فإن الأولين تأوَّلوا آياتِ وأحاديثَ الصفات بتآويلَ باطلةٍ، أودت بهم إلى إنكار الصفات الإلهية، وما حملهم على ذلك إلا فِرَارُهُمْ من التشبيه الذي وقع فيه المشبِّهة. والحقيقة: أن المعتزِلَة أنفسهم شاركوا المشبِّهة في فَهْم التشبيه من آيات الصفات، ولكنهم افترقوا عنهم بإنكار التشبيه بطريق التأويل الذي هو باطل -أيضًا- كالتشبيه؛ لِمَا لزم منه من إنكار الصفات الإلهية، وأما المشبِّهة فلم يقعوا في هذا الباطل، ولكنهم ثبتوا على التشبيه.

والحق: الجمعُ بين صواب هؤلاء وهؤلاء، وردُّ باطل هؤلاء وهؤلاء؛ وذلك بالإثبات والتنزيه؛ كما قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وكذلك أقول في أحاديث نزول عيسى عليه السلام، وغيرها؛ فإن الواجب فيها إنما هو الإيمان بها، وردُّ ما توهمه المتوهمون منها؛ من ترك العمل، والاستعداد الذي يجب القيامُ به في كل زمان ومكان، وبذلك نكون قد جمعنا بين صواب هؤلاء وهؤلاء، ورددنا باطل هؤلاء وهؤلاء، والله المستعان»[١]. اهـ.

---

(١) «قصة المسيح الدجال»، للألباني -رحمه الله تعالى- ص(٣٦-٣٨).

ثانيًا: الأستاذ الشيخ أبو الأعلى المودودي -رحمه الله تعالى-:

بعد أن أنكر على من ينكرون ظهور المهدي، أنحى فضيلته باللائمة على الذين يؤمنون بظهور المهدي لكنهم يتخذون ذلك ذريعة إلى السلبية والتواكل والاستكانة بحجة انتظار المهدي، فقال -رحمه الله تعالى-:

إنهم «يتصورون أن الإمام المهدي سيكون رجلًا من نمط قدماء المشايخ الصوفية الذين يُفَضِّلون أورادَهم وأذكارَهم على أوراد وأذكار المصطفى صلى الله عليه وسلم، والذين يزيدون في الدين نوعًا من تزكية النفس كما يدَّعون، لأن الذي نزلت عليه الآية الكريمة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ قصَّر بهذا، فأتت أمتُه -بدون خزعبلاتهم- قاسيةَ القلوب، رققوها وهذبوها بما استوردوه من ديانات الهند والسند، ومن رقصات السامبا والتويست، وغاب عن ذهنهم أن تزكية النفوس بالجهاد والحركة المستمرة الدءوب، فلا يسمع به الناس إلا وقد ظهر من معهد قديم، أو خرج من زاوية اعتكاف يُصَرِّف السُّبْحة بيده، ويتلو الأوراد بلسانه، ويعلن على الخلق: «أنا المهدي أيها الناس!»، وإذا العلماء والمشايخ يُهَرْوِلون إليه حاملين بأيديهم الكتبَ والأسفار، يقابلون هيئته وهندامه بما ورد فيها من سماته وعلاماته فيعرفونه، ثم تكون البيعة العامة، ويتبعها إعلان الجهاد، وهنالك يبادر جميع الدراويش المعتكفين في خلواتهم، وأما إذا قام الجهاد ووقع القتال، فلا يستعمل فيه السيف إلا تَحِلَّة القسم[1]، وإنما تعمل البركة والتصرفاتُ الروحية عملَها في

---

(١) تحلة القسم: أن يباشر من الفعل الذي أقسم عليه المقدار الذي يبر به قسمه، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد، فتمسَّه النارُ إلا تحلةَ القَسَم» رواه البخاري =

المعارك، ويُحاز الظفر والانتصار بفضل النفثات والأوراد، حيث لا يرمي المجاهدون بنظرهم إلى كافر إلا ويخِرُّ مغشيًّا عليه، ولا يرفعون أيديهم بالدعاء على الأعداء إلا وتخور هممهم، وتنخر الديدان في طائراتهم ودباباتهم... فهذا مثل تصورات عامة المسلمين في ظهور الإمام المهدي، ولكن الذي أفهمه في أمره هو أن الحقيقة على عكس ذلك كلِّه؛ فالذي أقدِّره وأتصوره أن الإمام المنتظر سيكون زعيمًا من الطراز الأحدث في زمانه، بصيرًا بالعلوم الجديدة بصر المجتهد المُطَّلِع، ويكون جيد الفهم لمسائل الحياة، ويبرهن للعالمين رجاحة عقله وفكره، وبراعة تفكيره السياسي، وكمال حذقه لفنون الحرب، ويبز كلَّ أبناء زمانه الجدد في تقدمه وارتقائه، وإني لأخشى أن حضرات المشايخ ورجال الدين هؤلاء هم يكونون أول من يرفع النكير على رجحانه إلى الوسائل العصرية وعلى طرقه المحدثة للإصلاح، ثم لا أراه (أي: المهدي) سيكون مختلفًا في بيئته وهيئته عن عامة البشر، بحيث يعرفه الناس بعلاماته الخاصة وسماته المعلومة، كما لا أتوقع أنه يعلن

= (١١/٤٧٢-فتح)، ومسلم رقم (٢٦٣٢). قيل: إن المقصود بالقسم قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، والأقرب أنه معطوف على قوله -عز وجل-: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾.

أو يقال: ليس في الآية ولا في الحديث قسم؛ لأن من أساليب العرب التعبير بتحلة القسم عن القلة الشديدة، وإن لم يكن هناك قسم أصلًا؛ يقولون: «ما فعلت كذا إلا تحلة القسم» يعنون: إلا فعلًا قليلًا جدًّا ما يحلل به الحالف قسمه، ومنه قول كعب بن زهير في وصف ناقته:

تَخْدِي عَلَى يَسَرَاتٍ وَهْيَ لاحِقةٌ ... ذوابلٌ وَقْعُهُنَّ الأرضَ تَحْلِيلُ

أي: أن قوائم ناقته لا تمس الأرض لشدة خفتها إلا بقدر تحليل القسم، وانظر: «أضواء البيان» (٤/ ٣٥٤).

بكونه المهدي المعلوم، وإنما يتبين خلقُ اللهِ بعد موته[١] أنه هو المقيم للخلافة على منهاج النبوة المبشر به، فليس لأحد غير النبي إعلان بدء عمله، ولا أحد غير النبي -صلى الله عليه وسلم- يعلم علم اليقين أيَّ وظيفة عهدها إليه الله في هذه الدنيا... والذي أتصوره من نوعية عمل الإمام يختلف كل الاختلاف عما يتصوره الناس؛ وذلك أني لا أرى في عمله مجالًا للكرامات والخوارق والكشف والإلهام وأعمال الرياضة الروحية ومجاهدة النفس، وأعتقد أن المهدي لن تكون له مندوحة عن أن يجتاز مراحل الجهد والكفاح والسعي الشديد، ما يضطر إلى اجتيازه كل زعيم انقلابي[٢]. والمهدي سيسير على أساس الإسلام الخالص، ويقلب عقلية الناس، ويبعث حركة قوة تكون ثقافية وسياسية، وستهب في وجهه الجاهلية بجميع قواها تعارض دعوته، وتقاوم حركته، ولكنه سيوفق آخر الأمر للقضاء على سلطتها، ويشيد دولة إسلامية موطدة الدعائم، تجري في هيكلها روح الإسلام الخالصة، ويبلغ رقيها في العلوم التجريبية والطبيعية ذروة الكمال». اهـ[٣].

ثالثًا: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة -رحمه الله تعالى-:

تعرض في تعليقه على كتاب «التصريح بما تواتر في نزول المسيح» للرد على القاعدين المتخاذلين عن نصرة الإسلام بحجة انتظار المهدي ونزول المسيح عليه السلام، فقال:

---

(١) هذا صحيح، لولا أن الأحاديث الصحيحة دلت على أن المهدي ينزل في عهده المسيحُ -عليه السلام- من السماء، ويصلي خلفه عند نزوله. وانظر: «المهدي» للمؤلف ص(٥٧٤، ٥٧٥).

(٢) أي: كل زعيم يصبو إلى تغيير أوضاع الأمة إلى الأفضل.

(٣) «تجديد الدين وإحياؤه» ص(٣٧-٤٠).

«ولو كانت هذه الفكرة صحيحة سليمة ثابتة لما كان الجهد والجهاد من السلف في دفع كل زيغ وانحراف من أي مبطل كان: أجنبيًّا أو عربيًّا، مسلمًا في الصورة أو كافرًا؛ لأننا إذا مشينا في ظل هذا الفكر الزائغ لزمنا أن نستسلم لكل ما يواجهنا من صعوبات وتحديات في مختلف الشئون والمستويات! وهذا أمر لا يقول به عاقل فضلًا عن أن يكون الشرع الإسلامي أراده منا، وحاشا شرع الله من أن يضاف إليه ذلك.

فلماذا يسعى هؤلاء الجاهلون المصابون بهذه الفكرة المريضة في تنمية أموالهم وأحوالهم وتحسين عيشهم ومسكنهم وما إلى ذلك من أمور الدنيا ومرافق الحياة؟ فإذا جاءوا إلى أمور الدين والجهاد لبستهم هذه الفكرة الشيطانية، فضلوا، وتخاذلوا عن نصرة دينهم، فأين عقلهم وفهمهم من صريح قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**الجهاد ماض إلى يوم القيامة**»[(١)]، وأمثاله من الأحاديث الصحيحة الكثيرة، وقد علم العالمون البصراء أن سنة الله في عباده: الجهد والجهاد والأخذ بالأسباب، كما هو بديهي عند كل مسلم فاقهٍ لدينه وإسلامه.

---

(١) قطعة من حديث رواه أنس -رضي الله عنه- ولفظها: «**والجهاد ماضٍ منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخرُ أمتي الدجالَ، لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل**» رواه أبو داود رقم (٢٥٣٢)، وفيه يزيد بن أبي نشبة، قال المنذري في «مختصره»: «في معنى المجهول». اهـ.
وقال الألباني في «تحقيق المشكاة»: «إسناده ضعيف، فيه مجهول، وإن كان معناه صحيحًا». اهـ (١/ ٢٥)، وانظر: «نصب الراية» (٣/ ٣٧٧)، «مجمع الزوائد» (١/ ١٠٦).

فترك الجهد والعمل في نصرة الدين والإسلام جريمة، وترك دفع المبطلين والظالمين والكافرين الصائلين على المسلمين -بسبب هذا الاعتقاد الباطل- جريمة فوق جريمة ومصيبة عظيمة أصيب بها عقل المرضى بهذا الاعتقاد، ويجب الإسراع بعلاجهم وإنقاذهم من هذا الداء الوبيل»(١). اهـ.

رابعًا: قال الدكتور/ عبد العزيز مصطفى -وفقه الله تعالى-:

«جهاد الكفار -أيًّا كانوا، وأينما كانوا، وفي أي زمان كانوا- واجبٌ بالشرع المحكم غير المنسوخ، وهذه حقيقة إسلامية ثابتة، وهذا الجهاد واجب بشروطه، وضوابطه، وأحكامه، وليس من هذه الشروط، أو الضوابط، أو الأحكام، أن يُؤَخَّرَ الجهادُ انتظارًا لتحول الغيب إلى شهادة، ما هكذا فَهِمَ المسلمون الأوائل، وما هكذا فعلوا، بل إنهم لما أُخْبِرُوا بأن الله -تعالى- سيكسر مُلك كسرى بسيوفهم؛ ما قبعوا في البيوت ينتظرون تحقق الخبر، ووقوع الأمر بلا مقدمات يبذلونها، وجهود يقدمونها، لا؛ بل أعدوا للأمر عُدَّتَهُ، وأخذوا للشأن أُهْبَتَهُ، حتى وقع النصر، وتطابق أمر الشرع مع أمر القدر.

وإن المسلمين الأوائل لما أُنْبِئُوا بأن اللهَ سيكسر مُلك قَيْصَرَ على أيديهم لم يناموا على الأسِرَّة منتظرين تحقق النبوءة، ووقوع المعجزة؛ بل شمَّروا عن ساعد الجد، وجردوا الحسام من الغِمْد، وانطلقوا في أرض الله يقاتلون باسم الله مَن كفر بالله، حتى سقطت مملكةُ قيصرَ، وتطابق المشروع مع المقدور، وهكذا كان الشأن في النبوءات الأخرى عن فتح مصر، والشام، والعراق، وحتى القسطنطينية، لم يقل السلطان

---

(١) مقدمة «التصريح بما تواتر في نزول المسيح» ص(ذ، ر).

محمد الفاتح: «إن فتحها ليس وقته الآن»، بل قامت موجبات الجهاد الشرعية في عهده، فامتثل، وجاهد، وفتح، وانتصر، أما بعض مسلمي اليوم، فيقولون: «لا، إن جهاد اليهود لن يكون حتى يخرج الدجَّال»، ولعله هذا من جملة فِتَنِ الدجَّال في هذه الدنيا.

وانطلى هذا الكلام السخيفُ على قطاعات من الشباب المسلم، فألقوا عن كواهلهم تحمل أية مسئولية تجاه المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله؛ تمامًا كما انطلى على كثير منهم مِن قبلُ كلامٌ أسخفُ منه؛ مُؤَدَّاهُ أن الدولةَ الإسلاميةَ والخلافةَ لن تقومَ حتى يخرجَ المهدي!

وعجبًا لمروجي هذا الكلام، ومردديه، كأنهم يقولون بلسان حالهم لليهود: «اشتدوا في عدائكم»، وللنصارى: «استمروا في طغيانكم»، وللمسلمين: «استمروا في تَشَتُّتِكُمْ، وتفرقكم، وتنازعكم، وغُثَائِيَّتِكُمْ، حتى يخرج المهدي إليكم»، ولا أدري: بأيَّة حُجَجٍ وأدلة يقعون في هذه الزَّلة، متوهمين أن المهدي سيخرج إلى قوم قاعدين، أو سينصره أُناسٌ خاملون؟»[(١)].

«لقد تبين لنا أن اليهودَ والنصارى ينطلقون من خلال نبوءاتهم التي دخلها كثير من التحريف إلى وضع تصوراتٍ عملية لما يمكن أن تدار على أساسه الصراعاتُ، وإلى بذل الوُسْعِ من أجل الوصول إلى أهدافٍ دينية تسَلُّطِيَّةٍ على العالم، ولم يمنعهم الاقتناع ذهنيًّا بهذه الأمور من الانصراف -أيضًا- إلى بناء الحضارة، وتوسيع العمران، وزيادة الإعداد والاستعداد للمستقبل، فماذا أقول؟! أأقول: إنهم يفهمون الروح المقصودة من التدين أكثر منا وهم على غير دين صحيح؟! أأقول: إنهم إلى

(١) «قبل أن يهدم الأقصى»، ص(٢٧٦، ٢٧٧).

جانب فهمهم للدنيا، وكيفية التعامل معها، يَفْهَمُونَ -وهم على ضلال- أن ما يجيء به الدين هو قضايا من صُلْبِ الحياة، وصميم الواقع؟!

إن اليهود والنصارى بين أيديهم أخبارٌ غير موثوقة، وتفسيرات غير مأمونة، وعقائدُ مضطربةٌ تزيدها التأويلات اضطرابًا، واختلافاتٌ فيما بينهم في الأصول والفروع، يستحيلُ معها الجمع بين الأقوال، ومع كل ذلك فهم جعلوا هذه الأخبارَ، وتلك النبوءاتِ، منارًا يسيرون على ضوئه خلال أحقابٍ طويلة؛ ففي مسيرة اليهود خلال الألفي سنة الخالية لم تكن تدفعهم إلا نبوءاتُ العهدِ القديم، ولم تستحثَّ آمالَهم إلا أخبارُ الأنبياء السابقين، ولم تستنهض هممهم إلا أمانيُّ بعيدةٌ في العودة، والعلو، والسيطرة.

وفي المقابل نرى مِن بعض قومنا مَنْ إذا أخذ بأخبارٍ من الدين عن المستقبل فإنه يجعلها سدًّا أمام الحركة، وعائقًا في وجه التقدم، ويتخذ منها وسادة وثيرة ينام عليها، أو أريكة وطيئة يقتعدها»[(١)]. اهـ.

إن مما يؤسف له أشد الأسف شيوع هذه «السلبية» بحجة انتظار خروج المهدي، مع أن أشد الناس سلبية -فيما مضى- طوَّروا مفاهيمهم تحت وطأة العقل والمصلحة والخوف من خطر الانقراض، وتحرروا من أسر السلبية والتخاذل، وترقب ما يمليه الأمر الواقع، فرأينا الرافضة يطورون مفهوم «الانتظار السلبي» لمهديهم المزعوم، ويخترع لهم الخميني مفهوم «ولاية الفقيه» ليُخرج الرافضة من «شرنقة» الانتظار السلبي لمهديهم الموهوم إلى التحرك الإيجابي وإقامة دولة قبل أن يخرج المهدي من السرداب، الأمر الذي كان مرفوضًا من قبل، ومن بعد أن

(١) السابق، ص(٢٤٧، ٢٤٨).

مرت قرون كانوا خلالها السَّنْدانَ، حولتهم «وِلاية الفقيه»(١) إلى مِطْرَقة مؤثرة فعالة، وَوَدّعوا الانتظارَ السلبي المُمِلَّ.

وكذلك فعلت «الصِّهْيَوْنِيَّةُ السياسية» التي طورت مفهوم الانتظار السلبي عند اليهود، بل تمردت عليه، وقفزت منه إلى العمل الإيجابي(٢).

أما نحن -معشرَ المسلمينَ- فلسنا في حاجة إلى ابتداع منهج؛ ولا تطوير مفهوم؛ لأن ديننا هو دين الحق، دين يُبغِض السلبية والسلبيين، ويكره القاعدين المتخاذلين، ويحث على الأخذ بالأسباب مع التوكل على الملك الوهَّاب، ونحن في الحقيقة متخلفون عن ذروته السامية، وقمته السامقة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠﴾ [الأنبياء: ١٠].

وإذا كانت «الانتصارات» قد أسكرت أعداءنا، وفَتَنَتْهم بباطلهم؛ فإن «الانكسارات» ينبغي أن توقظنا من سباتنا، وتفعلَ بنا ما تفعله الأحجار إذا ألقيت في الماء الراكد.

إن الإيمان بالغيب هو أقوى حافز ودافع للعمل في عالم الشهادة، وقد رأينا ذلك ماثلًا في واقع خير أجيال البشرية من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومَن تبعهم بإحسان؛ حيث لم يتخذوا من إيمانهم بأشراط الساعة تُكَأَةً يقعدون عليها بحجة انتظار تحققها في المستقبل، أفلم يَأْنِ لنا أن نقوم بدور «المطرقة»، ونودِّعَ دور «السَّنْدانِ»؟

سؤال ينتظر الإجابة في زمن «الانتظار».

---

(١) انظر: نقد فكرة «ولاية الفقيه» في «أصول مذهب الشيعة» للدكتور ناصر القفاري، (٣/ ١٤٠٥-١٤٢٠)، و«نقد ولاية الفقيه» للشيخ محمد مال الله.

(٢) انظر: «خدعة هرمجدون» للمؤلف، نشر دار بلنسية- الرياض- ١٤٢٤هـ.

الْمَقالُ الخامس: فَارِسُ أَحْلَامِ الدَّعْوَةِ

للأستاذ/ عبد السلام البسيوني -وفقه الله تعالى-:

«في إطار العمل الإسلامي، تحت وطأة المعاناة، وأثقال التقصير، يتطلع الحالمون إلى «فارس أحلام» في صورة مهديٍّ يصوغه خيالهم، وتُشَكِّلُهُ أحلامُهُمْ ورَغَائِبُهُم، يؤمنون به رغم أن كل القرائن تؤكد أن المهدي الذي وردت الإشارات إليه في بعض كتب السنة لَمَّا يُظِلَّنَا زمانُه، بل كثيرًا ما خرج هنا وهناك من يزعم أنه المهدي بشحمه، ولحمه، ومواهبه، ثم يتمخض الجبل فَيَلِدُ بِدَعًا، ومنكراتٍ، وتنكبًا للسنة، بل ربما ولَّد كفرًا، وضلالًا، وزندقة.

وواقع المسلمين لا يحتاج علاجًا سحريًّا، ولا يحتمل الآن متمهدين، بل يحتاج إلى قادة رعاةٍ يملكون من الوعي القيادي ما يستطيعون من خلاله أن يقودوا الأمة نحو مرافئ السلامة، وشاطئ الرشاد، دنيا وأخرى».

ثم يتحدث عن حاجة الدعوة إلى: «رمز يُشْبعُ في الأذهان فكرةَ (فارس الأحلام)، ويكون رجلًا تقيًّا واعيًا، وأَبًا رفيعًا حانيًا، وعالمًا ربانيًّا فوق الطعن واللمز، فإن فكرة الارتباط مهمة، وفكرة توفر الرمز كذلك مهمة؛ فإننا نرى المسلمين صغارًا وكبارًا لا يزالون يستنجدون برموز الأمة الموتى؛ كصلاح الدين الذي أرَّقناه في مضجعه من كثرة ندائنا له، وكعماد الدين زنكي، وقطز، وابن تيمية... حتى ضاق -من ظاهرة الاستنجاد بصلاح الدين- الشاعر «أحمد مطر»، الذي استنكر على الناس كثرة استنجادهم بمن يستحيل أن ينجدَهم، أو يغيثَهم، فهتف:

كَـمْ مَـرَّةٍ فِي الْـعَـامِ تُـوقِـظُـونَـهْ
كَمْ مَرَّةٍ تحت سِيَاطِ الْجُبْنِ تَجْلِدُونَهْ

وَغَايَةُ الْخُشُونَة:

أَنْ تَهْتِفُوا: قُمْ يَا صَلَاحَ الدِّين قُمْ
حَتَّى اشْتَكَى مَرْقَدُهُ مِنْ حَوْلِهِ الْعُفُونَهْ
دَعُوا صَلَاحَ الدِّينِ في تُرَابِهِ، وَاحْتَرِمُوا سُكُونَهْ
فَـإِنَّـهُ لَـوْ قَـامَ حَـيًّـا بَـيْـنَـكُـمْ
فَـسَـوْفَ تَـقْـتُـلُـونَـهْ!!»[1]. اهـ.

(١) «فقه الواقع» ص(٩١-٩٣) باختصار.

الْمقَالُ السادس: مِنْ سُنَنِ الأَنْبِياءِ الأَخْذُ بِالأَسْبَابِ الْمَادِيَّةِ

قال الأستاذ/ محمد العبدة -حفظه الله تعالى-:

«في غمرة الاندفاع العاطفي، وزحمة الأحداث السطحية، يتناسى المسلمون، أو قد يجهلون سننَ التغيير التي أودعها الله -سبحانه وتعالى- في كتابه، أو أجراها على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، وبعض هذه السنن يعرفها الناس بالتجرِبَةِ الطويلة، والخبرات المتراكمة المتأملة.

ومن هذه السنن أن الدعواتِ الصادقةَ إذا أُرِيدَ لها النجاحُ؛ لابد لها من قُوًى تؤيدها، وتنصرها؛ قوى من التكتل الجماهيري الذي يلتف حول هدف واضح محدد، أو بمصطلح ابن خلدون: لابد من «العصبية» التي تعني الالتحام، والتعاضد، والتنافر؛ لتحقيق هدف معين، وليس المعنى المذموم لكلمة «عصبية».

وإذا كان التكتل سابقًا يَعْتَمِدُ على القبائل، والعشائر، فإنه في العصر الحديث يعتمد على جميع شرائح المجتمع، الذين يلتفون حول علماء فقهاء؛ يُعمِلون بفقههم، وتفكيرهم سننَ التغيير، وتحويل المجتمعات، والتأثير فيها، وخاصةً ما نحن فيه من تعقيدات هذا العصر.

هذه القوة والمنعة هي التي افتقدها نبي الله لوط -عليه السلام- حين قال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠]، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**رَحِمَ اللهُ لُوطًا كَانَ يَأْوِي إِلى رُكنٍ شَدِيدٍ، وَمَا بَعَثَ الله بَعدَهُ نَبِيًّا إلا وَهوَ في ثَرْوَةٍ مِنْ قَومِهِ**»[(١)].

---

(١) رواه من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- الإمام أحمد، (٢/ ٢٣٢)، والحاكم، (٥/ ٥٦١)، وقال: «صحيح على شرط مسلم»، وأقره الذهبي، وأورده الألباني في «الصحيحة»، رقم (١٨٦٧).

ويقول الإمام الجويني: «ما ابتعث الله نبيًّا في الأمم السالفة حتى أيَّده، وعضَّده بسلطان ذي عدة ونجدة، ومن الرسل -عليهم السلام- مَن اجتمعت له النبوة، والأيد، والقوة؛ كداود، وموسى، وسليمان -صلوات الله عليهم أجمعين-»[(١)].

فإذا كان الأنبياء يؤيَّدون «بثروة من قومهم»؛ وهي القوة والمنعة في العدد والعدة، وهم مع ذلك مُؤَيَّدونَ بالمعجزات وخوارق العادات، فكيف بغيرهم الذين يرومون التغيير بالعشرات أو المئات[(٢)]، ويقولون نحن نتوكل على اللَّه؟! لا شك أن المسلم يطلب العون من الله، ويتوكل عليه، والله -سبحانه- وعد المسلمين بالنصر، ولكن لا بد من الأخذ بالأسباب الشرعية، ومن أهمها تجميع القوى التي تناصر وتعاضد.

هل درسنا هذا الموضوع بعمق وأناة، أم أن مقولة: «نعمل والنتائج على الله»، لا تزال هي الشائعة، والأكثر قبولًا ورواجًا، مع أنها ظاهريًّا صحيحة؛ فهي كلمة حق تُسْتَخْدَمُ في غير محلِّها؛ فالقول بأننا نعمل يجب أن يُمَحَّصَ؛ إذ ما يدريك أن عملك صواب، قد أَخَذْتَ فيه بالأسباب؟ نعم، إذا بُذِلَ الجهد الصحيح؛ فالنتائج على الله، أما أن يُعمل أيُّ عمل، ثم يقالَ: «النتائج على الله»؛ فهذا ضرب من حب

(١) «غياث الأمم»، ص(١٨٢).

(٢) وقد نعت ابن خلدون هذا الصنف من المغامرين بقوله: «أخذوا أنفسهم بإقامة الحق، ولا يعرفون ما يحتاجون إليه في إقامته». اهـ. من «مقدمة ابن خلدون» ص(١٥٩)، ط. دار القلم ١٩٨١م.

السهولة[١]، وهروب من النقد، وحتى نستريحَ نفسيًّا من اللوم والتقريع، وحتى مع توفر عنصر الإخلاص في هذا العمل، فهذا لا يكفي؛ فلا بد من معرفة سنن الله في التغيير»[٢]. اهـ.

---

(١) بل يمكن أن نسميه «التفاؤل الْمَرَضِيَّ»، والذي نراه في تصرفات بعض المضطربين وجدانيًّا؛ كحالات الزَّهْو، ونوبات النشوة والاغتباط (Mania) أو (Hypomania) التي يكون كل شيء أثناءها ممكنًا، فترى صاحبها «يتفاءل» بلا حدود، وبدون أي إدراك لحدود إمكاناته المادية، فتجده يشتري سيارة باهظة الثمن في الوقت الذي لا يجد له مأوى، فكل شيء بالنسبة إليه كان ممكنًا، وينتهي الأمر بالتورط في أقساط والتزامات ومديونيات... وكوارث!

والمطلوب هو «التفاؤل الإيجابي» الذي يُنَشِّط الدافعية للإنجاز في إطار عملي واقعي.

(٢) «خواطر في الدعوة»، ص(٦٩، ٧٠).

الفصل الثاني

هل تعود الخلافة قبل ظهور المهدي؟

ربط بعض الناس بين الأحاديث الواردة في أحوال آخر الزمان، وأشراط الساعة، وبين حال العالم في زماننا هذا، ورتبوا بعضَها على بعض، ليس هذا فحسب، بل بَنَوْا على ذلك أمورًا نتج عنها فتن جسيمة، وانتهاكٌ للحرمات، والمخرج من ذلك كله أن نتركَ الواقع نفسَه يُفَسِّرُ لنا هذه الأحاديثَ، حتى لا نَرْجُمَ بالغيبِ، أو نَقْفُوَ ما ليس لنا به علم؛ اقتداءً بعلماء السلف الصالح الذين أدَّوْا إلينا هذه النصوص بكل صدق وأمانة، ولم يُقْحِمُوا الظنونَ في تعيينها، وترتيب بعضها على بعض بمجرد الرأي.

ولئن وقع منا تردد في: هل زماننا هو زمان ظهور المهدي؟ فلا ينبغي أن نتردد في الجزم بأننا -سواء كان هذا زمان ظهوره أوْ لا -مُلْزَمُونَ بكافة التكاليف الشرعية: من طاعةِ الله، والجهادِ في سبيله، وطلبِ العلمِ، والدعوة إلى دينه، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى في ذلك كله، وغير ذلك من الواجبات، فما يتوهمه بعض الكسالى - من أن ظهور المهدي سيكون بداية عصر الاسترخاء والدعة- باطلٌ باطلٌ، بل النصوص تُشِيرُ إلى أنه سيكون بدايةً للفتوح، والجهاد، والبذل في سبيل إعلاء كلمة الله -عزَّ وجلَّ-.

والسؤال الذي يفرض نفسه الآن: كيف سيكون حال الأمة قبل ظهور المهدي؟ وهل سَتَقُومُ الخلافة الإسلامية من جديد قبل المهدي؟

وبما أن هذا المستقبل غيب، فلا يصح محاولة استطلاعه إلا مِن قِبَلِ وحي الله -عزَّ وجلَّ- إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وفي هذا الفصل نعرض اتجاهين سلكهما بعض العلماء جوابًا عن هذا السؤال؛ استنادًا إلى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المسْلَكُ الأَوَّلُ: ستزداد غُرْبَةُ الإسلام حتى يظهرَ المهدي، إن شاء الله

١- قال الشيخ محمد بشير السهسواني الهندي -رحمه الله تعالى-:

«وأما بعد قرن أتباع التابعين، فقد تغيرت الأحوال تَغَيُّرًا فاحشًا، وغلبت البدع، وصارت السنة غريبة، واتخذ الناس البدعة سنة، والسنة بدعة، ولا تزال السنة في المستقبل غريبة إلا ما استُثْني في زمان المهدي -رضي الله عنه-، وعيسى -عليه السلام-، إلى أن تقوم الساعة على شرار الناس»[١]. اهـ.

٢- وسئل الشيخ عبد الله بن الصِّدِّيق سؤالًا نصه:

إذا كانت القيامة تقوم على المهدي وعيسى، ودين الإسلام حسب ما ذكرنا، فما معنى قوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**الإِسْلَامُ غَرِيبٌ، وَكَمَا بَدَأَ يَعُودُ**»؟

فأجاب: «تواتر عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أنه قال: (**بَدَأَ الإِسلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ**)[٢]، وهو يشير إلى وقتنا

(١) «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان»، ص(٣٢٩).

(٢) رواه من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- مسلمٌ (١٤٥)، في الإيمان: باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا، وتتمته: «فطوبى للغرباء».

هذا؛ فإن الإسلام فيه غريب بمعنى الكلمة، وسيظل كذلك، بل ستزداد غربته إلى أن يأتي المهدي، فيُظهر الإسلام، ويحيي العدل، وتَزُولُ الفتن والإحن بين المسلمين، ويبقى الحال كذلك مدة المهدي، ومدة عيسى عليه السلام[١]، ثم بعد ذلك تأتي ريحٌ طيبةٌ تأخُذ نَفْسَ كلِّ مؤمن[٢]،

---

(١) ومما يدل على أن زمن المهدي سيعم فيه الخير بكل أنواعه: ما رواه عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم، لطوَّل الله ذلك اليوم، حتى يُبعث فيه رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا**» رواه أبو داود (٤٢٨٢)، والترمذي (٢٢٣١)، وقال: «حسن صحيح»، وانظر: «المهدي» للمؤلف ص(٤١).
وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يخرج في آخر أمتي المهدي، يَسقيه الله الغيث، وتُخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحًا، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعًا أو ثمانيًا** -يعني: حِجَّةً» رواه الحاكم في «المستدرك» (٤/٥٥٧)، وقال: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وقال الألباني: «هذا سند صحيح، رجاله ثقات» كما في «الصحيحة» رقم (٧١١).
لكن هذا الخير ستشوبه أخطر فتنة في تاريخ البشرية، وهي فتنة الدجال، كما أن الخير في عهد المسيح -عليه السلام- سيزاحمه شر يأجوج ومأجوج.
(٢) كما ثبت عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**. . . ثم يبعث الله ريحًا طيبة فَتَوَفَّى كلَّ من في قلبه مثقال حبةِ خردلٍ من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم**» رواه مسلم رقم (٢٩٠٧).
وفي «المسند» عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا تقوم الساعة حتى يأخذ الله شَريطته من أهل الأرض، فيبقى فيها عَجاج، لا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكرًا**» رواه الإمام أحمد رقم (٦٩٦٤)، والحاكم في «المستدرك» رقم (٨٣٤١)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين، إن كان الحسن سمعه من عبد الله بن عمرو، وقال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١): «رواه أحمد مرفوعًا وموقوفًا، ورجالهما رجال الصحيح». اهـ. =

فلا يبقى على الأرض من يعرف الله أو يذكره[١]، وإنما يبقى أقوام يتهارجون كما تتهارج الْحُمُرُ، فعليهم تقوم الساعة كما جاء في صحيح مسلم، وغيره والله أعلم»[٢]. اهـ.

وقد يُستدل لهذا الْمَنْحَى بما رواه الطبراني عن ابن مسعود -رضي الله عنه- موقوفًا: «ليس عام إلا والذي بعده شر منه»، قال الحافظ في «الفتح»: «أخرجه الطبراني بسند جيد[٣]».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه -موقوفًا أيضًا- بسند صححه الحافظ في «الفتح»[٤]: «أمسِ خير من اليوم، واليوم خير من الغد، وهكذا حتى تقوم الساعة»[٥].

= والشريطة هنا: الخيار من الناس، انظر: «النهاية» (٢/ ٤٦٠).
والعَجاج: الغوغاء، والأراذل، ومن لا خير فيه، واحدهم: عَجاجة، كما في «النهاية» (٣/ ١٨٤).

(١) فما من زمان خير إلا يشوبه بعض الشر، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، ولن يكون هناك زمان شر محض إلا الزمان الذي تقوم فيه الساعة، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس**» رواه مسلم (٢٩٤٩)، وابن حبان (٦٨٥٠)، وأحمد رقم (٣٧٣٥).
وفي رواية لمسلم: «**فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا، فيتمثل لهم الشيطان فيأمرهم بعبادة الأوثان، ثم يُنفخ في الصور**» (٢٩٤٠).

(٢) «المهدي المنتظر»، ص(٥١، ٥٢).

(٣) «فتح الباري» (١٣/ ٢٠)، والحديث رواه الطبراني في «الكبير» (٩/ ١٠٥/ ٨٥٥٠).

(٤) «الموضع السابق» نفسه.

(٥) رواه الطبراني في «الكبير» (٩/ ١٥٤/ ٨٧٧٣)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٨٦): «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح».

وعن الزبير بن عدي قال: أتينا أنس بن مالك -رضي الله عنه-، فشكونا إليه الحجَّاجَ، فقال: «اصْبِرُوا؛ فإِنَّه **لا يَأْتِي عَلَيكُم يَوْمٌ أَو زمَانٌ إلا وَالذي بَعدَه شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُم**»، سمعتُهُ من نبيكم صلى الله عليه وسلم[1].

(١) رواه الإمام أحمد (٣/ ١٣٢، ١٧٧، ١٧٩)، والبخاري، (٧٠٦٨)، (١٣/ ١٩، ٢٠)، والترمذي، (٣٣٠٧)، وانظر: «فتح الباري»، (١٣/ ٢٠-٢٢).

ذكر أجوبة العلماء عن حديث أنس -رضي الله عنه- وما في معناه

أولًا: جواب الإمام ابن حبان -رحمه الله تعالى-:

ترجم الإمام ابن حِبَّان -رحمه الله تعالى- لحديث أنس -رضي الله عنه-:

«ذِكْرُ خبرٍ أَوْهَمَ مَنْ لم يُحْكِم صناعةَ الحديثِ أن آخرَ الزمان على العمومِ يكون شرًّا من أوَّلِهِ»(١)، ثم أَتْبَعَهُ بترجمة تَدْفَعُ هذا الإيهام، فقال:

«ذِكْرُ الخبرِ المصرِّح بأن خبر أنس بن مالك لم يُرَدْ بعموم خطابه على الأحوال كلها»(٢).

ثُمَّ أَسْنَدَ إلى أبي هريرة -رضي الله عنه-، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: **«لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنيَا إِلَّا لَيلَةٌ، لمَلك فيها رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم»**(٣).

إذن حديث أنس -رضي الله عنه- الآنف الذكر ليس على عمومه أو إطلاقه؛ لثبوت أدلة تخصص عمومه، وتقيد مطلقه؛ ولذلك ينبغي حمله على الأغلب من الزمان، أو يحمل معناه على أن كل زمان بجملة

---

(١) «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان»، (١٣/ ٢٨٢).

(٢) «نفسه»، (١٣/ ٢٨٣)

(٣) رواه ابن حبان، (١٣/ ٢٨٣)، وابن ماجه (٢٧٧٩)، والترمذي، (٢٢٣١)، وقال: «حسن صحيح».

ما فيه من خير أفضلُ من الزمان الذي يليه، وهذا لا ينفي أن يكون في كل زمان خير -كما أكدت ذلك الأحاديث- ولمجيء بعض الخير في أزمان أعقبت زمن النبي صلى الله عليه وسلم؛ كزمن عمر بن عبد العزيز -رحمه الله تعالى- وغيره من الأزمان.

ثانيًا: جواب الحافظ ابن حجر-رحمه الله تعالى-:

قال -رحمه الله تعالى-: «وقد استُشْكِل هذا الإطلاقُ مع أن بعض الأزمنة تكون في الشر دون التي قبلها، ولو لم يكن في ذلك إلا زمن عمر بن عبد العزيز، وهو بعد زمن الحجاج بيسير، وقد اشتهر الخير الذي كان في زمن عمر بن عبد العزيز؛ بل لو قيل: (إن الشر اضمحل في زمانه)؛ لما كان بعيدًا، فضلًا عن أن يكون شرًّا من الزمن الذي قبله، وقد حمله الحسن البصري على الأكثر الأغلب، فسئل عن وجود عمر بن العزيز بعد الحجاج، فقال: (لا بد للناس من تنفيس). وأجاب بعضهم: أن المراد بالتفضيل تفضيلُ مجموعِ العصر على مجموع العصر؛ فإن عصر الحجاج كان فيه كثير من الصحابة في الأحياء، وفي عصر عمر بن عبد العزيز انقرضوا، والزمان الذي فيه الصحابة خير من الزمان الذي بعده؛ لقوله -صلى الله عليه وسلم-: «**خير القرون قرني**» وهو في الصحيحين[(١)]، وقوله: (**أصحابي أَمَنَةٌ لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يُوعَدون**) أخرجه مسلم»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٦٥٢) بلفظ: «**خير الناس قرني**»، ومسلم رقم (٢٥٣٥)، وانظر: «موسوعة الأحاديث الواردة في فضائل الصحابة» للدكتور سعود الصاعدي (١/ ٣٤٧-٣٨٤).

(٢) رواه مسلم رقم (٢٥٣١)، وانظر: «الموسوعة» الآنفة الذكر (١/ ٣٨٥-٣٩٩).

وقال: «ويحتمل أن يكون المراد بالأزمنة المذكورة أزمنة الصحابة بناء على أنهم هم المخاطَبون بذلك فيختص بهم، فأما من بعدهم فلم يُقصد في الخبر المذكور، لكن الصحابي فهم التعميم، فلذلك أجاب من شكا إليه الحجاج بذلك، وأمرهم بالصبر، وهم أو جلهم من التابعين، واستدل ابن حبان في (صحيحه) بأن حديث أنس ليس على عمومه بالأحاديث الواردة في المهدي، وأنه يملأ الأرض عدلًا بعد أن ملئت جورًا»[1].

ثالثًا: جواب العلامة ناصر الدين الألباني -رحمه الله تعالى-:

قال -رحمه الله تعالى- معلقًا على حديث أنس -رضي الله عنه-:

«هذا الحديثُ ينبغي أن يُفْهَمَ على ضوء الأحاديث التي تُبَشِّرُ بأن المستقبلَ للإسلام، وغيرها، مثل أحاديث المهدي، ونزول عيسى عليه السلام؛ فإنها تدل على أن هذا الحديثَ ليس على عمومه، بل هو من العام المخصوص؛ فلا يجوزُ إفهامُ الناس أنه على عمومه، فيقعوا في اليأس الذي لا يصح أن يتصف به المؤمن: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] ». اهـ[2].

---

(١) «فتح الباري» (١٣/ ٢١)، وانظره أيضًا: (٧/ ٦، ٧).

(٢) «سلسلة الأحاديث الصحيحة»، المجلد الأول، ص(١٠).

الْمَسْلَكُ الثَّاني: ستقوم -بإذن الله- خلافَةٌ على مِنهاج النبوة قبل ظهور المهدي، أو على الأقل ستنهض الأمة نهضةً شاملةً، ولا يبقى إلا ظهور القائد.

١- سمعت العلَّامَةَ ناصر الدين الألباني -رحمه الله تعالى- يقول[(١)] في معرض مناقشته للذين ادَّعَوْا اقتراب ظهور المهدي:

«ما أَظُنُّ هذا أوانَ ظهورِه، فهذا مُقْتَضَى السنة الكونية، وما أحسب المهدي يَقْدِرُ -خلال سبع سنين- على أن يحدث من التغيير في العالم أكثر مما أحدثه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خلال ثلاث وعشرين سنة، وظني أن المهديَّ سيكون رجلًا فريدًا في كل باب: فَرِيدًا في علمه، فريدًا في ورعه، فريدًا في عبادته، فريدًا في خُلُقه، وأنه سيظهر، وقد تهيأ للعالم الإسلامي وضعٌ صَلُحَ فيه أمر الأمة، وتَمَّت فيه مرحلتا «التصفية والتربية»، ولم يَبْقَ إلا ظهور الزعيم الْمُصْلِح الذي يقوده، وهو المهدي». اهـ.

---

(١) وذلك بخيمته في منى في موسم الحج عام (١٣٩٩هـ) قبيل فتنة «المهدي القحطاني» بأسبوعين، وكان قد شاع وقتها أن المهدي يوشك أن يخرج، لكن العلامة الألباني -رحمه الله تعالى- ببصيرته النافذة اتخذ موقفًا صارمًا، وقطع بأنه لا يمكن أن يصح للقحطاني دعوى المهدية، وأن هذا ليس زمان خروج المهدي، وذكر الكلام المذكور هنا، والذي حُفِرَ في ذاكرتي لشدة الحاجة إليه وقتها، وكنت أُرِيتُ رؤيا في تلك الأيام أن هناك رجلًا يشير إلى منبرٍ هزيل من أعواد ضعيفة في جمع من الناس يدعي أنه منبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فوقفت في الناس أفند دعواه، وأذكر الفروق بين منبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وذاك المنبر الركيك المتهاوي، ومنها: أن منبره -صلى الله عليه وسلم- كان ثلاث درجات، وهذا أكثر... إلخ، فإن كانت رؤيا حق؛ فلعل تأويلها تصنيفي كتاب «المهدي» الذي صدرت طبعته الأولى بالإسكندرية في العشرين من المحرم ١٤٠٠هـ.

ثم حمل فضيلته على الجُهَّال الذين يسيئون فَهْم عقائد الإسلام، ثم ينحرفون، ويتخبطون؛ نتيجةَ قلة علمهم، وسوء فهمهم.

وكتب -أيضًا- مُفصِّلًا ما يَعْنِيهِ بمرحلتي «التصفية والتربية»:

«لا بد اليوم من أجل استئناف الحياة الإسلامية من القيام بهذين الواجبين: التصفية والتربية».

وأردتُ بالأول منهما أمورًا:

الأول: تصفية العقيدة الإسلامية مما هو غريب عنها؛ كالشرك، وجحد الصفات الإلهية، وتأويلها، ورد الأحاديث الصحيحة؛ لتعلقها بالعقيدة ونحوها.

الثاني: تصفية الفقه الإسلامي من الاجتهادات الخاطئة المخالفة للكتاب والسنة.

الثالث: تصفية كتب التفسير، والفقه، والرقائق، وغيرها، من الأحاديث الضعيفة، والموضوعة، والإسرائيليات المنكرة... إلى أن قال -رحمه الله تعالى-: «وأما الواجِبُ الآخَرُ فأريد به تربية الجيل الناشئ على هذا الإسلام الْمُصَفَّى من كل ما ذكرنا تربية إسلامية صحيحة منذ نعومة أظفاره، ودون أي تأثر بالتربية الغربية الكافرة.

ومما لا رَيْبَ فيه أن تحقيق هذين الواجبين يتطلب جهودًا جبارة متعاونة من الجماعات الإسلامية المخلصة، التي يهمها حقًّا إقامة المجتمع الإسلامي المنشود، كُلٌّ في مَجَالِهِ، واختصاصه، وأما بقاؤنا راضين عن أوضاعنا، متفاخرين بكثرة عددنا، متوكلين على فضل ربنا،

أو خروج المهدي، ونزول عيسى، صائحين بأن الإسلام دستورنا، جازمين بأنا سنقيم دولتنا، فذلك محال، بل وضلال؛ لمخالفته لسنَّة الله الكونية والشرعية معًا، قال -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، وقال -صلى الله عليه وسلم-: **«إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُم الْجِهَادَ؛ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا، لَا يَنْزِعُهُ عنكم حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»**[(١)].

من أجل ذلك قال أحد الدعاة الإسلاميين اليوم: «أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تَقُمْ لكم في أرضكم»، وهذا كلام جميل جدًّا، ولكن أجمل منه العمل به ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [التوبة: ١٠٥][(٢)].

وقال -رحمه الله تعالى- في سياق رده على من زعم أن دولة الخلافة الإسلامية لن تعود قبل ظهور المهدي:

«واعلم يا أخي المسلم أن كثيرًا من المسلمين اليوم قد انحرفوا عن الصواب في هذا الموضوع؛ فمنهم من استقر في نفسه أن دولة الإسلام لن تقوم إلا بخروج المهدي، وهَذِهِ خُرَافَةٌ وضلالة ألقاها الشيطان في قلوب كثير من العامَّة، وبخاصة الصوفية منهم، وليس في شيء من

---

(١) رواه أبو داود، (٣٤٦٢) في البيوع، باب «النهي عن العينة». والعينة: أن يبيع شيئًا من غيره بثمن مؤجل، ويسلمه إلى المشتري، ثم يشتريه قبل قبض الثمن بثمن أقل من ذلك القدر، يدفعه نقدًا، وانظر: «السلسلة الصحيحة»، رقم (١١).

(٢) «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة»، (٢/ ٢).

أحاديث المهدي ما يُشعِر بذلك مطلقًا، بل هي كلها لا تَخْرُجُ عن أن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- بَشَّرَ المسلمين بِرَجُلٍ من أهل بَيْتِهِ، ووصفه بصفات، أبرزها: أنه يحكم بالإسلام، ويَنْشُرُ العدلَ بين الأنام، فهو في الحقيقة من المجدِّدِينَ الذين يبعثهم الله في رأس كل مائة سنة، كما صح عنه -صلى الله عليه وآله وسلم- فكما أن ذلك لا يستلزم ترك السعي وراء طلب العلم، والعمل به لتجديد الدين، فكذلك خروج المهدي لا يستلزم التواكُلَ عليه، وتركَ الاستعدادِ والعملِ لإقامة حكم الله في الأرض، بل العكس هو الصَّواب؛ فإن المهدي لن يكون أعظم سعيًا من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي ظل ثلاثة وعشرين عامًا وهو يعمل لتوطيد دعائم الإسلام، وإقامة دولته، فماذا عسى أن يفعل المهدي لو خرج اليوم، فوجد المسلمين شيعًا وأحزابًا، وعلماءهم -إلا القليل منهم- اتخذهم الناس رءوسًا، لما استطاع أن يقيم دولة الإسلام إلا بعد أن يُوَحِّدَ كلمتهم، ويجمعهم في صف واحد، وتحت راية واحدة، وهذا -بلا شك- يحتاج إلى زمن مديدٍ اللهُ أعلم به، فالشرع والعقل معًا يقضيان أن يقوم بهذا الواجب المخْلصُونَ من المسلمين، حتى إذا خَرَجَ المهدي، لم يكن بحاجة إلا أن يقودهم إلى النصر، وإن لم يخرج[(١)]، فقد قاموا بواجبهم، والله يقول: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾[(٢)]. اهـ.

وفي كتابهما «الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة» يُفَصِّلُ المؤلفان هذا المسلك، ويقولان ما ملخصه -بتصرف وإضافات-:

---

(١) أي: في زمانهم.
(٢) «سلسلة الأحاديث الصحيحة»، (٤/ ٤٢، ٤٣).

لا بُدَّ من عَوْدَةِ الخِلافَةِ الرَّاشِدَةِ وَاسْتِعَادَةِ القُدْسِ قَبْلَ ظُهورِ المَهْدِيِّ

(أ) تشير بعض الأحاديث الصحيحة إلى أن حالة الناس الدينية في تراجع مستمر مع الزمن، ولكنه تَرَاجُعٌ بشكل عَامٍّ لا بِشَكْلٍ فردي؛ أي هو من العام المخصوص، والمخصِّصُ قوله -صلى الله عليه وسلم-: «**مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ، لَا يُدْرَى آخِرُهُ خَيرٌ أَمْ أَوَّلُهُ**»(١).

وقوله -صلى الله عليه وآله وسلم-: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**»(٢)، وقوله -صلى الله عليه وآله وسلم-: «**لَا يَزَالُ اللَّهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا، يَسْتَعْمِلُهُمْ فِيه بِطَاعَتِهِ إلى يَومِ القِيَامَةِ**»(٣).

ولا يَرِدُ عليه انعدامُ الدولةِ والصَّوْلةِ؛ لأنه لا يمتنع عقلًا أن تنطلق هذه الأمة انطلاقًا جديدًا؛ حتى يتم قولُه -عز وجل-: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٨٧٣) في الأمثال: باب «مثل أمتي مثل المطر»، ورواه الإمام أحمد في «المسند»، (٣/ ١٣٠، ١٤٣) من حديث أنس، و(٤/ ٣١٩) من حديث عمار بن ياسر، وقال الترمذي: «هذا حديثٌ حسنٌ»، ونقل المناوي عن الحافظ ابن حجر قوله: «هو حديث حسن له طرق، قد يرتقي بها إلى الصحة». اهـ. من «فيض القدير» (٥/ ٥١٧).

(٢) أخرجه من حديث ثوبان -رضي الله عنه- مسلمٌ رقم (١٩٢٠)، وأبو داود رقم (٤٢٥٢)، والترمذي رقم (٢٢٢٩)، وابن ماجه (٢/ ٤٦٤) رقم (٤٠١٦)، وأحمد (٥/ ٢٧٨، ٢٧٩)، والحاكم (٤/ ٤٤٩، ٤٥٠).

(٣) رواه من حديث أبي عنبة الخولاني الإمامُ أحمد (٤/ ٢٠٠)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦/ ٢٣١)، رقم (٧٥٦٩).

﴿بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٣].

قال الشافعي -رحمه الله تعالى-: «لَيُظهِرن الله دينَه على الأديان حتى لا يُدانَ اللهُ إلا به، وذلك متى شاء الله تعالى»(١).

والظهور بهذا المعنى الذي أورده الشافعي -وهو الظهور الحقيقي- هو وجه من عدة أوجه فسره بها العلماء -ومنهم الشافعي-، ويقوِّيه عدد من الأحاديث التي سنوردها -إن شاء الله- فيما يأتي.

والقولُ بأنه -أي: الظهور المذكور في الآية- قد تحقق في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- أو الخلفاء الراشدين -رضي الله عنهم- أو بعض خلفاء بني أمية أو بني العباس أو غيرهم قولٌ بعيدٌ، فما تحقق إنما هو جزء منه فقط -كما هو معروف من التاريخ- وسوف يتحقق كاملًا في المستقبل إن شاء الله تعالى.

ومما يؤيد ذلك قولُه -صلى الله عليه وآله وسلم-: «**إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا**» الحديث(٢).

---

(١) «أحكام القرآن» للشافعي (٢/ ٥٠) دار الكتب العلمية- بيروت (١٤٠٠هـ).

(٢) صدر حديث، رواه من حديث ثوبان -رضي الله عنه- مسلمٌ رقم (٢٨٨٩) في الفتن، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، والترمذي رقم (٢١٧٧) في الفتن، باب ما جاء في سؤال النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- ثلاثًا في أمته، وأبو داود رقم (٤٢٥٢) في الفتن، باب ذكر الفتن ودلالتها، وانظر: جامع الأصول (١١/ ٣١٧، ٣١٨).

ومعلوم أن الإسلام لم يُغَطِّ الكرةَ الأرضية بهذا الوصف الموجود في الحديث الشريف، وسيغطيها كما أخبر المعصوم -صلى الله عليه وسلم- حين يشاء الله تعالى.

وعن تميم الداري -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يبقى بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ، أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ بِهِ الْكُفْرَ**»(١).

وهذا الحديث يؤكد الحديث السابق ويوضحه، ويفيد قولُه: «**ما بلغ الليلُ والنهارُ**» أن الإسلام سينتشر، ويُمَكَّن له في جميع الكرة الأرضية؛ لأن الليل والنهار يبلغان جميعها، وهو ما لم يتحقق حتى الآن، وسيتحقق في المستقبل إن شاء الله.

وعن أبي قبيل قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- وسئل: أيُّ المدينتين تُفتح أولًا: القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حِلق، قال: فأخرَج منه كتابًا، قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نكتب، إذ سئل

---

(١) رواه الإمام أحمد، والطبراني في «المعجم الكبير»، وابن منده في «كتاب الإيمان»، والحافظ عبد الغني المقدسي في «ذكر الإسلام»، وقال: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، والحاكم، وقال: «صحيح على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي، وكذا أخرجه ابن حبان، وابن عروبة. اهـ، ملخصًا من «تحذير الساجد» للألباني، ص(١٧٣، ١٧٤)، و«السلسلة الصحيحة»، حديث رقم (٢)، وقد صححه على شرط مسلم.

رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أيُّ المدينتين تُفتح أولًا أقسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**مدينة هِرَقلَ تُفْتَحُ أولًا**»[١].

وقد فتحت القسطنطينية على يد محمد الفاتح -رحمه الله تعالى- بعد هذه البِشارة الموجودة في الحديث بثمانية قرون ونصف تقريبًا، وستفتح مرة أخرى بعد ملحمة تكون بين المسلمين والروم، ينتصر فيها المسلمون نصرًا مؤزرًا، لا يجدون بعده من يحول بينهم وبين فتحها، وقد أشارت إلى ذلك روايات كثيرة عند البخاري ومسلم وغيرهما.

أما «رومية» فهي كما يفهم من «معجم البلدان»[٢] «روما» عاصمة «إيطاليا» الآن، ومعلوم أنها لم تفتح من قبل، والحديث يؤكد أنها ستفتح، فسيكون ذلك إن شاء الله تعالى.

وعن النعمان بن بشير -رضي الله عنهما- قال: كنا جلوسًا في المسجد، وكان بشير رجلًا يكف حديثه، فجاء أبو ثعلبة الخشني، فقال: يا بشير بن سعد، أتحفظ حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الأمراء؟ فقال حذيفة: أنا أحفظ خطبته، فجلس أبو ثعلبة الخشني، فقال حذيفة -رضي الله عنه-: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن**

---

(١) تقدم تخريجه ص(٢٦٧) هامش رقم (٢).

(٢) «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٣/ ١٠٠).

تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًّا[(١)] فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبرية[(٢)] فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت»[(٣)].

وهذه المراحل أو الأطوار التي ذكرها الحديث الشريف للخلافة -بمعنى سياسة الناس ورياستهم- قد مر منها طَوْرُ النبوة، ثم الخلافة الراشدة، ثم الملك العاض، ونحن الآن نعيش مرحلة الملك الجبري، وننتظر الخلافة الراشدة الأخيرة إن شاء الله تعالى.

«وفي سنة ١٩٢٤م أعلن المجلس الوطني في تركيا خنق ذلك الطور من الترتيب النبوي، وبهذا الإعلان الذي انتهت بموجبه الخلافة العثمانية وَدَّعَت الأمةُ الإسلامية طورَ الملك العاض لتبدأ في طور الملك الجبري، وهو الطور الذي تعايشه الأمة هذه الأيام في صورة الانقلابات العسكرية وغيرها»[(٤)].

---

(١) الملك العاض أو العضوض: هو الذي يصيب الرعيةَ فيه جور وظلم؛ كأنهم يُعَضُّون عَضًّا، أو الذي يعضهم فيه الفقر؛ كما قال الشاعر:

وعض زمانٌ يابن مروان لم يدع ... من المال إلا مُسْحِتًا أو مُجَلَّفا

وقد يكون الملك العاض بمعنى المعضوض عليه؛ بأن يُورَّثَ من حاكم لآخر؛ وذلك كقوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١﴾ أي: مرضية، والله أعلم.

(٢) الملك الجبري أو الجبرية: هو الذي يتم جبرًا ورغمًا عن الرعية، وهو أقرب إلى الحكم الذي يتم بطريق الانقلابات في عصرنا.

(٣) انظر تخريجه ص(٣٥٩) هامش رقم (١).

(٤) «الطريق إلى جماعة المسلمين» ص(٩٧)، وانظر تفصيل الأطوار المذكورة في الحديث في «فتح الباري» (١٣/ ٢١٤)، وانظر أيضًا: «الاتجاهات الوطنية» للدكتور محمد محمد حسين -رحمه الله تعالى- (٢/ ٣٧-٤٧).

وعن أبي نضرة قال: كنا عند جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- فقال: يوشك أهل العراق أن لا يُجْبى إليهم قَفيز[١] ولا درهم، قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قِبَل العجم يمنعون من ذلك، ثم قال: يوشك أهل الشام أن لا يُجبى إليهم دينار ولا مُدْي[٢]، قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قِبَل الروم، ثم سكت هنيهة، ثم قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثيًا ولا يعده عدًّا**». قال الراوي: قلت لأبي نضرة وأبي العلاء: «أترِيان أنه عمر بن عبد العزيز؟ قالا: لا[٣]»[٤].

قال النووي -رحمه الله تعالى- في شرحه هذا الحديث في «صحيح مسلم»: «والحثو هو الحفن باليدين، وهذا الحثو الذي يفعله هذا الخليفة يكون لكثرة الأموال والغنائم والفتوحات مع سخاء نفسه»[٥]. اهـ.

---

(١) القَفيز: مكيال لأهل العراق، ثمانية مكاكيك، يقدر بخمسة أوسق.

(٢) المُدْيُ: مكيال لأهل الشام يسع خمسة وأربعين رِطلًا، قيل: يسع تسعة عشر صاعًا.

(٣) يبعد أن تحمل الخلافة الراشدة الأخيرة المذكورة في حديث حذيفة -رضي الله عنه- الآنف الذكر، على خلافة عمر بن عبد العزيز؛ لقربها من الخلافة الراشدة، حتى يقال: إنه خامس الخلفاء الراشدين، ولعل أبا نضرة وأبا العلاء نظرا إلى قوله -صلى الله عليه وسلم- في الحديث: «في آخر أمتي»، فإن عمر بن عبد العزيز من أولها وليس من آخرها، كما أن خلافته لم تكن بعد ملكين: ملكٍ عاض، ثم ملك جبري.

(٤) أخرجه مسلم رقم (٢٩١٣)، (٢٩١٤)، والإمام أحمد (٣/ ٣٨، ٣١٧، ٣٣٣)، وانظر: «مجمع الزوائد» (٧/ ٣١٦).

(٥) «شرح النووي» (١٨/ ٤٠).

خلافة راشدة قبل المهدي

(ب) وقد وردت أحاديث يُفْهَمُ منها قيام خلافة راشدة قبل خروج المهدي:

١- منها ما رواه عبد الله بنُ حَوَالَة الأزديُّ -رضي الله عنه- قال: بَعَثَنا رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- حول المدينة على أقدامنا لنغنم، فرجَعنا ولم نغنم شيئًا، وعَرَفَ الجَهْدَ في وجوهنا، فقام فينا فقال: «**اللهم لا تَكِلهُم إليَّ فأضعُفَ، ولا تَكِلهُم إلى أنفسهم فيعجِزوا عنها، ولا تَكِلهُم إلى الناس فيستأثِروا عليهم**»، ثم قال: «**ليُفْتَحَنَّ لكم الشَّامُ والرُّوم وفارس -أو الروم وفارس- حتى يكون لأحدكم من الإبل كذا وكذا، ومن البقر كذا وكذا، ومن الغنم، حتى يُعْطى أَحَدُهُم مئة دينارٍ فيَسْخَطُها**». ثم وضع يده على رأسي -أو هامتي- فقال: «**يَا بْنَ حَوَالَةَ، إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَت الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ فَقَدْ دَنَتِ الزَّلَازِلُ وَالْبَلَايَا وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ إلى النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ**»[1] .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد رقم (٢٢٤٨٧) (٣٧/ ١٥١)، والبخاري في «تاريخه» (٨/ ٤٣٦، ٤٣٧)، وأبو داود (٢٥٣٥)، والحاكم (٤/ ٤٢٥)، وأبو يعلى (٦٨٦٧)، والطحاوي في «مشكِل الآثار» (١١١٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣، ٤)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» رقم (٢٢١٠).

فأخبر أن الخلافة في آخر الزمان تكون في القدس[١]، وبعد ذلك تظهر الأشراط الكبرى للساعة بما تحمله من زلازل وفتن.

٢- ومنها ما رواه معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ**»، ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى فَخِذِ الَّذِي حَدَّثَهُ أَوْ مَنْكِبِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ هَذَا لَحَقٌّ كَمَا أَنَّكَ هَا هُنَا أَوْ كَمَا أَنَّكَ قَاعِدٌ**»[٢]، وفتح القسطنطينية سيتم في زمن المهدي الذي هو في زمن عيسى عليه السلام.

قالوا: وعمران بيت المقدس سيكون بالخلافة النازلة فيه؛ وهذا يستلزم تحرير القدس؛ وتحريرها يستلزم قيام الجهاد الشرعي الإسلامي ضد اليهود هناك.

٣- ومنها ما رواه المقداد بن الأسود رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «**لَا يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ بَيْتُ**

(١) علق الشيخ سعيد حوى -رحمه الله تعالى- على لفظة: «فإذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة...»: الظاهر أن الحديث في خلافة تكون عاصمتها القدس، وإلى القدس يذهب المسيح -عليه السلام- بعد نزوله في دمشق، وهذا يشير إلى أن فلسطين وقتذاك بيد المسلمين، وأن دولة اليهود الحالية ذاهبة منتهية». اهـ. من «الأساس في السنة» (٢/ ١٠٢٥).

(٢) رواه أبو داود (٤٢٩٤) في الملاحم، باب في أمارات الملاحم، وحسنه الألباني في «صحيح أبي داود» (٣٦٠٩).

مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ ذُلِّ ذَلِيلٍ، إِمَّا يُعِزُّهُم اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- فَيَجْعَلُهُمْ مِنْ أَهْلِهَا، أَوْ يُذِلُّهُم فَيَدِينُونَ لَهَا»(١).

قالوا: وقوله -صلى الله عليه وسلم-: «**فيدينون لها**» فيه إشارة إلى الجزية، وإشارة أخرى إلى أن هذا إنما يكون قبل نزول المسيح عليه السلام؛ لأنه لا يقبل الجزية من أحد، لما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**والذي نفسي بيده لَيُوشِكَنَّ أن ينزلَ فيكم ابنُ مريمَ حَكَمًا عَدْلًا، فيكسر الصليب**(٢)**، ويقتل الخنزير**(٣)**، ويضع الجزية**(٤) **ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى**

---

(١) رواه الإمام أحمد (٦/ ٤)، والحاكم (٤/ ٤٣٠) وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، والبيهقي في «السنن» (٩/ ١٨١)، وصححه الألباني في «تحقيق المشكاة» (١/ ٢٠)، والمَدَر: القُرى والأمصار، والوَبَر: صوف الإبل، والأرانب، ونحوها، يعني: أهل البادية، لأنهم يتخذون بيوتهم من الوَبَر.

(٢) يكسر الصليب: أي يبطل دين النصرانية، بأن يكسر الصليب حقيقة، ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه، والصليب رمز لعقيدة صلب المسيح عند النصارى، والتي يزعمون بمقتضاها أن الرب قد ضحى بابنه المسيح، فمكَّن اليهودَ من صلبه؛ وذلك ليخلص البشرية من الخطيئة، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

(٣) قال الحافظ في «الفتح» (٤/ ٣٤٣): «أي: يأمر بإعدام الخنزير مبالغة في تحريم أكله. وفيه توبيخ عظيم للنصارى الذين يدَّعون أنهم على طريقة عيسى -عليه السلام- ثم يستحلون أكل الخنزير، ويبالغون في محبته».

(٤) ويضع الجزية: أي يتركها ويُسقطها؛ لأنه لن يبقى أحد من أهل الكتاب إلا ودخل في الإسلام بعد نزول عيسى -عليه السلام- فلا يبقى أحد من أهل الذمة ليؤدي الجزية. قال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٣٥٦): «ويؤيده أن عند الإمام أحمد من وجه آخر عن أبي هريرة: (**وتكون الدعوى** -أي: الملة- **واحدة**)».

تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها» ثم قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾(١) [النساء: ١٥٩].

(ج) وهذا يؤكد حتمية عودة الخلافة الإسلامية، وسيادتها على العالم كله، والخلافة لن تسقط على المسلمين في قرطاس من السماء، ولكن للنصر أسبابه المتعددة، وقد بشر -صلى الله عليه وآله وسلم- بفتح رومية(٢)؛ وهذا الفتح لن يتم إلا بالجهاد في سبيل الله عز وجل، والصبر عليه، وبذل الأموال والأنفس، والخلافة التي يُقيمها هذا الجهاد خلافةٌ راشدةٌ على منهاج النبوة؛ كما أخبر النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-؛ ولذلك، فلا بد أن تكون هذه الفئة سالكة طريق النجاة في الدارين؛ حتى لا يطول بها السرى في صحراء الخلافات، والفتن، وطريق السلامة من فتنة الفرقة التي تنبأ بها -صلى الله عليه وآله وسلم- في قوله: **«فَإِنَّه مَنْ يَعِشْ بَعْدِي فَسَيَرَي اخْتِلَافًا كَثِيرًا»** إنما يتلخص في أمرين بَيَّنَهُمَا -صلى الله عليه وسلم-: **«فَعَلَيكُم بِسُنَّتِي، وَسُنَّة الخُلَفَاء الرَّاشِدِينَ المَهْدِيينَ، عَضُّوا عَلَيهَا بالنَّوَاجِذِ»**، ثم قوله -صلى الله عليه وآله وسلم-: **«وإِيَّاكُم، وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ»** الحديث(٣).

---

(١) رواه البخاري (٢١٠٩)، (٢٣٤٤)، (٣٢٦٤)، ومسلم (١٥٥)، (٢٤٣)، وابن حبان (١٥/ ٢٢٧)، (٦٨١٦)، وغيرهم.

(٢) انظر: هامش رقم (٢)، ص(٢٦٧).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٢٦)، وأبو داود (٤/ ٢٠٠)، (٤٦٠٧)، والترمذي (٥/ ٤٤)، (٢٦٧٦)، وابن ماجه (١/ ١٦)، والدارمي (١/ ٤٥)، وقال الترمذي: «حسن صحيح»، وصححه الضياء المقدسي، وغيره.

فالطائفة المنصورة لا بد أن يكون منهجها موافقًا لمنهاج النبوة؛ الذي هو منهج السلف الصالح، والرعيل الأول القائم على الاتِّبَاعِ، وتَرك الابتداع؛ لأنه هو المنهج الوحيد الصحيح القادر على إعادة الخلافة في الأرض، وهي مع ذلك تحتاج رجالًا أولي عزم وتقى، يقوم على أكتافهم هذا البعث الجديد، فلا بد من تربيتهم على الكتاب والسنة، ولا بد من علاج هذا الواقع الأليم الذي يعاني منه المسلمون في كل مجال في ضوء شريعة الله المصفاة من كل دخيل من الآراء، والأهواء، والبدع فعاد الأمر إلى كلمتين: «التصفية، والتربية».

(د) والزمان هو السِّفر المنظور الشارح لكتاب الله المسطور؛ آيات سورة الإسراء تُبَيِّن أنه لا بد من جولة قادمة بين المسلمين واليهود، وقد روى أبو هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: **«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمْ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ وَرَاءَ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَو الشَّجَرُ**[1]:

---

(١) القاعدة عند أهل السنة والجماعة أنهم يُجرون نصوص الكتاب والسنة على ظاهرها -أي: معناها الذي يتبادر إلى الذهن منها- معتقدين أنه هو الحق الذي يوافق مراد الله تعالى، ومرادَ رسوله صلى الله عليه وسلم، لا سيما فيما ليس للرأي فيه مجال؛ كنصوص الصفات، والمعاد، وغيرها من أمور الغيب.

قال الشافعي -رحمه الله تعالى-:

«آمنت بالله، وبما جاء عن الله، على مراد الله، وآمنت برسول الله، وما جاء عن رسول الله، على مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم». اهـ. من «مجموع الفتاوى» (٦/ ٣٥٤). فنُطق الحجر والشجر هنا حقيقة لا مجاز، ولهذا نظائر في السنة، انظرها في: «عبودية الكائنات» للشيخ فريد بن إسماعيل التوني، ط. دار الضياء - (١٤١٣هـ-١٩٩٢م)، فقد أبدع فيه، وأجاد.

يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»(١).

قال الإمام النووي تعليقًا على الحديث: «الغرقد نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس، وهناك يكون قتل الدجال واليهود»(٢).

وفي رواية للحديث عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**تُقَاتِلُكُمْ يَهُود فَتُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ، حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ، هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ**»(٣).

وعن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه -رضي الله عنه- مرفوعًا: «**ينزل الدجال في هذه السَّبَخَة**(٤) **بمرِّ قناة**(٥)» الحديث، وفيه: «**ثم يسلِّط اللهُ المسلمين عليه، فيقتلونه، ويقتلون شيعته، حتى إن اليهوديَّ ليختبِئ تحت الشجرة أو الحجرِ، فيقول الحجرُ أو الشجرةُ للمسلم: هذا يهودي تحتي، فاقتُله**»(٦).

---

(١) رواه البخاري (٦/ ١٠٣- فتح)، مسلم رقم (٢٩٢٢).

(٢) شرح النووي (١٨/ ٤٤، ٤٥)، ومن الجدير بالذكر أن يهود الدولة اللقيطة يكثرون الآن من زراعة هذا الشجر في المستوطنات والحدائق وغيرها، وانظر: «واقعنا المعاصر» ص(٥٤٣).

(٣) رواه البخاري (٦/ ٦٩٩)، (٦١)، كتاب المناقب (٢٥)، باب علامات النبوة رقم (٣٥٩٣)، ورواه مسلم، (٤/ ٢٢٣٩)، (٥٢)، كتاب الفتن (١٨)، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل. . .، حديث رقم (٨١).

(٤) السَّبَخَة: أرض تعلوها الملوحة، ولا تكاد تُنْبِتُ إلا بعضَ الشجر.

(٥) مَرُّ قناة: وادٍ بالمدينة.

(٦) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٩/ ٢٥٥) رقم (٥٣٥٣)، وفيه محمد بن إسحاق، وهو مدلس، وقد عنعنه.

وعليه فالمراد بقتال اليهود هنا وقوع ذلك إذا خرج الدجال، ونزل عيسى -عليه السلام.[١]

وروى الإمام أحمد عن جابر -رضي الله عنه- مرفوعًا: «... حتى **أن الشجرة والحجر ينادي: يا رُوحَ الله، هذا يهودي، فلا يترك ممن كان يتبعه أحدًا إلا قتله»**[٢].

ويتضح من الأحاديث -أيضًا- أن المسلمين وقيادتهم سيكونون ببيت المقدس، وأن الدجال ومن معه -وغالبُ مَن معه مِن اليهود- سيقدمون إلى فِلَسطينَ من خارجها، ولن يكونوا فيها، وسيحاصرون المهدي ومن معه حتى ينزل عليهم عيسى ابن مريم، وأنه -عليه السلام- ومعه المؤمنون سيتعقبون الدجال ومن معه، فيقتله المسيح عيسى ابن مريم عند باب لُدٍّ، ويقتل أتباعه حتى إن الحجر والشجر ليدلان المسلمين عليهم.

وهذا كله يعني لنا شيئًا واحدًا ومهمًّا هو أن دولة الكيان اليهودي المغتصب في فلسطين الآن لن تبقى حتى ذلك الوقت، وإنما هي في سبيلها إلى الزوال.

قال الأستاذ سعيد حوى -رحمه الله تعالى- «... إن دولة اليهود الحالية على كل الاتجاهات في الفهم للنصوص ستنتهي، وليست نهايتها معلقة بنزول المسيح عيسى ابن مريم -عليه السلام-، وإن النصوص

---

(١) انظر: «فتح الباري» (٦/ ٦١٠).

(٢) رواه الإمام أحمد رقم (١٤٩٥٤) (٢٣/ ٢١٢)، وقال المحقق: «إسناده على شرط مسلم».

الواردة في أن الحجر والشجر يدلان المسلم على اليهودي ليقتله ليست واردة في هؤلاء اليهود، بل في يهود يقدمون مع الدجال»[١].

ولئن وصف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أولئك المجاهدين -في هذا الحديث- بوصف عام هو الإسلام؛ فلقد وصفهم بوصفٍ أخصَّ؛ وهو كونهم «أهلَ السنة والجماعة»، و«الطائفة المنصورة»؛ وذلك فيما رواه عمران بن حصين -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ، حَتَّى يُقَاتلَ آخِرُهُمْ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ...**»[٢]، وهذا الحديث يشير إلى أن من ضمن قتالهم قتال المسيح الدجال وأعوانه؛ وأعوانه أكثرهم اليهود، وقد رُوي عن عثمان بن أبي العاص -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم قال: «**أكثر أتباع الدجال اليهودُ والنساء**»[٣].

- وعن أبي أمامة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الدين ظَاهِرِينَ، لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ جابههم إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ**

---

(١) «الأساس في السنة وفقهها» (٢/ ١٠٢٥).

(٢) رواه الإمام أحمد (٤/ ٤٢٩)، وأبو داود (٢٤٨٤)، والحاكم (٢/ ٧١)، (٤/ ٤٥٠)، وقال: «صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» رقم (٢١٧٠).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢١٦، ٢١٧)، وفيه علي بن زيد بن جدعان، ضعيف.

أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ، قَالُوا أَيْنَ هم يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»[(١)].

- وهذا الحديث واضح الدلالة على أن القوم المقاتلين الذائدين عن بيت المقدس هم من نفس الطائفة المنصورة؛ أهل السنة والجماعة. وفيه تحديد لأماكن وجودهم في آخر الزمان.

- وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلونَ عَلَى أَبوَابِ دمشْقَ، ومَا حَولَه، وَعَلَى أَبوَابِ بَيتِ الْمَقْدِسِ، وَمَا حَولَهُ، وَلَا يَضُرهُم خُذلَانُ مَنْ خَذَلَهم... ظَاهرِينَ عَلَى الحَقِّ إِلى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ**»[(٢)].

قالوا: إن الأحاديث الشريفة تدل على حدوث قتال بين المسلمين واليهود، وانتصارهم على اليهود قبل زمن الدجال، وليس شرطًا أن تكون المعركة بين المسلمين، وبين صنف من أعدائهم واحدة فقط؛ فقد تتعدد المعارك، وتتكرر الفتوحات، فالقسطنطينية[(٣)] -مثلًا- فتحها السلطان محمد الأول [٨٥٧هـ- ١٤٥٣م]، وهذا الفتح غير الفتح الأخير الذي أخبر عنه النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل خروج الدجال مباشرة،

---

(١) رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في المسند (٥/ ٢٦٩)، عن أبيه وِجَادَةً، ورواه الطبراني، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٩١): «رجاله ثقات».

(٢) رواه أبو يعلى، قال الهيثمي: «ورجاله ثقات»، انظر: «مجمع الزوائد» (١٠/ ٦٣، ٦٤).

(٣) مدينة بناها الملك قسطنطين، وهي مثلثة الشكل؛ جَانِبَان منها في البحر، وجانب في البر.

وفتح بيت المقدس تم في عهد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، ثم احتله النصارى الصليبيون، ثم فتح في عهد صلاح الدين الأيوبي، ثم احتل في عهد التتار ثم فتح، ثم احتله النصارى الإنجليز، ثم احتله اليهود، وسيتم عمرانه، وفتحه مرة أخرى قبل فتح القسطنطينية.

يقول الأستاذ عبد الوهاب عبد السلام طويلة: «لقد فُتحت القسطنطينية لأول مرة في زمن السلطان العثماني محمد الثاني، المعروف بالفاتح -رحمه الله-؛ فحاز بذلك مع جيشه بشارة النبي صلى الله عليه وسلم، ومديحه كما سلف، غير أن الضعف حَلَّ بالمسلمين بعد الحرب العالمية الأولى، وتداعت عليهم الأمم؛ بسبب ابتعادهم عن دينهم الذي أعزهم الله به، فأصبحت القسطنطينية تحت حكم الملحد مصطفى كمال، صنيعة الصهيونية والاستعمار، ولا زالت الأمور في تركيا تسير من سيئ إلى أسوأ؛ حتى إنهم حالفوا اليهود، وفتحوا لهم بلادهم، وتوددوا إليهم، وهم -أيضًا- يخطبون وُدَّ الأوربيين بتضييق الخناق على المسلمين، ومحو كل ما يمت إلى الإسلام بصلة، والأوربيون لا يَعْبَئُون بهم، بل يحتقرونهم، وربما يطرأ تغيير على الوضع الدولي قبل ظهور المهدي، وخروج الدجال؛ فتصبح القسطنطينية تحت حوزة النصارى، أو حلفائهم.

والفتح الأخير لها لن يكون بقتال؛ وإنما بالتكبير، والتهليل تسقط المدينة؛ مكافأة للمسلمين الذين أبلوا بلاء حسنًا لدى قتال الروم في الملحمة الكبرى.

- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- في حديثه السابق: «... وَيَفْتَتِحُ

الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا، فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ، قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ؛ إِذْ صَاحَ فِيهِم الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهالِيكُمْ؛ فَيَخْرُجُونَ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ. . .» الحديث.

- وعنه -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ جَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَرِّ، وَجَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ؟ قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ، فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا، فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ، وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ، وإنما قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ؛ فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا» -قَالَ ثور بن يزيد: لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ: - الَّذِي فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ يَقُولُون الثَّانِيَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّه أَكْبَرُ، فَيَسْقُط جَانِبُهَا الآخَرُ، ثُمَّ يَقُولُونَ الثَّالِثَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّه أَكْبَر، فَيُفَرَّجُ لَهُمْ فَيَدْخُلُونها فيَغْنَمُون، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغنائِمَ؛ إِذْ جَاءَهُمْ الصَّرِيخُ فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ، فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْءٍ، وَيَرْجِعُونَ» [أخرجه مسلم][1]. اهـ[2].

---

(١) «صحيح مسلم» رقم (٢٩٢٠).

(٢) «المسيح المنتظر ونهاية العالم» ص(٨١، ٨٢).

وَعْدُ اللهِ -تَعَالَى-

لقد سقطت دولة الخلافة، وابتعد أكثر المسلمين عن القرآن رويدًا رويدًا؛ فتناولتهم السبل، ومخروا عُبابَ بحرِ الفُرقةِ اللَّجب، وابتعدوا عن شاطئ النجاة؛ فاستوت بهم سفينة الحيرة على صخرة الاختلاف، وبلغ بهم الأمر إلى أنهم نبذوا كتاب ربهم وراء ظهورهم، وذابوا في غيرهم؛ حتى صار من بين المسلمين من لا تستطيع أن تميزه من الكافر لا في المظهر فحسب، بل حتى في الصميم من الأخلاق والأفكار والعادات.

وعلى حين غفلة من هذا المارد النائم، لملمت فلول الشرذمة المغضوب عليها قواها المبعثرة، وأعادوا الكرة على الذين نبذوا كتاب ربهم وراء ظهورهم؛ فأذلوهم، وأذاقوهم ألوان الخزي والعار، وانهالت الإمدادات على أمة القردة، والخنازير من أمة الضالين، وعَبَدة الطاغوت؛ فأصبح اليهود أكثر نفيرًا من المسلمين، ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: ٦]، وها هم رعاة الأمة -إلا من رحم الله- قد نسوا الله فأنساهم أنفسهم؛ حاربوا أولياء الله الداعين إلى طريق النجاة، وتبرءوا من الإسلام، وتنكروا له، وأرادوا أن يُحَلِّقُوا في الدنيا بجناح المادة، فخذلهم جناح الإيمان، فكُبكبوا على وجوههم، وتولى الله تأديبهم على يد مَن لا يرقبون فيهم إلًّا ولا ذمة؛ فتراهم متخبطين في كل قطر، أذلة في كل وجه، يسومهم أعداء الله سوء العذاب، ويفرضون عليهم الخزي والعار، ويتخذونهم مطية رخيصة؛ ليصلوا عليها إلى مآربهم التوراتية، والتلمودية، ولكن لن يتم لهم ذلك، ولن يجنوا ثماره بإذن الله؛ لأن الله -عز وجل- قضى -وهو أحكم الحاكمين-، ووعد -وهو سبحانه الذي

لا يخلف الميعاد-: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا * عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَـٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾[الإسراء: ٧، ٨]

أي: إن عدتم للإفساد، والعلو في الأرض؛ عاد الله عليكم بتسليط أعدائكم عليكم؛ كما فعل في الإفساد الأول(١)؛ إذ قال -سبحانه-: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾﴾[الإسراء: ٥]، وفي المرة التالية قال -تعالى-: ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾[الإسراء: ٧]؛ حتى تعود فلسطين المسلمة بعد أن يستيقظ المارد النائم ليصب على الأمة الغضبية جام غضب الله عليهم، ويحرر الأقصى الأسير(٢)، ويفتحه خليفة المسلمين من جديد؛ كما فتحه من قبلُ عمرُ الفاروق، وصلاحُ الدين.

ويقتضي هذا كله أن القتال في فلسطين سيعود إسلاميًّا خالصًا في سبيل الله وحده، لا قوميًّا رغم أنف العالَمانيين(٣) والقوميين وأذنابهم،

---

(١) والثاني، بناءً على أن المرتين مضتا، وعليه فالشاهد هنا عموم قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾.

(٢) انظر: «مجموعة الرسائل الكبرى»، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٥٧، ٥٨).

(٣) «العِلْمانية» ترجمة غير صحيحة لكلمة (Secularism) في الإنكليزية، زيد فيها ألف ونون في الاسم المنسوب على غير القياس، لأن الكلمة بكسر العين توهِم أن لهذا المذهب علاقةً بالعلم، مع أنه لا صلة له بالعلم من قريب ولا من بعيد، لأن العلم هو (Science) والنسبة إليه: عِلْميٌّ (Scientific).

والترجمة الصحيحة لهذه الكلمة هي (الدنيوية) أو (اللادينية) لا بمعنى ما يقابل (الأخروية) فحسب، بل بمعنى أخص، وهو: ما لا صلة له بالدين (Non-Religious)، أو: ما كانت علاقته بالدين علاقة تضاد (Anti-Religious). =

ولا يقدر على ردع الشيطان اليهودي سوى نور القرآن؛ يحرقه ويبيده، ولن يَهْزِمَ شِرْكَهُمْ إلا توحيدُنا، ولعل تعقيب الآيات بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، فيه إشارة لطيفة إلى أن سلاح العودة إلى بيت المقدس، وقبلتنا الأولى هو كتاب ربِّنا لا غير، ويقتضي هذا -أيضًا- أن قضية فلسطين لن تُحل سلميًّا، ولن ينعم اليهود أبدًا بالسلام الأبدي الذي يحلمون به، وإن استمرت موجات هجرتهم إلى الأرض المقدسة: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: ١٠٤]؛ فإنهم سيجتمعون لفيفًا فيما يُسَمُّونه أرضَ (الميعاد) من كل حَدَبٍ، وصوبٍ، ومن كل فَجٍّ عميقٍ يلبون نداء القدر الذي قضى الله به عليهم منذ الأزل، وإن استمر الإمداد المادي من عبَّاد الصليب، وغيرهم؛ فهذا ما أخبر به -عز وجل- في قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: ٦].

والحاصل: أنه لن يهدأ للمغضوب عليهم بَالٌ، ولن يقر لهم قرار -إن شاء الله-؛ لأن الله -عز وجل- قضى بمنع ذلك، أما الخريطة التي نقشوها على باب (الكنيست)[(١)]؛ فلن يكون لها وجود إلا في عقولهم

= وعليه، فإن كان ولابد -فلنقل: (عالَمانية) نسبة إلى هذا العالَم الدنيوي (مع تجاهل أو إنكار العالم الأخروي بفصل الدين عن الحياة)، حتى نفوِّت على المدلِّسين والمغرضين محاولتهم تجميل هذا المذهب والترويج له بين المسلمين بإيهام أنه (عِلْمي)، وانظر: «الإسلام والعلمانية وجهًا لوجه» للدكتور القرضاوي ص(٤٨-٥٠)، و«العلمانية» للدكتور سفر الحوالي ص (٢١-٢٤).

(١) بل التي يرمز إليها عُمْلَتُهُمْ، وعَلَمُ دولتهم اللقيطة، الذي يحتوي خطين أزرقين أفقيين متوازيين أحدهما يشير إلى النيل، والآخر يشير إلى الفرات، بينهما أرضية تحمل «نجمة داود»، والتي ترمز إلى امتداد سلطان دولتهم من النيل إلى الفرات، والتي يشير تطابق مثلثيها إلى تعانق السلطة الدينية مع السلطة المدنية كما كان شأن الدولة في عهد داود وسليمان عليهما السلام.

المحنَّطة، وقلوبهم الصلبة القاسية؛ كحجارة (الكنيست) التي نقشوها عليها، أو أشد قسوة.

وعودة الأقصى للمسلمين بالمثابة التي ذكرنا تستلزم قيام خلافة راشدة على منهاج النبوة؛ فقد قال -صلى الله عليه وآله وسلم-: «**تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا الله إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا الله إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُون مُلْكًا عَاضًا؛ (أي: وراثيًا)؛ فيكون جبريًا؛ (أي: قهريًا)، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ الله أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، ثُمَّ سَكَتَ**»[1].

يقول مؤلفا «الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة»:

«وأحاديث المهدي الصحيحة تخبر بظهور مصلح في آخر الزمان؛ يحكم بالكتاب والسنة، يملأ الأرض عدلًا بعد ما ملئت جورًا وظلمًا، يبايَع وهو مكره[2]، يحكم ثماني أو سبع حجج، يكثر المال في زمانه، ويحثوه، ولا

---

(١) رواه من حديث النعمان بن بشير -رضي الله عنهما- الإمام أحمد (٤/ ٢٧٣)، والطيالسي رقم (٤٣٨) (١/ ٥٨)، في «مسنديهما»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٨٩): (رواه أحمد، والبزار في «مسنده» (٧/ ٢٢٣) رقم (٢٧٩٦) أتم منه، والطبراني في «الأوسط» ورجاله ثقات)، وقال الحافظ العراقي: «هذا حديث صحيح» كما نقله عنه الألباني في «الصحيحة» الحديث الرابع ص(٩).

(٢) وردت أحاديث كثيرة بشأن مبايعة المهدي، وهو كاره، لكن لا يصح منها شيء، وانظر: «الفتن» لأبي نعيم (١/ ٣٤١-٣٤٤)، و«سنن أبي داود» (٤/ ١٠٨)، «والمسند» للإمام أحمد (٦/ ٣١٦). و«الموسوعة في أحاديث المهدي» ص(١٤٩-١٦١)، (٣٣٠-٣٣٨).

بعده؛ اسمه محمد بن عبد الله، من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن ولد فاطمة -رضي الله عنها-، وهو إمام عادل تقي، وحاكم منصف، وليكن معلومًا لدى الجميع أن الخلافة الراشدة تعود قبل ظهور المهدي؛ وليس كما يعتقد الناس، وتزعم بعض الجماعات الإسلامية؛ مثل جماعة التبليغ أن الخلافة يرجعها المهدي، وهم ينتظرونه؛ فإن هذا ما لا دليل عليه، بل هو وهمٌ، وخرصٌ، وتخمينٌ.

وأخيرًا يقول الأستاذ سعيد حوى -رحمه الله تعالى، وعفا عنا وعنه-:

«وبعض المسلمين علقوا فكرة العمل للخلافة على ظهور المهدي، مع أن العمل لإيجاد خليفة للمسلمين فريضة شرعية، فلا يصح أن يُعَلَّقَ العملُ لها حتى يظهر شخص ما»[(١)].

ثم يقول: «وأغلب الذين ينتظرون خروج المهدي يعتبرونه كائنًا بين يدي نزول المسيح عليه السلام، ويتوقعون -مع هذا- أن ظهوره أصبح قريبًا، مع أن ظواهر النصوص تشير إلى أن بيننا وبين نزول المسيح -عليه السلام- أمدًا، ففلسطين لا تكون وقتذاك مقرًّا لليهود، بل اليهود الذين يأتون إليها وقتذاك يأتون مع المسيح الدجال، وتكون فلسطين وقتذاك مقرًّا للخلافة الراشدة، وهذا يدل على أن دولة اليهود الحالية ستنتهي، وإذَن فمع إيماننا بظهور المهدي بالصفات التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يصح لنا أن نعلق الفرائض المطلوبة منا شرعًا سواء كانت فروضًا عينية أو كفائية على ظهوره، ولكننا نوي إذا ظهر وعرفناه بصفاته أن نكون من جنده وأنصاره بإذن الله».

---

(١) «الأساس في السنة» ص(١٠٢٢).

وذكر الأستاذ سعيد حوى -رحمه الله تعالى- أنه يستفاد من أن المهدي والمسيح -عليه السلام- سيتعاصران: أن خلافة راشدة ستسبقهما، قال: «وقد نقل كثير من العلماء نصوصًا وسكتوا عنها[١] تفيد أن نزول المسيح في زمن المهدي، وهذا الذي جعل هذا الأمر ينطبع في أذهان كثير من العلماء: أن المهدي مرتبطٌ زمانُه بزمانِ المسيح عليه السلام، فإن صح[٢] هذا الاتجاه فهذا يفيد أنه سيكون قبل ذلك خلافةٌ على منهاج النبوة تكتسح الأرضَ كلَّها، وستفتح الأمةُ الإسلامية العالم، ولا يبقى بيتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلا دخلته كلمةُ الإسلام بعِزِّ عزيزٍ وذُلِّ ذليلٍ، ومظهر الذِّلَّةِ دفعُ الجزية، بينما المسيح -عليه السلام- لا يقبلها»[٣].

فخلاصة ما ورد في المهدي ما تقدم ذكره، ومن الأدلة الدامغة على أن الخلافة ترجع قبل هذا الخليفة الصالح أن المسلمين يسترجعون بيت المقدس من اليهود؛ كما سبق ذكره، وتبيانه، بينما المهدي يكون عند ظهوره في بيت المقدس[٤]؛ أي أن بيت المقدس يكون في أيدي المسلمين، وبيت المقدس الآن يرزح تحت قهر الاحتلال الصِّهْيَوْنِي

---

(١) بل صححها جمع من العلماء كما في كتابي «المهدي» ص(٣٨-٤٠).
(٢) وقد صح كما أسلفنا، وذهب إليه جمع من العلماء، كما في «المهدي» ص(٥١-٥٦).
(٣) «الأساس في السنة» ص(١٠٢٢).
(٤) ولعل هذا مأخوذ من قوله -صلى الله عليه وسلم- في حديث أبي أمامة الطويل في الدجال: «**وكلهم** -أي: المسلمون- **ببيت المقدس، وإمامهم رجل صالح قد تقدم ليصلي بهم، إذ نزل عيسى**» الحديث، انظر: «فتح الباري» (٦/ ٤٩٣)، واعلم أنه لا يوجد نص صريح يجزم بتحديد مكانِ أولِ ظهورٍ للمهدي، البعض يرى أنه سيظهر في الشام بناء على الحديث الآنف الذكر، وكذا حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-=

اليهودي البغيض، فلا بد من قيام الخلافة قبل المهدي؛ لأنها هي السبيل الوحيد لاسترجاع مجد الإسلام التليد»[1]. اهـ.

= مرفوعًا: «**لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة**» الحديث، وفيه: «**فإذا جاءوا الشام خرج** -أي: الدجال- **فبينما هم يُعِدُّون للقتال، يُسَوُّون الصفوف؛ إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم**» الحديث رواه مسلم (١٨/ ٢١، ٢٢- نووي).

ويرى البعض أنه يخرج من المشرق، واستدلوا:

- بما يُروى عن ابن مسعود -رضي الله عنه- مرفوعًا: «**إذا أقبلت الرايات السود من خراسان؛ فأتُوها، فإن فيها خليفةَ اللهِ المهدي**» وهو ضعيف كما في «المهدي المنتظر» للبستوي ص(١٥٨-١٦٢).

- وبما يُروى عن ثوبان -رضي الله عنه- مرفوعًا: «**يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قِبَلِ المشرق، فيقتلونكم قتلًا لم يُقْتَله قوم**، ثم ذكر شيئًا لا أحفظه، فقال: **فإذا رأيتموه، فبايعوه، ولو حبوًا على الثلج؛ فإنه خليفة الله المهدي**» قال الألباني: «منكر»، «السلسلة الضغيفة» رقم (٨٥)، وإن صح؛ فإنه لا يحدد مكان خروج المهدي، وليس فيه ربط بين المهدي وبين أصحاب الرايات السود.

ويرى البعض أن أول ظهوره يكون في مكة والمدينة، قال القاري في «شرح الفقه الأكبر»: «ترتيب القضية أن المهدي -عليه السلام- يظهر أولًا في الحرمين الشريفين، ثم يأتي بيت المقدس، فيأتي الدجال، ويحصره في ذلك الحال، فينزل عيسى -عليه السلام- من المنارة الشرقية في دمشق الشام، ويجيء إلى قتال الدجال، فيقتله بضربة في الحال. . .، فيجتمع عيسى -عليه السلام- بالمهدي -رضي الله عنه- وقد أقيمت الصلاة. . .، ويقتدي به ليظهر متابعته لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم». اهـ. ملخصًا ص(١١٢).

وأغرب بعضهم، فادعى خروجه من المغرب، وأشار القرطبي إلى ضعفه، كما في «التذكرة» ص(٧٢٣-٧٢٥).

(١) بتصرف من: «الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة» ص(٤١-٥٨) لمؤلِّفَيْهِ: سليم الهلالي، وزياد الدبيح.

هذا حاصل اجتهاد هذا الفريق، والله تعالى أعلم، ونسبة العلم إليه -عز وجل- أسلم وأحكم.

* * *

وهذا آخر ما قصدت جمعه في هذا الباب، تذكرةً لأولي الألباب، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله، وسلَّم، وبارك على نبيه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الفهارس العامة

أولًا: فهرس أطراف الحديث

طرف الحديث | رقم الصفحة

(أ)

---

(١) (هـ) = هامش.

(ب)

(ت)

(ج)

(خ)

(د)

(ر)

(ك)

(ل)

(م)

(و)

(لا)

(ي)

ثانيًا: فهرس أطراف الآثار والأقوال

ثالثًا: فهرس المراجع

(أ)

١- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر

دار الريان- مكة المكرمة، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، د/ محمد محمد حسين.

٢- إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة

مطابع الرياض، الرياض، ط. أولى ١٣٩٤هـ، حمود بن عبد الله التويجري.

٣- الإتقان في علوم القرآن

دار الفكر، بيروت ١٣٦٨هـ، جلال الدين السيوطي.

٤- احذروا!! المسيح الدَّجال يغزو العالم من مثلث برمودا

المختار الإسلامي، القاهرة، ١٤١١هـ، محمد عيسى داود.

٥- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبَّان

مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط أولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، علاء الدين علي ابن بلبان الفارسي.

٦- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام

المطبعة السلفية، القاهرة ، ابن دقيق العيد.

٧- إحياء علوم الدين

طبعة دار الشعب، القاهرة ، أبو حامد الغزالي.

٨- الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة

مطبعة الحسيني، ط. أولى، نشر علي رحمي، محمد صديق حسن خان.

٩- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل

المكتب الإسلامي، بيروت، ط. أولى ١٣٩٩هـ، محمد ناصر الدين الألباني.

١٠- **الأساس في السُّنَّة وفقهها**

دار السلام، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م، سعيد حوى.

١١- **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**

سلسلة البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٣م، د/ محمد بن محمد أبو شهبة.

١٢- **أسرار الساعة وهجوم الغرب**

مدبولي الصغير، القاهرة، ١٩٩٨م، فهد سالم.

١٣- **أسرار الهاء في الجفر**

مدبولي الصغير، القاهرة، ٢٠٠٣م، محمد عيسى داود.

١٤- **الإسلام**

ط. أولى، ١٣٨٩هـ، سعيد حوى.

١٥- **الإسلام والعلمانية: وجهًا لوجه**

دار الصحوة، القاهرة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م، د/ يوسف القرضاوي.

١٦- **أشراط الساعة**

دار ابن الجوزي، الدمام، ط. ثانية ١٤١١هـ، يوسف بن عبد الله الوابل.

١٧- **أصول الكافي بشرحه الشافي**

مطبعة النعمان، النجف، ١٣٧٨هـ-١٩٥٨م، أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، شرح وتعليق عبد الحسين (!) بن عبد الله المظفر.

١٨- **أصول مذهب الشيعة**

دار الرضا، الجيزة، ط. ثالثة، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، د/ ناصر بن عبد الله القفاري.

١٩- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**

مطبعة المدني، ١٣٨٦هـ، محمد الأمين الشنقيطي.

٢٠- الأطباق الطائرة ومثلث برمودا بين الحقيقة والخرافة

مكتبة جزيرة الورد، المنصورة، ط. أولى ١٤١٦هـ -١٩٩٥م، مجدي محمد الشهاوي.

٢١- إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين

دار الكتب الحديثة، القاهرة، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، الإمام ابن قيم الجوزية.

٢٢- اقتراب خروج المسيح الدجال

دار البشير، القاهرة، هشام كمال عبد الحميد.

٢٣- اقتضاء العلم العمل

المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الثالثة ١٣٨٩هـ، تحقيق الألباني، الخطيب البغدادي.

٢٤- إكمال إكمال المُعْلِم

دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، أبو عبد الله محمد بن خلف الأُبي.

٢٥- (أون لاين)

(مجلة)، العدد ١٤، منتصف أكتوبر ٢٠٠١م.

٢٦- الأيام الأخيرة في عمر الزمن

دار البيارق، بيروت، عَمَّان، ط. أولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، عدنان طه.

(ب)

٢٧- بحوث الندوة العالمية عن شيخ الإسلام ابن تيمية وأعماله الخالدة

دار الصيمعي، الرياض، ط. ثانية، ١٤١٨هـ-١٩٩١م، إشراف د/ مقتدى الأزهري.

٢٨- **البداية والنهاية**

نشر مكتبة المعارف، بيروت، ط. الثانية ١٩٧٩م ، ابن كثير القرشي.

٢٩- **بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز**

المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي.

٣٠- **بهجة المجالس وأنس المجالس**

دار الكتب العلمية، بيروت، أبو عمر يوسف بن عبد البر.

٣١- **البيان**

مجلة شهرية تصدر عن المنتدى الإسلامي، لندن، عدد (٣٣)، ١٤١١هـ.

٣٢- **البيان النبوي بانتصار العراقيين على الروم والترك وتدمير إسرائيل وتحرير الأقصى**

ط. ثانية، ١٤١٨هـ، د/ فاروق الدسوقي.

٣٣- **البيان النبوي بدمار إسرائيل الوشيك**

ط. أولى ١٤١٨هـ، د/ فاروق الدسوقي.

(ت)

٣٤- **تاريخ بغداد «أو مدينة السلام»**

دار الكتب العلمية، بيروت، الخطيب البغدادي.

٣٥- **التاريخ الكبير**

دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٣٨٠هـ، محمد بن إسماعيل البخاري.

٣٦- **تحذير ذوي الفطن من عبث الخائضين في أشراط الساعة والملاحم والفتن.**

مكتبة السلف الصالح، جدة، ومكتبة ابن عباس، سمنود ٢٠٠٣م، أحمد بن إبراهيم بن أبي العينين.

٣٧- **تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد**
المكتب الإسلامي، دمشق، ط. الثالثة، ١٣٩٨هـ، محمد ناصر الدين الألباني.
٣٨- **تحقيق الكلم الطيب لابن تيميَّة**
المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الثالثة، ١٣٩٧هـ، محمد ناصر الدين الألباني.
٣٩- **تحقيق مسند الإمام أحمد**
دار المعارف، القاهرة، ١٣٧٣هـ- ١٩٥٤م، أحمد محمد شاكر.
٤٠- **تحقيق مشكاة المصابيح للتبريزي.**
المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الثانية، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، محمد ناصر الدين الألباني
٤١- **تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة**
دار طيبة، الرياض، (١٤١٥هـ- ١٩٩٤م)، د/ محمد أمحزون.
٤٢- **تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق للحافظ الربعي.**
المكتب الإسلامي، دمشق، محمد ناصر الدين الألباني.
٤٣- **تدريب الراوي شرح تقريب النواوي.**
مطبعة السعادة، مصر، ١٣٨٦هـ، جلال الدين السيوطي.
٤٤- **تذكرة الحُفَّاظ**
دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٧٤هـ، شمس الدين الذهبي.
٤٥- **التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة.**
مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٠هـ ، وطبعة دار الفكر، بيروت، أبو عبد الله القرطبي.

٤٦- التصريح بما تواتر في نزول المسيح
دار السلام، القاهرة ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، الكشميري.
٤٧- تفسير القرآن العظيم
دار الشعب، القاهرة، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م، ابن كثير القرشي.
٤٨- تفسير المنار
الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢م، السيد محمد رشيد رضا.
٤٩- التفسير والمفسرون
دار الكتب الحديثة، ط. ثانية، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م، د/ محمد حسين الذهبي.
٥٠- تقريب التهذيب
دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط. ثانية ١٣٩٥هـ، ابن حجر العسقلاني.
٥١- تنبيه الأنام على ما في كتاب هَرْمَجِدُّون من ضلالات وآثام
دار الرضا للنشر والتوزيع، الجيزة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، عادل بن يوسف العزازي.
٥٢- تلخيص المستدرك
دار الكتاب العربي ، بيروت، محمد بن أحمد بن عثمان بن الذهبي.
٥٣- التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام
أضواء السلف، الرياض، ط. ثانية ١٤١٩هـ، د/ عبد المجيد بن سالم المشعبي.
٥٤- تهذيب التهذيب
دار صادر، بيروت، لبنان، ابن حجر العسقلاني.

(ث)

٥٥- الثمر الداني في ذكر المهدي والقحطاني

بدون بيانات، ٢٠٠٢م، مجدي بن منصور بن سيد الشوري.

(ج)

٥٦- جامع الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم

دار الفكر، بيروت، ط. ثانية ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، تحقيق عبد القادر الأرناءوط، ابن الأثير الجزري

٥٧- جامع بيان العلم وفضله.

دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، ط. أولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، أبو عمر يوسف بن عبد البر.

٥٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن

طبعة الحلبي، القاهرة -ط. ثالثة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م، محمد بن جرير الطبري.

٥٩- جامع العلوم والحكم

مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط. رابعة، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م، أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي:

٦٠- الجامع لأحكام القرآن

دار الكتاب العربي، ط. ثالثة، ١٣٨٧هـ، أبو عبد الله القرطبي.

٦١- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع

مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ، الخطيب البغدادي.

٦٢- الجرح والتعديل

دار الكتب العلمية، أبو حاتم الرازي.

٦٣- الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسُّنَّة

مطبعة شاهين، عَمَّان، الأردن، ط. أولى ١٣٩٩هـ، سليم الهلالي، وزياد الدبيج، والطبعة الرابعة، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، مركز الدراسات المنهجية السلفية.

٦٤- جمع الفوائد وأعذب الموارد

عبد الله هاشم المدني، المدينة المنورة، محمد بن محمد بن سليمان.

٦٥- الجواهر في تفسير القرآن الكريم

طنطاوي جوهري.

(ح)

٦٦- الحاوي للفتاوي

مطبعة الشيخ منير، ١٣٥٣هـ، جلال الدين السيوطي.

٦٧- حرب أمريكا المقدسة هل تمهد لهرمجدون؟

دار البشير، القاهرة، محمود النجيري.

٦٨- الحرب العالمية الثالثة بين الإسلام والغرب

بدون بيانات، ١٩٩٠م، د/ عبد الناصر مدبولي الخضري.

٦٩- الحرب العالمية القادمة في الشرق الأوسط

دار البشير، القاهرة، ط. ثانية، هشام كمال عبد الحميد.

٧٠- حرمة أهل العلم

دار العقيدة، الإسكندرية، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م، محمد إسماعيل المقدَّم.

٧١- الحروف المتقطعة في أوائل السور القرآنية

دار المنهل، جدة، د/ محمد محمد أبو فراخ.

٧٢- الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو

دار الأرقم، برمنجهام، بريطانيا، محمد سرور بن نايف زين العابدين.

٧٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء

مطبعة السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، أبو نعيم الأصبهاني.

٧٤- حمى سنة ٢٠٠٠

ط. الثالثة، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، عبد العزيز مصطفى كامل.

(خ)

٧٥- خُدعة هَرْمَجِدُّون.

دار بلنسية، الرياض، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م، محمد إسماعيل المقدَّم.

٧٦- خواطر دينية (الجزء الثاني)

مكتبة القاهرة، ط. أولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري.

٧٧- خواطر في الدعوة

المنتدى الإسلامي، ط. ثالثة، ١٤١٨هـ، محمد العبدة.

٧٨- الخيوط الخفية بين المسيح الدَّجال وأسرار مثلث برمودا والأطباق الطائرة

دار البشير، القاهرة، محمد عيسى داود.

(د)

٧٩- دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، عبد العزيز بن محمد بن عبد اللطيف.

٨٠- الدر المكنون في بيان حقيقة هرمجدون

بدون بيانات، مجدي بن منصور بن سيد الشوري.

٨١- الدين الخالص

مكتبة الفرقان، القاهرة، السيد محمد صدِّيق حسن خان.

(ذ)

٨٢- ذم التأويل (ضمن مجموعة)
مكتبة المتنبي، القاهرة، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة
٨٣- رد السِّهام عن كتاب «عُمر أمة الإسلام»
المكتبة التوفيقية، القاهرة، أمين محمد جمال الدين.
٨٤- الرد العلمي على كتاب «تذكير الأصحاب بتحريم النقاب»
دار العقيدة، الإسكندرية، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، محمد إسماعيل المقدَّم.
٨٥- رسالة شريفة فيما يتعلق بالأعداد للحروف، والأوفاق، وكم الباقي من عمر الدنيا؟
مكتبة دار القدس، صنعاء ، ط. أولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، تحقيق مجاهد بن حسن المطحني، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني.
٨٦- روايات مصرية للجيب (كوكتيل ٢٠٠٠).
٨٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني
دار الفكر بيروت، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، شهاب الدين محمود الألوسي.
٨٨- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء
مكتبة السُّنَّة المحمدية، القاهرة، تحقيق محمد حامد الفَقي، أبو حاتم محمد بن حبَّان البستي.
٨٩- الرياض النضرة في مناقب العشرة
مكتبة الجندي، القاهرة، أبو جعفر أحمد المحب الطبري.

(ز)

٩٠- زوال إسرائيل ٢٠٢٢م

مكتبة البقاع الحديثة، لبنان، ط. ثانية ١٤١٧هـ -١٩٩٦م، بسَّام نهاد جرار.

(س)

٩١- سلسلة الأحاديث الصحيحة ، وشيء من فقهها وفوائدها

المكتب الإسلامي، دمشق، محمد ناصر الدين الألباني.

٩٢- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة

المكتب الإسلامي، دمشق، محمد ناصر الدين الألباني.

٩٣- سنن الدارمي

دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان بعناية محمد أحمد دهمان، عبد الله بن بهرام الدارمي.

٩٤- السنن الكبرى

دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي.

٩٥- السنن الواردة في الفتن

دار العاصمة، الرياض، ط. أولى ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، أبو عمرو عثمان بن سعيد المقرئ الداني.

٩٦- سير أعلام النبلاء

مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق شعيب الأرناءوط، الإمام شمس الدين محمد ابن أحمد بن عثمان الذهبي.

٩٧- سير الخلفاء الراشدين
مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. أولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.

(ش)

٩٨- شرح السُّنَّة
طبعة المكتب الإسلامي، بيروت ، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي.
٩٩- شرح النووي
دار إحياء التراث العربي، الإمام النووي.
١٠٠- شُعب الإيمان
دار الكتب العلمية، بيروت، ط. أولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي.
١٠١- الشريعة
مؤسسة قرطبة، الحسين، القاهرة، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، أبو بكر محمد بن الحسين الآجري.
١٠٢- الشيعة وآل البيت
إدارة ترجمان السُّنَّة، لاهور، باكستان، ط. الثالثة، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، إحسان إلهي ظهير.

(ص)

١٠٣- الصِّحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)
دار العلم للملايين، بيروت، ط. ثالثة، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطا، إسماعيل بن حماد الجوهري.

١٠٤- صحيح الأدب المفرد
دار الصديق، الجُبيل، السعودية، ط. أولى ١٤١٤هـ، محمد ناصر الدين الألباني.
١٠٥- صحيح البخاري
ط. المكتبة السلفية، مع «فتح الباري»، محمد بن إسماعيل البخاري.
١٠٦- صحيح الجامع الصغير وزيادته
المكتب الإسلامي، دمشق، محمد ناصر الدين الألباني.
١٠٧- صحيح سنن ابن ماجه
المكتب الإسلامي، بيروت، ط. أولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م، محمد ناصر الدين الألباني.
١٠٨- صحيح سنن أبي داود
المكتب الإسلامي، بيروت، ط. أولى، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، محمد ناصر الدين الألباني.
١٠٩- صحيح مسلم
دار إحياء الكتب العلمية، القاهرة، ١٣٧٤هـ ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، أبو الحسين مسلم بن الحجاج.
١١٠- الصحيح المسند من دلائل النبوة
دار الأرقم، الكويت، ط. ولى ١٤٠٥هـ، مقبل بن هادي الوادعي.
١١١- صفة النفاق وذم المنافقين
مؤسسة قرطبة، الهرم، ١٤٠٨هـ، أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي.
١١٢- صوت آل البيت (جريدة)
عدد شعبان، ١٤٢١هـ.

١١٣- **صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان**
مطابع نجد التجارية، الرياض، ط. خامسة ١٣٩٥هـ، محمد بشير السهسواني.

(ض)

١١٤- **الضعفاء الصغير**
دار الوعي، حلب، ط. أولى ١٣٩٦هـ ، تحقيق محمود إبراهيم زايد، محمد بن إسماعيل البخاري.
١١٥- **الضعفاء والمتروكون**
دار الوعي، حلب، ط. أولى ١٤٠٦هـ، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، النسائي.
١١٦- **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**
المكتب الإسلامي، بيروت، ط. ثانية ١٣٩٩هـ، محمد ناصر الدين الألباني.
١١٧- **ضعيف سنن الترمذي**
المكتب الإسلامي، بيروت، ط. أولى ١٤١١هـ -١٩٩١م، محمد ناصر الدين الألباني.
١١٨- **الضوابط الشرعية لموقف المسلم من الفتن**
دار المنار، الرياض، ط. أولى ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ.

(ط)

١١٩- **الطريق إلى جماعة المسلمين**
دار الوفاء، المنصورة، ط. أولى ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م، حسين بن محمد بن علي جابر.

(ع)

١٢٠- العالم ينتظر ثلاثًا

دار النور المحمدي، أبو محمد جمال بن محمد بن الشامي.

١٢١- عبودية الكائنات.

مكتبة الضياء، جدة، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، فريد إسماعيل التوني.

١٢٢- العراق في أحاديث وآثار الفتن

مكتبة الفرقان، الإمارات، دبي، ط. أولى ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م، أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان.

١٢٣- العقلانيون ومشكلاتهم مع أحاديث الفتن

دار الإيمان، الإسكندرية، ط. أولى ١٤٢٠هـ، مبارك البراك.

١٢٤-العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية

مطبعة المدني، ١٩٨٣م، محمد بن أحمد بن عبد الهادي .

١٢٥- علامات الساعة (دراسة تحليلية)

دار الفرقان، الإسكندرية، ٢٠٠٠م، رفاعي سرور.

١٢٦- العلمانية

مطابع جامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، سفر بن عبد الرحمن الحوالي.

١٢٧- عمدة التفسير

مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٠م، أحمد محمد شاكر.

١٢٨- عمر أمة الإسلام وقرب ظهور المهدي عليه السلام

مكتبة علي، القاهرة، ط.أولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، أمين محمد جمال الدين.

(ف)

١٢٩- الفتاوى الكبرى
مطبعة كردستان العلمية، القاهرة، ١٣٢٦هـ، أحمد بن تيميَّة.
١٣٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري
السلفية، ١٣٨٠هـ، القاهرة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
١٣١- فتح الباري شرح صحيح البخاري
مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، زين الدين أبو الفرج ابن رجب الحنبلي.
١٣٢- الفتح الرَّبَّاني ومعه بلوغ الأماني
مطبعة حسان، ط. أولى، ١٣٥٣هـ، أحمد بن عبد الرحمن البنا.
١٣٣- فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد
دار الصميعي، الرياض، ط. ثانية ١٤١٧هـ، تحقيق: الوليد بن عبد الرحمن آل فريان.
١٣٤- الفتن
دار البيان العربي، الأزهر، (١٤٢١هـ-٢٠٠٢م)، نعيم بن حماد الخزاعي المروزي.
١٣٥- وطبعة مكتبة التوحيد القاهرة، (١٤١٢هـ-١٩٩١م) تحقيق سمير أمين الزهيري.
١٣٦- الفتيا ومناهج الإفتاء
الدار السلفية، الكويت، ط. ثانية (١٤٠٨هـ -١٩٨٨م) د/ محمد سليمان الأشقر.

١٣٧- فرق الهند المنتسبة إلى الإسلام في القرن العاشر الهجري
دار ابن الجوزي، ط. أولى ١٤٢٢هـ، د/ محمد كبير أحمد شودري.
١٣٨- الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحل
مكتبة السلام العالمية، القاهرة، الإمام ابن حزم الأندلسي.
١٣٩- فضائل الشام ودمشق بتحقيق الألباني
المكتب الإسلامي، بيروت، ط. رابعة ١٤٠٣هـ، الربعي.
١٤٠- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة
المكتب الإسلامي، بيروت، ط. ثالثة ١٤٠٢هـ ، تحقيق عبد الرحمن المعلمي، محمد بن علي الشوكاني.
١٤١- فيض القدير شرح الجامع الصغير للسيوطي
مصطفى محمد، ١٣٥٦هـ، عبد الرءوف المناوي.
١٤٢- في فقه الواقع
دار الوفاء، المنصورة، ١٤١٢هـ، عبد السلام البسيوني.

(ق)

١٤٣- قبل أن يُهدم الأقصى
دار التوزيع والنشر الإسلامية، د/ عبد العزيز مصطفى كامل.
١٤٤- قبل الكارثة نذير... ونفير
المنتدى الإسلامي، ط. ثانية (١٤٢١هـ -٢٠٠١م)، د/ عبد العزيز مصطفى كامل.
١٤٥- قصة المسيح الدَّجَّال
محمد ناصر الدين الألباني.

١٤٦- قطر الولي على حديث الولي
دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٧٩م، تحقيق: د/ إبراهيم إبراهيم هلال، محمد بن علي بن محمد الشوكاني.
١٤٧- القول في علم النجوم
دار أطلس، الرياض، ط. أولى ١٤٢٠هـ، أبو بكر علي بن أحمد الخطيب البغدادي.
١٤٨- القيامة الصغرى
دار النفائس، ط. الثالثة عشرة، ١٤٢٢هـ، د/ عمر سليمان الأشقر.
١٤٩- القيامة الصغرى على الأبواب
ط. ثانية ١٤١٨هـ، د/ فاروق الدسوقي.

(ك)

١٥٠- كذبة أبريل: أصلها التاريخي وحكمها الشرعي
د/ عاصم القريوتي.
١٥١- كتاب المجروحين
دار الوعي، تحقيق محمود إبراهيم زايد، ابن حبَّان.
١٥٢- كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة
مؤسسة الرسالة، ط. الثانية ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي.
١٥٣- كشف المكنون في الردِّ على كتاب هَرْمَجِدُّون
المكتبة الإسلامية، ومكتبة المورد، القاهرة، ط. أولى ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م، مازن بن محمد السرساوي.

١٥٤- الكفاية
دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ - تحقيق د/ أحمد عمر هاشم، أبو بكر الخطيب.
١٥٥- كفر من ادَّعى علم الغيب
مكتبة الصحابة، جدة، ط. أولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م، عيسى بن يحيى بن معافي شريف.

(ل)

١٥٦- اللقطات في بعض ما ظهر للساعة من علامات
مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٤هـ، أبو بكر جابر الجزائري.
١٥٧- لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم؟
دار البشير، القاهرة، شكيب أرسلان.
١٥٨- لوامع الأنوار البهية
المكتب الإسلامي، بيروت، ومكتبة أسامة، الرياض، ط. ثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(م)

١٥٩- ما قبل الدمار
دار البشير، القاهرة، محمد عيسى داود.
١٦٠- مجلة الجامعة السلفية
بنارس، الهند، المجلد الحادي عشر، العددان الحادي عشر والثاني عشر، ذو الحجة ١٣٩٩هـ -١٤٠٠هـ.

١٦١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد

طبعة نشر دار الكتاب ١٩٦٧م، طبعة القدسي، نور الدين الهيثمي.

١٦٢- مجموعة الرسائل والمسائل

دار الباز، مكة المكرمة- مصورة على طبعة المنار، أحمد بن تيميَّة.

١٦٣- مجموع الفتاوى

مكتبة ابن تيميَّة، القاهرة ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، ابن تيميَّة

١٦٤- محاسن التأويل

دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط. أولى ١٣٧٦هـ، محمد جمال الدين القاسمي.

١٦٥- المحلى

دار الآفاق الجديدة، بيروت، علي بن حزم.

١٦٦- مختار القاموس

عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط. أولى ١٣٨٣هـ، الطاهر أحمد الزاوي.

١٦٧- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين

مطبة السُّنَّة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٥هـ- ١٩٥٦م ، تعليق محمد حامد الفَقي، ابن قيم الجوزية.

١٦٨- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح

المطبعة الميمنية، القاهرة، ١٣٠٩هـ، علي بن سلطان القاري.

١٦٩- مسألة التقريب بين أهل السُّنَّة والشيعة

دار طيبة، الرياض، ١٤١٣هـ، د/ ناصر بن عبد الله القفاري.

١٧٠- مسائل في الفتن
مؤسسة الريان، لبنان، بيروت، ط. أولى ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م، أبو عبد الله فيصل بن حيان آل صبحان.
١٧١- المسيح الدَّجال قراءة سياسية في أصول الديانات الكبرى
دار الاعتصام، القاهرة، سعيد أيوب.
١٧٢- المسيح المنتظر ونهاية العالم
دار السلام، القاهرة، ط. أولى ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، عبد الوهاب عبد السلام طويلة.
١٧٣- مُشكِل الآثار
دار صادر، بيروت، مصورة عن طبعة حيدر آباد، ١٣٣٣هـ، أبو جعفر الطحاوي.
١٧٤- المصنف في الأحاديث والآثار
تحقيق عامر العمري، جامعة مدراس، الأعظمي، الهند، الإمام عبد الله بن محمد بن أبي شيبة.
١٧٥- المصنف
نشر المجلس العلمي،ط. أولى ١٣٩٠هـ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني.
١٧٦- مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية صلى الله عليه وسلم.
مكتبة القاهرة ، الأزهر، ط. سابعة ١٣٩٨هـ -١٩٧٨م، أحمد بن الصديق الغماري.

١٧٧- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد

دار ابن القيم، الدمام، ١٤١٠هـ -١٩٩٠م، حافظ بن أحمد حكمي.

١٧٨- معالم في أوقات الفتن والنوازل

المكتب التعاوني للدعوة وللإرشاد، حوطة سدير، ط. ثانية ١٤٢٥هـ، عبد العزيز ابن محمد السدحان.

١٧٩- معجم الأدباء

دار إحياء التراث العربي، بيروت، ياقوت الحموي.

١٨٠- المعجم الكبير

مكتبة ابن تيمية، القاهرة ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني.

١٨١- المعجم الوسيط

ط. الثالثة، مجمع اللغة العربية، إشراف عبد السلام هارون وآخرين.

١٨٢- المعرفة والتاريخ

مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٩٤هـ -١٩٧٤م، تحقيق: أكرم ضياء العمري، أبو يوسف يعقوب الفسوي.

١٨٣- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار

مطبوع بحاشية إحياء علوم الدين، دار الشعب، القاهرة، الحافظ العراقي.

١٨٤- المفاجأة... بشراك ياقدس

مكتبة مدبولي الصغير، ط. ثانية ٢٠٠١م، محمد عيسى داود.

١٨٥- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة

مكتبة حميدو، الإسكندرية، ط. ثالثة، ١٣٩٩هـ ، تصحيح وتعليق محمود حسن ربيع، ابن قيم الجوزية.

١٨٦- مفردات ألفاظ القرآن
دار القلم، دمشق، ١٤٢١هـ -١٩٩٢م، الراغب الأصفهاني.
١٨٧- مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث
دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ ، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن (ابن الصلاح).
١٨٨- مقدمة تاريخ ابن خلدون «العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر».
مكتبة المدرسة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ط. ثانية ١٩٦١م، عبد الرحمن ابن خلدون المغربي.
١٨٩- مقدمة في أصول التفسير
مطبعة الاستقامة، شيخ الإسلام ابن تيميَّة.
١٩٠- المنار المنيف في الصحيح والضعيف (أو: نقد المنقول)
مطبعة الحرية، ١٣٨٣هـ - طبعة الشام بتحقيق محمود مهدي استانبولي، ومطبعة مكتب المطبوعات الإسلامية، ط. أولى ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، الإمام ابن قيم الجوزية.
١٩١- مناهل العرفان في علوم القرآن
دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، محمد عبد العظيم الزرقاني.
١٩٢- المنتقى من منهاج الاعتدال
وزراة الشئون الإسلامية والأوقاف، السعودية، ١٤١٨هـ، الذهبي.
١٩٣- منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي
المطبعة المنيرية، الأزهر، ١٣٧٢هـ، أحمد بن عبد الرحمن البنا الساعاتي.

١٩٤- منهاج السُّنَّة النبوية
مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط. ثانية، ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م ، تحقيق د/ محمد رشاد سالم، أحمد بن تيمية.
١٩٥- منهج أهل السُّنَّة في التعامل مع نصوص الفتن والملاحم
دار التوحيد والسُّنَّة ، ط. أولى ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، محمد بن عمر بن سالم بازمول.
١٩٦- المهدي
الدار العالمية، الإسكندرية، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م، محمد إسماعيل المقدَّم.
١٩٧- المهدي، دولة الإسلام القادمة
دار ابن حزم، لبنان، بيروت، ط. أولى ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م، عادل زكي.
١٩٨- المهدي المنتظر
طبعة إسماعيل تمام، ١٩٧٨م، أبو الفضل الغماري.
١٩٩- المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة
المكتبة المكية، مكة المكرمة، ط. أولى ١٤٢٠هـ -د/ عبد العليم عبد العظيم البستوي.
٢٠٠- المهدي المنتظر على الأبواب
محمد عيسى داود.
٢٠١- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبَّان
المطبعة السلفية، الروضة ، تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي.
٢٠٢- موسوعة الأحاديث الواردة في فضائل الصحابة
الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٧هـ، د/ سعود الصاعدي.

٢٠٣- موسوعة علم النفس والتحليل النفسي
دار سعاد الصباح، الكويت، ١٩٩٣م، د/ فرج عبد القادر طه.
٢٠٤- موسى في الأساطير الإسرائيلية
المركز الهندسي للطباعة والنشر، القاهرة، المعادي، يناير ٢٠٠٠م، ط. أولى د/ وجدي الفيشاوي.
٢٠٥- الموسوعة في أحاديث المهدي الضعيفة والموضوعة
المكتبة المكية، مكة المكرمة، ط. أولى ١٤٢٠هـ، د/ عبد العليم عبد العظيم البستوي.
٢٠٦- ميزان الاعتدال في نقد الرجال
عيسى البابي الحلبي، القاهرة، تحقيق علي محمد البجاوي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.
٢٠٧- نبوءات الرسول صلى الله عليه وسلم ما تحقق منها وما يتحقق
دار السلام، القاهرة، ط. أولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، محمد ولي الله عبد الرحمن الندوي.
٢٠٨- نبوءات الكتب المقدسة ونهاية العالم
مكتبة معروف إخوان، القاهرة، عاشور عبد السلام.
٢٠٩- نبوءات نهاية العالم بين الأديان السماوية (!) والواقع العالمي المعاصر
دار البشير ،القاهرة، صبري أحمد موسى.
٢١٠- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور
ط. أولى ١٣٨٩هـ -١٩٦٩م، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي.
٢١١- نقد ولاية الفقيه
دار الصحوة الإسلامية، ١٤٠٩هـ -محمد مال الله.

٢١٢- نهاية البداية والنهاية
مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ط. أولى ١٩٦٨م، ابن كثير الدمشقي.
٢١٣- النهاية في غريب الحديث والأثر
طبعة دار الفكر، تحقيق الزاوي والطناحي، الإمام مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير.

(هـ)

٢١٤- هدي الساري مقدمة فتح الباري
المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٠هـ، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
٢١٥- هرمجدون- آخر بيان يا أمة الإسلام
المكتبة التوفيقية، القاهرة، ١٤٢٢هـ، أمين محمد جمال الدين.
٢١٦- هرمجدون حقيقة أم خيال؟
مكتبة جزيرة الورد، المنصورة، ط. أولى ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م، د/ أحمد حجازي السقا، عبد الله المنشاوي.
٢١٧- واقعنا المعاصر
مؤسسة المدينة للصحافة، جُدة، (١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م)، محمد قطب.

رابعًا: فهرس الموضوعات

الفصل الخامس

الفصل السادس

الباب الثاني

مَجَالاتُ الْعَبَثِ بأَشْرَاطِ السَّاعةِ

الفصل الأول

عبثهم بعلامة خُروجِ المهدِيِّ المنُتَظَرِ

الفصل الثاني

عَبَثُهم بِعَلَامَة المسيح الدَّجّال

الفصل الثالث

اضطرابهم بشأن «صدام حسين»

الفصل الرابع

الرَّاجِمُونَ بالغَيْبِ القَائِلُونَ مَالَيْسَ لهمْ بِهِ عِلْمٌ

الفصل الخامس

التَّطْبِيعُ مَعَ التَّنْجِيمِ وَ المُنَجِّمِينَ وَزَلْزَلَةُ ثَوَابِتِ العَقِيدَةِ

الباب الثالث

مَظَاهِرُ العَبَثِ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ

الفصل الأول

سرد مجمل لبعض مظاهر العبث بأشراط الساعة

الفصل الثاني

وقفة مع «السندباد» المصري

الفصل الثالث

اسْتدلَال العابثين بِمَا لَا يَصْلُحُ دَلِيلًا

المطلب الأول: الاسْتِدْلَالُ بِالأَحَاديثِ الضَّعِيفةِ والمَوْضُوعَةِ

الفصل الرابع

تحديد عمر الدنيا

الباب الرابع

ضَوَابِطُ التَّعَامُل مَعَ نصوص الفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ

الباب الخامس

الفصل الأول

مهدينا ليس منتظرًا

الفصل الثاني

فِي وُجُوبِ الأَخْذِ بالأَسْبَابِ، وَعَدَمِ مُنَافَاةِ ذَلِكَ للتَّوَكُّلِ

الفصل الثاني

هل تعود الخلافة قبل ظهور المهدي؟

تم بحمد الله